

معهد أصول الدين

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

قسنطينة

منهج المودودي

في صياغة العقيدة الإسلامية

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إشراف الدكتور :

محمد طاهر الجوابي

إعداد الطالب :

عمار طسطاس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الأمير عبد الوهاب للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم
سلطانه على ما يسر من أسباب القيام بهذا البحث ، وأعان
على إخراجه على صورته هذه . والصلاة والسلام على سيدنا
محمد إمام الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

أتوجه بالشكر والتقدير إلى كل من مد يد العون
من قريب أو بعيد في إتمام هذا العمل حتى استوى على
سوقه .

وأخص بالشكر والتقدير الأستاذين الجليلين اللذين
أشرفا على هذا العمل العلمي - من بدايته إلى نهايته - بالتوجيه
المنهجي ، والتنبيه إلى مواطن القصور والخطأ ، وهما :
الدكتور : بلقاسم الغالي .
والدكتور : محمد طاهر الجوابي .

وأسأل المولى عز وجل أن يجزل العتوبة للجميع في الدنيا
والآخرة .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ...

إهداء

إلى أرواح أمي وأبي وعمتي فاطمة في الحياة الآخرة .
 وإلى زوجتي الكريمة التي ساهمت كثيرا بصبرها في توفير
 أسباب إعداد هذا البحث وإنجازته .
 وإلى أئمة التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر
 وطلائع البناء الحضاري في كل مكان الذين عقودوا
 العزم وشهدوا الرجال على درب التجديد الفكري والمنهجي
 من أجل بعث حضاري حقيقي لخير أمة أخرجت للناس
 تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتوكل بالله .

عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله نعمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم ، وبعد .

فإن تجديد علم العقيدة الإسلامية اليوم كي يترجع الإيمان الإسلامي صفاءً ودوره الكامل في تكويين الشخصية الإسلامية السوية وصياغتها فكريا وسلوكيا وحركيا ضرورة شرعية ومطلب حضاري تستعيد معه الأمة الإسلامية خيريتها وشهادتها على الناس بالإيمان والعمل الصالح في أوجه الحياة كلها . ذلك أن التدين بالإسلام لبلوغ هذه القليات الكبرى على مستوى الفرد والجماعة المؤمنة لا يتحقق إلا بالجمع بين أمرين متكاملين : (١)

أولهما : التصديق الجازم بأركان الإيمان التي وردت في الوحي كتابا وسنة صحيحة .

وثانيهما : الالتزام العملي بأوامر الدين ونواهيه الضابطة للسلوك الفردي والجماعي على السواء .

وقد اصطلح في الفكر الإسلامي على التدين في المستوى الأول بلفظ العقيدة ، وعلى التدين في المستوى الثاني بلفظ الشريعة وما يعيننا في بحثنا أن لفظ العقيدة قد استحدث في العهد العباسي ليبدل على العنصر العقلي من الإيمان منفصلا عن شطره الثاني وهو العنصر النفسي الذي اختص به علم آخر هو التصوف . (٢) ومن ثمة فلفظ الإيمان القرآني أوسع مضمونا من لفظ العقيدة

(١) - الدكتور عبد المجيد النجار : فقه التدين فهما وتنزيلا ، ج ٤ ، ص ١٨

(٢) - محمد المبارك : ذاتية الإسلام أمام المذاهب والعقائد : ص : ٢٨

إذ ينم الإيمان عنسري العقل والنفس معا في وحدة حيوية متكاملة -
تتلاق مع الكينونة البشرية في وجودها الفلزي بأبعادها العقلية
والروحية والمادية .

وتعد أحكام العقيدة حقائق نهائية ثابتة ، وردت في
نصوص الوحي على وجه القطع ، لا مجال لإعمال العقل فيها بالاجتهاد
أو الترجيح أو استحداث أي حكم جديد يضاف إلى أصولها المعروفة
التي حددها الوحي ، لأن هذه الأحكام تقرر واقعا فعليا ، وتبين
حقائق الوجود على ما هي عليه . (١)

وإذا كان الأمر كذلك ، ففيما يكون التجديد في علم العقيدة
إذن؟ ينصرف عمل التجديد على ضوء ما سبق إلى الوسائل التي من شأنها
أن تحفظ أصول العقيدة من التحريف والتزييف ، وكذا طرق إثبات
حقائقها وتحصيل الاقتناع بأمرها على الوجه الأكمل لدى سائر
أصناف المخاطبين بالأسلوب المناسب للبنية العقلية في عصرهم . (٢)
وهو عين ما أقصده في بحثي هذا ((بمنهج صياغة العقيدة الإسلامية))
ومن ثمة فقد شغلت قضية صياغة العقيدة الإسلامية منهاجا وموضوعا
العديد من أئمة الدعوة والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر ، صونا
لإيمان المسلمين من الزيغ والانحرافات التاريخية التي غشيت
عقائدهم وتصوراتهم الدينية بفعل انتشار الجهل والجمود الفكري
وشيوع الشرك ومظاهره في الكثير من الممارسات السلوكية إثر السقوط
الحضاري العام للأمة الإسلامية . فأصبح الناس يجتمعون حول قبور
الصالحين ويتوسلون بها ويقدمون القرابين لها ، حتى اتخذوها واسطة
بين العباد وخالقهم عز وجل . ثم انتشرت بينهم - بمرور الوقت -
مقادات بالية وأخلاق سيئة تمثلت في ذبوع العقلية الأسطورية ،
وتفشي السحر والشعوذة والسلبية في جميع طبقات الأمة .
كما كان لا تقال الغرب بالمسلمين في العصر الحديث - زيادة على

(١) - الدكتور عبد المجيد النجار : المرجع السابق ، ص : ٢٠ .

(٢) - الدكتور محمد الدسوقي : منهج البحث في العلوم الإسلامية ص ٢٥٠

الغزو العسكري والاضغاع السياسي والنهب الاقتصادي لأوطانهم - الأثر البالغ في زعزعة عالمهم الثقافي ومحاولة إلحاق الهزيمة بهم في مجال العقيدة والأخلاق والتشريع وذلك عن عمل على نشر مذهبهم الفلسفية المادية والمثالية في عقول ناشئة المسلمين بوسائل التعليم والإعلام المختلفة ، الأمر الذي أثر على المدى البعيد في مسار المجتمعات الإسلامية وتطورها الفكري والاجتماعي باتجاه الضلال الحضاري وفقدان الهوية والتبعية العقدي ، وأزدواج الشخصية الحضارية المضطربة ، التي كانت وراء فشل كل محاولات النهوض العلمية والفكرية والتنموية الحالية .

أمام هذه المعادلة المركبة لانحطاط الأمة الإسلامية بتضافر عوامل السقوط التاريخية الداخلية والخارجية ، صار لزاما تخطي هذا الوضع عبر الانتقال بالأمة إلى الفعالية العقيدة التي تنبع من صفاء عقيدة التوحيد ونقاوتها من كل أضرار الشرك القديم والجديد تصورا وسلوكا .

ويتم ذلك بلببيعة الحال بعد تصفية علم العقيدة من حيث فقه الصياغة له على أساس:

أ - نقاوة المصدر في التلقي لأمر الإيمان القطعية الثابتة من الوحي قرآنا وسنة صحيحة .

ب - والتزام الواقعية منهجا وموضوعا في ترتيب قضاياها بحسب التحديات الماثلة في حياة الأمة . (١)

وقد تنبئه كثير من دعاة الإسلام وعلمائهم في هذا العصر إلى أن الصياغة القديمة لمدارس علم الكلام للعقيدة الإسلامية صياغة قاصرة ، بل عاجزة عن استيفاء المطلوب منها اليوم ، نظرا لاختلاف طبيعة التحديات الواقعية المستجدة التي تتحدى عقيدة المعلمين على كل صعيد . (٢)

(١) - الدكتور عبد المجيد النجار : المرجع السابق ، ص : ٢١ .
(٢) - يمكن إدراج على سبيل المثال لا الحصر - محاولات رائدة في فقه الصياغة للعقيدة الإسلامية في هذا العصر ، أعمال كل من ==

لهذه الأسباب مجتمعة: اخترت بحث موضوع : ((منهج المودودي في صياغة العقيدة الإسلامية)) ، باعتباره من الرجال القلائل في هذه الأمة الذين شغلوا أنفسهم في وقت واحد ، بمهمتين معا : الأولى : محاولة التجديد في العلوم الإسلامية ، ومن بينها علم العقيدة .
والثانية : ممارسة العمل الإسلامي الحركي ، والتغيير الاجتماعي واقعيًا من خلال ذلك التجديد الفكري والعلمي .
ذلك أنه من أبرز سمات المجتمعات الإسلامية المعاصرة سمة

-
- == (١) - محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠١ م) في كتابه المشهور التوحيد
(٢) - جمال الدين الأفغاني (ت ١٨٩٧ م) في رسالته الرد على الدهريين
(٣) - محمد عبده (ت ١٩٠٥ م) في (رسالة التوحيد)
(٤) - بديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٩٦٠ م) في (رسائل النور)
(٥) - عبد الحميد بن باديس (ت ١٩٤٠ م) في (رسالة العقائد الإسلامية)
(٦) - حسن البنا (ت ١٩٤٩ م) في رسالته (العقائد)
(٧) - مصطفى صبري (ت ١٩٥٤ م) في كتابه الضخم (موقف العقل)
(٨) - أبو الأعلى المودودي (ت ١٩٧٩ م) في كتابه (الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها) .
(٩) - مالك بن نبي (ت ١٩٧٣ م) في كتابه (الظاهرة القرآنية)
(١٠) - سيد قطب (ت ١٩٦٥ م) في كتابه (خصائص التصور الإسلامي ومقوماته) .
(١١) - محمد المبارك (ت ١٩٨٣ م) في كتابه (نظام الإسلام : العقيدة والعبادة) .
(١٢) - وحيد الدين خان (معاصر) في كتابه (الإسلام يتحدى)
(١٣) - د . يوسف القرضاوي : (معاصر) في كتابه : (الإيمان والحياة)
(١٤) - د . حسن الترابي : (معاصر) في كتابه (الإيمان وأثره في حياة الإنسان) .
(١٥) - د . محسن عبد الحميد : (معاصر) في رسالته (المنهجية الإسلامية والتغيير الحضاري) .
-

انفصال النندر عن العمل ، ومن تمة انفصال نظم الحياة فيها عن الأساس العقدي الإسلامي ، وتلك مفارقة تأباها طبيعة الإسلام ولا يرتضيها العقل السليم أبدا . وأن تقوم الحياة الاجتماعية للمجتمع المسلم في ظل الوحدة العقدية ، والأخلاقية ، والتشريعية ~~للمجتمع~~ لمطلب إسلامي فتلبي ينبغي أن يلتزم بكل وسيلة مشروعة ، علمية وعملية ، في كل عصر ومصر ، حتى تتجسد في عالم الشهادة عبوديته لله رب العالمين وحده في أشكالها الفردية والجماعية .

ومن هذا المنظور توخيت لبحتي هذا ، أهدافا نظرية وأخرى عملية :
ففيما يخص الأهداف النظرية : التحقق من مدى إمكانية تجاوز صياغة مدارس علم الكلام القديمة للعقيدة الإسلامية ، بصياغة جديدة تُقوِّم الانحراف السابق ، وتحافظ على ما هو ثابت من أمور الوحي ، بمنهج علمي سليم ومناسب لذاتية الإسلام المستقلة . واستيعاب مستجدات الحياة الواقعية وما تطرحه من تحديات .

وأما الهدف العملي ، فيتمثل في إعادة ربط الصلة بين قضايا الإيمان المجردة وجوانب الحياة السلوكية والعملية ، بهدف تحقيق الوحدة بين التصور النظري والسلوك العملي في حياة المسلم على كل صعيد حتى يسهم الجميع في بعث حضاري إسلامي متوازن بعيدا عن كل إفراط أو تفريط .

وعلى ضوء الأهداف المأمولة من هذا البحث تتحدد أهميته كذلك لغرضين :

أ - الغرض العلمي : وهو محاولة الإسهام في انضاج الصياغة الجديدة للعقيدة الإسلامية في هذا العصر حتى يحصل الفهم لها والاقتناع

-
- = (١٦) - رجا . جارودي (معاصر) في رسالته (ميثاق إشبيلية)
(١٧) - د . عبد المجيد النجار (معاصر) في رسالته (خلافة الانسان
بين الوحي والعقل) .
(١٨) - أبو الحسن علي الحسيني الندوي (معاصر) في كتابه (العقيدة و
العبادة والسلوك) .
(١٩) - عبد الرحمن حسن حيدكة الميداني (معاصر) في كتابه (العقيدة
الإسلامية وأسسها) .

بحقائقها من قبل كل أسنان المخابرين .

ب - والغرض العملي : حتى يمكنهم ذلك الاقتناع من جعل العقيدة الإسلامية إطارا مرجعيا للذكر والسلوك في أحوالهم كلها عن طواعية واطمئنان .

ولقد واجهتني عدة صعوبات في إنجاز هذا البحث ، منها ما هائلة بموضوع البحث ، ومنها ما تعلق بالمصادر والمراجع .
من المعروف أن الإمام المودودي لا يمكن تصنيفه ضمن طائفة الكتاب بالمعنى (الأكاديمي) للكتابة والبحث بل هو كاتب داعية ، وأغلب تراثه ارتجله في محاضرات ثم تحول إلى كتب بعد ذلك .
ومن خصائص هذا النوع من الكتابة تداخل المناهج وتقاطع بين المواضيع المختلفة في العمل الواحد .

فتجده يمزج في منهجه بين أسلوب الاقناع المنطقي القائم على الأدلة والبراهين العقلية وأسلوب التأثير العاطفي القائم على التحريض والحض على الالتزام برؤيته للأمر وهكذا ...

ولهذا وجدت موضوع بحثي المتعلق بمنهج صياغة العقيدة في فكر المودودي يتخلل كل دراساته في وحدة حيوية تضي الحياة والحركة على المسائل التي تطرق إليها .

وهذا مما جعلني أجتهد في تركيب صياغة المودودي للعقيدة الإسلامية من دراساته ذات الصلة المباشرة بمباحث العقيدة ككتاب ((مبادئ الإسلام)) وكتاب ((الحضارة الإسلامية)) ، وسائر كتبه الأخرى وجلها يتعلق بموضوع الدعوة والتربية ، والسياسة والمجتمع .
ومن الصعوبات أيضا أن المودودي يكتب بلغة المسلمين في شبه القارة الهندية وهي (الأردية) ، والقليل من إنتاجه الذي حَظِيَ بالترجمة إلى اللغة العربية ولذلك كان حَظِي ضئيلا من الاطلاع على تراثه بأكمله ولعل تفسيره ((تفهيم القرآن)) الذي أنجزه ما بين ١٩٤١ م و ١٩٧٢ م هو أكبر مصدر لمنهجه في صياغة العقيدة الإسلامية ، هذا لم أتصل منه إلا على بعض أجزائه لسوء الحظ .

أما فيما يخص الدراسات السابقة أو المراجع التي عالجت فكره العقدي

منهجاً وموضوعاً فلم أعتبر إلا على دراسة يتيممة ، وهي عبارة عن رسالة علمية (ماجستير) قدمها الطالب محمد بن صادق الجمال في كلية الشريعة بالرياض - العربية السعودية - عام ١٤٠١ هـ . تحت عنوان : ((أبو الأعلى المودودي : حياته و فكره العقدي)) ، وبعد اطلاعي على مضمونها وجدتها عبارة عن دراسة تجميعية وصفية عامة ، لم تقدم تحليلاً لأبي جانب من جوانب الموضوع .

أما باقي الدراسات الأخرى حول ذكر المودودي العقدي فهي دراسات جزئية تعرضت لبعض آرائه إما بالنقد والتجريح إلى درجة تكفيره ، أو بالاطراء والمدح إلى حد تنزيهه عن كل خطأ أو زلة قلم . وقد عرضت ذلك بشيء من التفصيل في الفصل الرابع من الباب الثالث ، في مبحث (تقويم الفكر العقدي لأبي الأعلى المودودي) .

كما استعنت بمراجع عديدة تخدم مواضيع البحث كالتفاسير وغيرها . وأما المنهج الذي اتبعته في هذا البحث فهو المنهج التحليلي التركيبي إذ عمدت إلى القراءة المتأنية للمقالة الواحدة في مختلف كتاباته حتى أجمع صورها الجزئية وأستخلص منها قدر المستطاع صورة عامة أراها جديرة بأن تندرج في منظومة الصياغة العقدية في فكره . ثم حاولت جمع تلك الصور العامة وتركيبها في الصيغة النهائية لخطة البحث التسي تعبر فيما أرى عن الصياغة الجديدة للعقيدة الإسلامية في فكر أبي الأعلى المودودي .

ولذلك جاء نسج هذا البحث من الأبواب والفصول على المنوال الآتي : لقد قسمت خطة البحث إلى ثلاثة أبواب ، فكان الباب الأول عن عصره وحياته ، وكان الباب الثاني حول التصور الإسلامي للوجود في فكره ، وأما الباب الأخير فقد تمحور حول أركان الإيمان وحقيقتها ومقتضياتها ، وأثرها في الحياة الفكرية والسلوكية ونظم الحياة في المجتمع الإسلامي كما يراها المودودي . ثم قسمت الباب الأول إلى فصلين . حاولت في الأول منه تبيان الأوضاع الدينية والعلمية للمسلمين في شبه القارة الهندية خلال القرن التاسع عشر وما سادها من ركود فكري وجمود علمي ومحاولات إصلاح . ثم تعرضت للحضارة الغربية من حيث النشأة والأسس الفلسفية

والعقدية التي قام عليها منذ عصر النهضة الأوروبية ، وهذه كتوائفة لمعرفة تأثير الغرب على العقلية الإسلامية لبا وايجابا من بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى اليوم .

ثم تطرقت في نهاية هذا الفصل إلى الأوضاع السياسية في الهند ونعفا الحكم الإسلامي بها خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر إلى استيلاء الانجليز عليها نهائيا بعد ثورة المسلمين التي انتصر فيها الانجليز وحكموا الهند عام ١٨٥٧ م ، ثم تمهيدهم للغزو الفكري بظهور مدرسة أحمد خان ، وقيام الحركة القاديانية التي ادعى صاحبها النبوة ودعا إلى إلغاء الجهاد خدمة لسيادة الانجليز .^(١)

وأما الفصل الثاني فقد تركز حول حياة أبي الأعلى المودودي من مولده إلى وفاته . مرورا بنشأته وتعلمه واشتغاله المبكر - لظروف اجتماعية - بالصحافة ونشاطه السياسي ، ثم انقطاعه مرة ثانية لاستكمال تكوينه العلمي ، وعودته مرة أخرى إلى العمل الصحفي ولكن هذه المرة بنية الدعوة إلى الإسلام ثم تتويج عمله هذا بتأسيس الجماعة الإسلامية عام ١٩٤١م وبعد استقلال الهند عن الانجليز عام ١٩٤٧ م وتقسيمها إلى الهند وباكستان كدولة خاصة بالمسلمين يخر المودودي كل جهوده الفكرية والعلمية والسياسية في محاولة إقامة دولة باكستان على أساس الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا . ويستمر في هذا العمل بلا كلل ولا ملل حتى التحق بالرفيق الأعلى عام ١٩٧٩ م .

وقد خصصت الباب الثاني لموضوع التصور الإسلامي للوجود في فكر المودودي كمدخل عام لفكره العقدي الذي ميزه بين الكتاب المعاصرين في هذا المجال . وقسمته إلى فصلين :

الأول : بعنوان التصور الإسلامي للوجود بينت فيه حقيقة هذا التصور ومجاله الذي يشمل الحديث عن الكون وتوحيد الألهية والربوبية وقد توسعت كثيرا في عرض موضوع التوحيد لأن هذا العنصر أهم عناصر التصور

(١) - أنظر تفصيلا عن حركتي أحمد خان والقاديانية في نهاية الفصل الأول من الباب الأول من البحث . ص ٣٠ إلى ص ٣٣ .

العام للوجود ويعكس نفس الاهتمام فيما كتبه المودودي .
 ثم أتممت في الفصل الثاني عنصري الإنسان والحياة الدنيا وبهما
 تكمل عناصر التصور الإسلامي للوجود كما عرضها المودودي معتمداً في ذلك
 على القرآن الكريم أساساً . وقد جعلها المودودي مقدمات أساسية لمنظومة
 العقيدة الإسلامية التي ينهيهها بالحديث عن أركان الإيمان في الإسلام .
 وأما الباب الثالث والأخير وهو أطول أبواب الرسالة وجوهرها من
 حيث الأهمية فيتكون من أربعة فصول . عرضت فيها الصياغة النهائية
 لأركان الإيمان عند المودودي إضافة إلى فكرته عن أثر العقيدة في المذهب
 السياسي ونظام الحكم في الإسلام .

وقد عرضت في الفصل الأول تصوره عن حقيقة الإيمان وأهميته نسي
 الحياة الانسانية إلى جانب آراء بعض الفرق الكلامية القديمة .
 وفي الفصل الثاني وهو أهم فصول هذا الباب فقد بسطت فيه رؤيته
 لحقيقة أركان الإيمان وأثرها الخلقي والتربوي في الحياة الفردية
 والاجتماعية للمسلمين . وعدد أركان الإيمان خمسة عند المودودي فيما
 يعتبر الإيمان بالقدر فرعا عن الإيمان بالله عز وجل . كما هو الأمر
 بالنسبة للجنة أو النار أو الصراط ، فهي كلها فروع للإيمان باليوم
 الآخر .

وفي الفصل الثالث بسطت قدر المستطاع النظرية السياسية
 الإسلامية في فكر المودودي ، وقد ركزت على البعد العقدي لتصوراته
 السياسية في شكل منظومة متكاملة الأسس أخذها من القرآن الكريم
 مباشرة مستلهما أصول دولة المدينة المنورة ونظام الخلافة الراشدة .
 ليقدم لنا في نهاية المطاف مذهباً سياسياً إسلامياً يرشّد العمل السياسي
 الإسلامي في هذا العصر بتجاوز السلبيات والأخطاء التاريخية للمسلمين
 في هذا الحقل ، والتخلص من أسر مفاهيم ومنهجات المدارس السياسية
 الغربية المعاصرة التي تسعى جميعها - بحكم بنيتها الفلسفية - إلى عزل
 الدين عن الحياة عامة والدولة خاصة تحت عنوان العلمانية أو اللادينية .
 وأما الفصل الرابع والأخير من هذا الباب وخصته لتقويم الفكر
 العقدي عند المودودي من الوجهتين الإيجابية والسلبية . الأولى تناولت

أصول منظومته الفكرية ومفاتيحها الأساسية ، كالإسلام والجاهلية والخلافة
والحاكمية ١٠٠٠ الخ .

والثانية تمحورت حول المناقشات التي تعرضت لفكر المودودي وبعض
مفاهيمه بالنقد والتحليل ، كما حصل مع المفاهيم الكبرى عنده مثل :
الله ، والرب ، والحاكمية الإلهية . وهي أكثر القضايا التي أثار
جدلاً حاداً لما لها من أثر على التصورات والحركة الميدانية في واقع
الصحة الإسلامية المعاصرة .

وأنهيت هذا البحث بخاتمة لخصت فيها أهم النتائج التي تمخضت
عن بحث طويل وشاق لا زلت أعتقد أنه يحتاج إلى مزيد من الدراسة
والعناية من الباحثين لما لموضوع علم العقيدة من أهمية علمية في إطار
العلوم الإسلامية ، وأهمية عملية تتمثل في إعادة بناء الحياة الإسلامية
على صفا العقيدة ودافعيتها إلى العزم الصالح حتى يقوم الناس بأمر
الخلافة عن المولى عز وجل في الأرض . والله تعالى الموفق ، والهادي
إلى سوا السبيل صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسليماً كثيراً .

عمار ططاس .

قسنطينة : ١٥ / ٠٩ / ١٩٩١ .

جامعة الأمير

الباب الأول

عصر المودودي وحياته

للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

عصر أبي الأعلى المودودي

أولا : الأوضاع الدينية والعلمية للمسلمين في الهند خلال القرن التاسع عشر:
١ - الوضع الديني للمسلمين في الهند :

شهدت نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر للميلاد موجة طوفان الاستعمار الغربي ، تجتاح الديار الإسلامية ، من أندونيسيا شرقا إلى المغرب الأقصى غربا ، وما كاد القرن التاسع ينتصف حتى غدت معظم الشعوب الإسلامية تحت سلطان الغرب ، ترسفت في أغلال العبودية سياسيا وعسكريا ، واقتصاديا وثقافيا . وأما التي لم تدخل مباشرة تحت نفوذه فلم تنج من الخضوع له بشكل من الأشكال . ولم تكن الظاهرة الاستعمارية التي حلت بالمسلمين مجرد صدفة ، بل هي نتيجة حتمية لفلسفة الغرب ، وقوته العلمية ، والتقنية المتفجرة من ناحية . ونتيجة لانحطاط الديني والخلقي والعلمي والفكري لأمة الإسلام منذ قرون من ناحية أخرى . ففي شبه القارة الهندية يشهد التاريخ أن الإسلام ما انتشر في هذه الربوع نتيجة جهود منظمة باستثناء أيام الفتح الإسلامي الأولى لما دخل المسلمون الهند فاتحين عام ٨٩ للهجرة بقيادة محمد بن القاسم الثقفي . (١)

وبعد القرن الثاني الهجري لا نكاد نعثر في عصر من العصور اللاحقة على مؤسسة منظمة ، رسمية أو شعبية بذلت جهدا يذكر في نشر الإسلام وتعليم حقائقه للناس .

(١) - محمود شاكر : باكستان ، ص : ١٦ ، ١٧ . والدكتور محسن عبد الحميد

من أئمة التجديد الإسلامي ، ص : ٥١ .

وكل ما هنالك من جهود دعوية فقد تمت عن طريق أعمال فردية للعلماء والدعاة ، وتجار المسلمين الذين ينتقلون من مكان لآخر فيختلط الناس بهم في الأسواق فيرون منهم حسن السلوك ، والصدق في القول ، والوفاء بالعهود وحفظ الأمانات ، فيتأثرون بهذا الخلق الرفيع ، ويسألون عن مصدره ، فيقال لهم مصدره الإسلام ، دين الله الخاتم الذي أنزله للناس كافة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . فيقبلون على اعتناقه والدخول في كنفه زرافات ووحداً . (١)

ومن البديهي أن لا يكون لهذه الجهود العفوية في نشر الإسلام من أثر يذكر على مستوى تعليم الموء منين الجدد دينهم وتربيتهم على عقائده وأخلاقه وتعريفهم بأحكامه الشرعية التي تنظم حياتهم وتنبلها . إضافة إلى انعدام اهتمام الحكومات الإسلامية المتعاقبة على الحكم في الهند بنشر العلم الديني والعناية اللازمة بالمهتدين الجدد في كل جيل . ومن ثم كان حظ الإسلام ضعيفاً في الهند على مر العصور ، ومرد ذلك يعود للأسباب التالية على أرجح التقديرات : (٢)

- لم يستقر العرب المسلمين من أيام الفتح الأولى في الهند .
- ومن دخل في الإسلام من الهنود بعد ذلك لم يتلق تربية صحيحة على يد أشخاص راخين في العلم . ولذلك احتفظ الكثير منهم بتصوراتهم الدينية الوثنية الموروثة .

- ومعظم الحكومات التي تعاقبت على سدة الحكم في الهند لم تستند في حكمها إلى الشريعة الإسلامية إلا شكلياً ، حيث كان همها ينحصر في الحفاظ على الحكم فحسب .
وجل العلماء والشيخوخ الذين جاؤوا إلى الهند كانوا مولعين بفلسفة اليونان وعلومهم ، أكثر من اهتمامهم بالكتاب والسنة .

(١) - أبو الأعلى المودودي : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ، ص : ١٣٠ .

(٢) - محمود شاكر : باكستان ، مرجع سابق ، ص : ٢١ .

وأغلب الطرق الصوفية التي انتشرت في الهند تقول بالحلول ووحدة الوجود . وهم في هذا الاتجاه على نهج متصوفة الهنادك القائلين بالحلول والاتحاد .

- وقد جهل أكثر المسلمين الهنود لغة القرآن - العربية - لأن لفهم الرسمية كانت الفارسية .
- اهتم حكام الهند من المسلمين بالتوسع في حروبهم من أجل جمع الضرائب على حساب نشر دعوة الإسلام بين الناس .
- وكلما فتح المسلمون مقاطعة تركوا أهلها على أديانهم الوثنية وصاروا بينهم أقلية .
- كما حدث أحيانا أن دخل بعض الهنود في الإسلام اما جريا وراء منفعة ، أو بالإكراه كالذي وقع في عهد الملك المسلم تيبو مع أهالي ما ليبار سنة ١٧٨٨ م . إذا صدر هذا الحاكم إلى جيشه أمرا عاما بأن كل شخص في هذه المقاطعة يجب أن يتشرف بالدخول في الإسلام من غير تمييز . وعلى الجيثر أن يحمل الجميع على تغيير دينهم بشتى الوسائل . (١)

٣ - الوضع العلمي والفكري في الهند : لقد كانت الأوضاع العلمية والفكرية للمسلمين في القرن التاسع عشر بالهند محصلة نهائية للسلبات والنقائص المتراكمة عبر العصور السابقة . فأبواب الاجتهاد العلمي موصدة ، والقناعة الراسخة لدى المتعلمين في المدارس والمعاهد الدينية ، وكذلك القائمين عليها ادارة وتدرسا هي : ((أن كل شير قد تم على يد سلافنا ، وهو آخر لبنة في بناء العلم والتحقيق ، لا يضاف ولا يمكن أن يضاف إليه بعدها شئ أبدا وأن أعظم خدمة يمكن إسداؤها إلى الأمة هي أن يذلل ما كتبه الأولون بحواش وشرح يولفونها ويشغلون بتدريسها)) . (٢)

(١) - المرجع السابق ، ص : ٣٣ .
 (٢) - أبو الأعلى المودودي : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ، مصدر سابق ، ص : ١٣٧ . ١٣٨ .

٣ - محاولات الإصلاح العلمي : لقد حفز الانحطاط الديني والعلمي للمسلمين في الهند ، وحركة المد الإستعماري الغربي همم بعض الغيورين من علماء المسلمين على دينهم وأمتهم في البحث عن مخرج من هذا المأزق الحضاري الذي ارتكس فيه وضع المسلمين على نحو فريد في التاريخ فأنشأوا :

أ - دار العلوم ديوبند : بعد عشرة أيام من اندلاع ثورة المسلمين في الهند ضد الأنجليز عام ١٨٥٧ م ، قام المجاهد الإمام محمد قاسم النانوتوي (ت ١٨٨٠) بتأسيس هذه المدرسة لنشر العلوم الشرعية ، وتربية جيل إسلامي لتدارك ما لحق بالمسلمين من هزيمة عسكرية وحضارية على يد الإنجليز .

ب - حركة ندوة العلماء : ومع تقدم الأيام وازدياد نفوذ الإنجليز التعليمي والفكري في أوساط المسلمين وجمود معاهد العلم الديني على اجتهادات فكرية تجاوزتها الأحداث وأصبحت لا تنفع في معركة العصر الدائرة رحاها بين الإسلام الأعزل وبين التفريب المزود بالإمكانات المادية ، البشرية الهائلة . فكر رجلان من علماء الهند في مواجهة التحدي بمشروع تعليمي رائد ، وهما : الشيخ محمد علي المونكيبي ، والشيخ شبلي نعماني ، فقاما وأسا دار العلوم التابعة لندوة العلماء عام ١٨٩٤ م يحدوها أمل إصلاح مناهج التعليم وطرق التدريس من جهة ، والجمع بين علوم الدين وعلوم العصر من جهة أخرى .

ولكي يتم الوصل بين الفئتين المتعلمتين في الهند ، بين علماء الدين والمثقفين العصريين ثقافة غربية ، لا بد من الجمع ((بين القديم المالح والجديد النافع وبين التصلب في الأصول والغايات والتوسع والمرونة في الفروع والآلات)) . (١) على حد تعبير هذه المدرسة .

(١) - أبو الحسن علي الحسيني الندوي : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، ص : ٦٧ .

ثانيا : طبيعة الحضارة الغربية المعاصرة :

١- نشأتها :

نشأت الحضارة الغربية المعاصرة نتيجة تراكم وتفاعل عناصر حضارية مختلفة، انطلاقا مما عرف في تاريخ الذكر الأوروبي إبان القرن السادس عشر بحصر النهضة ويليئه عصر التنوير ، في مقابل الحصور الوسطى المظلمة قبل ذلك التي طنت فيها الكنيسة زهاء ألف عام، ثانيا روحيا وذكريا ،وعلميا وسياسيا ، واقتصاديا واجتماعيا ، على جماهير المؤمنين في أوروبا .

فجمدت الحياة على إثر ذلك ، وساد الظلم الاجتماعي والاقتصادي، وتفشى الانبهاد الفكري والاستبداد السياسي تحت سمن وبصر الكنيسة ممثلة في رجال الدين .

غير أن الفكرة الانسانية ثارت على هذا الظلم والتردي الحضاري العام ، وبدافع من تلك الأوضاع المزرية وغيرها انتقلت أوروبا إلى عصر النهضة عبر سلسلة من الصراعات بين رجال الكنيسة وبين طلائع الثورة على الدين والتحرر الفكري والعلمي من ربقة الوصاية الكنسية على أرواح الناس وعقولهم وأوضاعهم^(١) . وقد حصر مؤرخو الحضارة الغربية العوامل المساهمة في تكوينها فيما يلي :

أ - في عصر يوناني ، أمدها بالتذكير العقلي التأملي وما نتج عنه من فلسفات .

ب- وعصر روماني ، قدم لها الوثنية والمادية والنزعة الاستعمارية
ج - وعصر مسيحي باهت من الكاثوليكية والإصلاح البروتستانتي ، وهو عبارة

(١) - محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة ، ص : ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ .

عن مزيج بين عقائد المسيحية المتحرقة عبر عديد من المباحث التاريخية في مسيرة الكنيسة، وبين الشائخ الرومانية الوثنية والذكر النلسني اليوناني.

د - وعصر إسلامي ، اقتضت أوروبا فيه على استنارة المنهج التجريبي والعلوم والرياضيات ، كل ذلك مجرد عن لأثر العقدي للإسلام وللبيئة الحضارية الإسلامية . (١)

ويؤكد الفيلسوف الفرنسي المسلم رجا* جارودي أن نهضة الغرب لم تكن بدايتها من الإصلاح الثقافي والديني في إيطاليا فحسب بل دعم ذلك إشعاع علوم العرب المسلمين وثقافتهم التي عرفوها في إسبانيا ودرسوها على على علماء المسلمين ، « غير أن هذه النهضة الغربية لم تستمر من العلم الغربي الإسلامي إلا طريقتيه التجريبية وتقنيات هذه الطريقة ، فلم تأخذ منه العجدة التي ترنسها - أي ترغ هذه التقنيات - نحو الإله لتحافظ عليها بذلك في خدمة الإنسان » . (٢)

وقد تمخض عن تفاعل العناصر السابق ذكرها ظهور ثقافة جديدة ذات طابع مادي بحت ، تختلف كل الاختلاف عن الثقافة التي سادت أوروبا زمن هيمنة الكنيسة في العصور الوسطى ، فتمت النقلة فيها للمنهج العلمي التجريبي وللميراث اليوناني الروماني - 680-1800 - المادي الوثني ، على تراث الكنيسة الغرافي المنحصر في ديانة مسيحية منطربة في عقائدها متناقضة في أخلاقياتها مع الحق ومع سنن الفطرة الإنسانية .

ومن ثمة أرغست الكنيسة على الإنحباب من المجتمع وتبصها الدين المسيحي في ذلك ، ولحقت لعنة هذا الإنحباب بعدئذ كل دين مهما كانت

-
- (١) - محمد المبارك : بين الثقافتين الغربية والإسلامية ، ص : ٦٤ .
 (٢) - رجا* جارودي : الإسلام وأزمة الغرب ، ص : ١٩ .

ابنيته ، ونسبته النبوية إلى الحق أو الباطن . وعليه فني أحسن الأحوال مارت «المدنية الغربية لا تبتعد الله البتة ، ولكنها لا تترد مجالاً ولا فائدة لله في نظامها الفكري الحالي» . (١)

٢ - أسسها :

وعن هذه الثقافة المادية الجديدة انبثق تصور عام للوجود أضفى يمثل الخلفية العقدية لجملة المعارف المستحدثة ، فلسفياً وعلمياً ، وأدبياً وغنياً . والأرضية الراسخة لنشوء المذاهب الساسية والاقتصادية ، والفكرية ومنذ الق النظم الاجتماعية المختلفة في الغرب بعد عصر النهضة . وتشكل مقومات التصور العام للوجود أسس الحضارة الغربية فسي المعالم الآتية :

أ - العلمانية : أو اللادينية ، وهي الكلمة الأنسب لترجمة

هذا المصالح في لغاته اللاتينية كما هو في الإنجليزية Secularism أو في اللغة الفرنسية Laïcité .

وقد حدد منضمون هذا المصالح في بيئته التي نشأ فيها كمقابل للاتجاه الديني الكنسي الكاثوليكي ، الذي يحمل معاني الخارق للعادة ، والتقليد والجمود ، وعدم مراعاة النفع ، وإنكار التنوير والتجديد والعلمانية ، أو اللادينية هي الوجه الإيجابي لهذه القيم والمعايير الهابطة التي تتذكر للرقى والتقدم وتبهد حركة الحياة .

ولما كانت القيم السلبية مرتبطة بالدين فإن العلمانية تسير في الاتجاه المعاكس مع القيم التي تقني على الدين وتجعل الإنسان هو المصدر الأصيل للمعارف والقيم والسيار للحق والباطل . «فهي العلمانية - المقابل لما هو ديني كهنوتي على النحو الذي عرفت أوروبا الكاثوليكية في عصورها الوسطى المظلمة» . (٢)

وقد تجسد المضمون الفكري لمصالح العلمانية في الواقع في عزل الدين عن الحياة الاجتماعية للأفراد ، وقصره على الحياة الشخصية لهم حتى

(١) - محمد أسد : الاسائهم على مشرق الشرق ، ص : ٣٩ .

(٢) - د . محمد عمارة : العلمانية ونهضتنا الحديثة ، ص : ١٠ .

ظهرت مقولات تلوح دور الدين من جديد في حين تشير عن الينيز النبي الذي
حشر فيه بعد ظهور فكرة اللسانية .

فأدين لله والوان للجميع ، وأدين صلة بين العبد وربّه (١) فحسب
وفق هذا المنظور المختزل لدور الدين في الحياة أرسى المدنية الحديثة
في الغرب قواعدها ، وانبثقت أنظمة الحياة فيها متشعبة بهذه الروح
إلى حد بعيد . فتحررت من كل أثر للدين ثقافيا وتربويا ، واجتماعيا
وسياسيا واقتصاديا حتى اصابت الحياة في جزئياتها وكلياتها بصبغة
جديدة تميزت بسمتين متنازمتين (٢)

الأولى : عزل الدين عن الحياة الاجتماعية للناس في الغرب حتى صار
عقيدة لا تقبل التبدل ، وأن مجاله لا يتعدى حدود الاعتقاد الشخصي و
العمل الفردي .

الثانية : صار الأحاد فيها من لوازم العقلية الغربية ، والتحلل
من عقائد الدين وقيمه وتشريعاته هو الأصل في كل الأمور ، لأن الإنسان اكتفى
بقدراته العقلية والحسية ، واستغنى من ثمة عن الدين في فهم الحياة
وتنظيمها وتسييرها .

ب- تصور الحياة : لقد تم استبعاد الدين في الغرب الحديث
عن الحياة وتعويضه بالادينية كمنهج في الفكر والعمل ، وأفرز العقل الغربي
مفاهيم شكلت نسقا قدم تصورا ماديا للحياة يركز على :

- أن الوجود ينحصر في الطبيعة والإنسان فحسب ، وأما الغيب فهو أمر
إلحاجة للإنسان الغربي أن يفكر فيه أصلا ، لأنه لا يعتمد الوحي الإلهي كمصدر
للمعرفة أساسا ، وأما المعرفة الممكنة فهي التي تجصل من الحواس
منذلقها ووسيلتها ، التي تزود العقل البشري بالمعطيات الضرورية لإدراك
نظام الحياة . " وقالوا إنما تنحصر الحقيقة في الأشياء التي تقع تحت
الحس أو الوزن أو الكيل أو القياس ، فكل شيء لا يكون من هذا النوع
لاحقيقة له ولا قيمة " . (٣)

(١) - أبو الأعلى المودودي : الإسلام والمدنية الحديثة ، ص : ١٠ .

(٢) - أبو الأعلى المودودي : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ص : ١٤٢ .

(٣) - نفس المصدر ، ص ١٤٤ .

ومن ثمة اقتصر مصدر المعرفة في الشرب على الوجود وحده، وصار
تصريف المعرفة في العالم لدى علماء التربيعة والمعرفة يأخذ بالتحريف
الذي تبنته المنظمة العالمية: UNESCO والقائل بأن: "المعرفة
كل معلوم خضع للحس والتجربة" (١) الحسب.

وعليه فكل المعارف المتعلقة بالإيمان بالنسب وحقائقه في نظر
هؤلاء أمور تُلحق بالخرافة، لأنها لا تخضع للمعرفة الحسية.

ويترتب على ذلك أن هذا الوجود لاخالق له، وأن نظامه السببي
قائم بذاته في عالم الطبيعة، وأن النظم التي تحكم الحياة الإنسانية
والقيم الأخلاقية التي تسودها هي مجرد حوادث طبيعية نسبية غير ثابتة،
تخضع في تطورها لمؤثرات الزمان والديكان (٢).

جـ - المنهج التجريبي: انتقل المنهج التجريبي من العالم
الإسلامي إلى أوروبا في مطلع عصر النهضة، وقد جرده الغرب من محيطه
العقدي والفكري الذي نشأ فيه حيث أخذ بالعلوم الطبيعية التي
أنتجها العقل الإسلامي، وإبان ازدهار الحضارة الإسلامية، وطورها ضمن
روئيته الخاصة للوجود. وقد أكد هذه الحقيقة كثير من علماء
الشرب ومفكره. فهذا برتراند رسل الفيلسوف الإنجليزي المتأخر يقول:
«... إن الأسلوب العلمي ولد من زواج منصفين فكريين آتت بكل واحدتهما
إحدى الحضارات العظيمة، أولهما: تنوير الإغريق، وثانيهما: اختبار
العرب» (٣)

ويقول الفيلسوف الفرنسي غوستاف لوبون: «... كلما أمعنا في درر
حضارة العرب وكتبهم العلمية، واختراعاتهم وفنونهم ظهرت لنا حقائق
جديدة وآفاق واسعة، وسرعان ما رأينا الغرب أصحاب الفضل في معرفة
القرون الوسطى لعلوم الأقدمين، وأن جامعات الغرب لم تعرف لها، مدة
خمسة قرون، موردا علميا سوى مؤلفاتهم، وأنهم هم الذين مدنوا

(١) - د. طه جابر العلواني: الأزمة الفكرية المتعاصرة، ص ١٩.

(٢) - محمد المبارك بين الثقافتين الشريعة والإسلامية، مرجع سابق ص ٩٩.

(٣) - نقلا عن الدكتور أكرم شياخ العمري: التراث والمتعاصرة، ص: ٦٢.

أوروبا مادة وعقلًا وأخلاقًا ، وتأثير العرب عظيم في الغرب ، وهو قسبي الشرق أشد وأقوى ...» (١)

والملاحظ أن المقصود بالعرب هنا عموم المسلمين على اختلاف أعراقهم وأولادهم ، أبناء الحضارة الإسلامية الذين أسهموا جميعاً في البناء الفكري والمادي والعلمي لهذه الحضارة .
ومما يسجل على الحضارة الغربية أن النجاحات المتتالية التي حققتها في ميدان المعرفة العلمية والتقنية زادت من اغترارها والشعور بالاستفناء عن القيم الدينية عمومًا ، وأبرزت لابلها المادي مع مرور الزمن الذي تشكل من مركب التراث الوثني الإغريقي الروماني وطريقة المنهج التجريبي ونتائجه .

٢ - تقويم رؤية الحضارة الغربية :

تمثل الحضارة الغربية المناسرة خلقة في سلسلة الحضارات الإنسانية عبر التاريخ ، وقد عرفت البشرية على عهد ما تراكمات مصرفية وتقنية في شتى الميادين العلمية والصناعية لم يعرف لها مثيل من قبل .
وبقدر ما أحرزت هذه الحضارة من إيجابيات على صعيد المعرفة العلمية وتخسير الكون تخيرا أمثل ، انتكست على مستوى التصور العام للوجود ، الذي أقامته على النظرة المادية للحياة ووجود الخالق عز وجل .
ويؤكد الإمام المودودي هذه الحقيقة ، من أن أمم الغرب والشرق جميعاً قد حلت بهم نكبة واحدة ، وأسست حكمتها النظرية والعملية على قواعد باطلية مرتدما وءما في عروق أنظمتها الثقافية والاجتماعية والسياسية واقتصادية ، وكل ما يتصل بها من شؤون الحياة . (٢)
والناظر إلى الحضارة الغربية نظرة المتفحص الذي ينشد الحق ويطلب الحكمة ويأخذ بها أنى وجهها ، فلا بد أن يميز بين أسس هذه الحضارة: ووسائلها .

(١) - نقلا عن الدكتور عماد الدين خليل : إعادة تشكيل العقل المسلم ص ٧١

(٢) - أبو الأعلى المودودي : نحن والحضارة الغربية ، ص ٨٣ .

نظراً للمبادئ، وأنشأ من الحسية، وأنشأ شأن لا مزية فيه، وأما
 نسيب الوسائل والمنجزات من الإيجابية فكبير، ومن الوسائل والمنجزات،
 العلوم وتطبيقاتها التقنية، ومناخ البحث العلمي.
 ولمن كانت هذه الوسائل والمنجزات لا تشمل ^{بمعزل} عن المبادئ والتصورات
 ومن ثمة فأخذ بها في إطار التصور الإنساني للوجود يتتني تكييف غاياتها
 ومراميها مع المنظومة العقدية الجديدة، وبهذه الكيفية فقط يمكن الاستفادة
 من وسائل الحضارة الغربية الماصرة ومنجزاتها، ثم القدرة على استيعابها
 وتطويرها.

ولملى هذه البصاني يشير المودودي في قوله: «لابد أن نميز ما حازه
 الشرع من الرقي الحقيقي في المدنية، من دلالته في فلسفة الحياة ووجهة
 الفكر والنظر والأخلاق والاجتماع، ثم نأخذ الأول ونستفيد به، ونضرب
 المصحح عن الثاني ونلهم من أدناسه شوقاً ونحياتنا كلها» (١).

ولئن استطاعت الحضارة الغربية منذ عصر النهضة إلى اليوم أن تبعد
 الخرافة في ثوبها القديم عن تفكيرها، فإننا نجد ما تقع في أسرارها
 صنعتها من وحي الوهم، والتخيل، والظن.

فيما سماه المفكر الأنجليزي «الدور هكسلي» بأوثان العصر الحديث:
 كاللذة، والولن، والقومية، والجمامير، والشعب، والعقل (٢).
 ويجزم (توماس بييري) أن ماتعانيه الحضارة الغربية يتمثل أساساً
 في خلل جوهري يتمثل في نظرتها للوجود، أي بروايتها الكونية المختلفة
 يقول: «فالقضية كلها قضية نظرة، ونحن الآن بالذات نواجه مشكلة
 لأنه ليس لدينا نظرة مقبولة، فلا نظرة القديسة توماسي دورما على الوجه
 السليم، ولا نحن تعلمنا النظرة الجديدة» (٣).

ويقصد بالنظرة القديمة، التصور الغربي للوجود الذي يستند إلى
 المادية العلمية التي تؤكد أن لا وجود إلا للمادة في هذا الوجود. وأن
 الأشياء جميعاً قابلة للتفسير بلغة المادة فحسب.

(١) - المودودي: واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، مصدر سابق، ص: ١٦٩
 (٢) - محمد القبلر: مجلة المسلم المعاصر، عدد: ١٤، ص: ١٣
 (٣) - روبرت م. أغروس وآخرون، ترجمة الدكتور كامل خليلي: العلم في
 منظور الجديس، ص: ١٥.

وأما النظرية الجديدة ، فيضد بها انهيار التمسكات العلمية التي تأسست عليها النظرية القديمة ، بنظر التاور الساسي الذي حصل منذ بداية القرن العشرين الميائدي الحالي . فمع اكتشافات (أينشتاين ، وهايزنبرغ ، وبور) وغيرهم من علماء الفيزياء ، وعلم الكونيات المهتم ببحث أصل الكون ، وبنيتة وقوانينه ، وتاوره ، ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن المادة ليست أولية ، وأن الكون في تطور وتمدد مستمرين ، فدعوا إلى الإيمان بعقل أولي الوجود يدبر هذا الكون ويرعى شؤونه . (١)

ويزيد الصورة وضوحاً أكثر تحليل رجا ، جارودي ، لسبق أزمة الحضارة الغربية المتأتية من إفسا التيم التي تسودها منذ بداية نشأتها في نهاية التصور الوسطي .

وأن مصير البشرية آيل إلى الهلاك إذا ما ستمر زمام قيادتها لهذا الكوكب على فلسفتها ونهجها في الحياة .

يقول : «إن ما يبين الرجال والنساء في العالم قاطبة على اختلاف عقائدهم من الذين يحبون سلامة المستقبل ، ليخلصوا عن يتين أن الحضارة الغربية قد أفست ، وأنا لو انقذنا لها لأدت إلى هلاك هذا الكوكب الذي نعيش فيه ...» (٢)

لقد مضت خمسة قرون من هيمنة الشرب على العالم لم يشاركه في سدلانه الفاسم أحد ، أي منذ أن أعلن (فارست) عن استكفاء الإنسان الأوروبي في مطلع عصر النهضة ، كما يقول على لسانه الكاتب (مارلو) :

«أيها الإنسان : بحقلك القادر تصبح إليها ، تصبح سيداً للعناصر جميعاً ومهيماً عليها» (٣) ومنذ ذلك الحين مارنا لفردية تنني كذلك العودة إلى مفهوم السوفستائيين القديم : الإنسان مركز كل شيء ومناطه أو قياسه .

(١) - المرجع السابق ، صفحة الفلاذ الخارجي للكتاب .

(٢) - رجا ، جارودي : ميثاق اشبيليا ، ص : ٠٩ .

(٣) - المرجع السابق ، ص : ١٠ .

وبهذا تملئ الشرب عن التيمم الملائكة لصالح التيمم النسبية ، فصار
 «... دينه هو الاعتقاد الأعنى في إله خفي هو "النماء المادي" أي الرغبة
 في إنتاج أوفر ، وإنتاج يتكاثر بسرعة متزايدة ، وإنتاج أيما كان مفيدا
 أو غير مفيد ، ضارا أو حتى مهلك كما هو الحال في إنتاج الألحسة وهي
 أكثر الصناعات ربحا . هذا الإله الخفي أننا هو إله قاس إذ يتطلب ضحايا
 من البشر .»

أما ما يميز هذا المنصب الموء من إله زائف أنه يقدر استكفاء الإنسان
 بدلا من الإيمان بالله الصمد ، ويعلو بالفردية فوق الجماعية « (١) .
 فتصير من هذا المنطلق الحضارة الشربية تجربة أوروبية خاصة قاصرة
 عن استيعاب الحياة ، ودون المستوى الذاتي للإنسانية بكثير ، إذ تعبر
 عن خليط من الأفكار متنوع المصادر والمشارب فمن وثنية اليونان ، إلى
 مادية الرومان ، ومن روحانية الكنيسة الخرافية إلى عقائدية ديكا زنية
 صارمة .»

وكل هذا أدى إلى سوء فهم للإنسان وتقدير لقيمته ولدوره في الحياة
 فتراه يفر من إله الخالق الحق إلى تأليه الطبيعة ، أو اتخاذه إنسانا
 مثله ربا من دون الله ، فتكون النتيجة تيه الإنسان وضياعه في مجال القيم
 العليا ونظرته إلى الحياة ، وكان من الحتم أن تتولد عن هذا الفصل الحضاري
 ثقافة اليأس والضياع والسنف .»

ثالثا : العالم الإسلامي والشرب :

تصيرت الفزوة الإستعمارية الحديثة للعالم الإسلامي - منذ نهاية القرن
 الثامن عشر - بنزعتها العدائية التي سعت من خلال الاحتلال العسكري إلى
 تبديل ثقافي شمولي غربي الوجهة ، يلمح إلى تكريس أوضاع تضمن تبعية
 المسلمين له تبعية دائمة .»

لقد وعى الغرب من تجربته التاريخية في صراعه مع المسلمين - بعد
 الحروب الصليبية - أن الاحتلال العسكري - لئمة الإسلامية وإخضاعها
 بالعنف ، والتسلط السياسي عليها بالقهر والغلبة ، والنهب الاقتصادي

(١) - المرجع السابق ، ص : ١٠

لغيراتها ، أوضاع كلها قد لا تدوم . ويأتي يوم تسترجع فيه إرادتها وقوتها بتحرير من الإسلام ، فتتحرر من سيطرة المستعمر ونزوده ، كما حصل بالفتر في نهاية الحروب الصليبية في العصور الوسطى لما طردهم المسلمون وأجلوهم عن آخرهم من بلادهم بعد صراع مرير دام من (١٠٦٦ م الى ١٢٩١ م) ، أي نحو قرنين من الزمان . (١)

ولذلك تفيد قادة الحرب من مفكرين وسياسيين بعد النزوة الإستعمارية الحديثة لبلاد المسلمين إلى أن لإحكام القبضة نهائيا على العالم الإسلامي يتطلب خوض المعركة وتحليم المكونات العنصرية والفكرية والحنارية والأنماط المعيشية والإنتاجية ، وإحلال مكونات أخرى غربية محلها تشكل قاعدة أساسية لتبعية مقبلة لذلك للمسلمين منها أبدا . (٢)

ورغم أن الجو لم يخل للحركة الإستعمارية الحديثة في سلخ الأمة جملة عن دينها وثقافتها ، إلا أن المشروع الذي خط له دماقنة الإستعمار والتفريب أنجزه قسط لا بأس به أثناء مرحلة الإستعمار المباشر ، وبعد الاستقلال أكمل الجزء المتبقي بواسطة الدولة القومية ، أو الولائية بفعالية أكثر لما لمشروع هذه الدولة من صلات قوية وتبعية شكرية للدولة المستعمرة خصوصا ، وللشرب عموما .

١ - الوضع السياسي في الهند خلال القرن التاسع عشر :

دخل الإنجليز شبه القارة الهندية عن طريق التجارة في نهاية القرن السادس عشر الميلادي بواسطة شركة الهند الشرقية الإنجليزية مع كل من الشركات التجارية البرتغالية والهولندية والفرنسية ، وكان لموج كل شركة في البداية هو نيل الحظوة لدى الحاكم المسلم في المملكة الإسلامية بالهند . (٣) حتى تتمكن كل شركة من تسهيل عملياتها التجارية في تصدير محصولات الهند الزراعية ، والمواد الخام ، إلى بلدانها . وقد كان لهم ذلك ليلة القرنين السابع عشر

(١) - د . محمد عمارة : أبوالأعلى المودودي والصحة الإسلامية ، ص : ٥ .

(٢) - منير شفيق : الإسلام في معركة الحضارة ، ص : ٧ .

(٣) - حمد بن صادق الجمال : أبوالأعلى المودودي ، حياته وذكره السقدي ص ٤٤

والتامن عشر ، ولم يشك حكام الهند المسلمين في نوايا هذه الشركات الاستعمارية ليمّا كانوا يتمتعون به من قوة، وعزة، ووحدة . ومع مرور الأيام بدأت علامات التدهور تدب في أوسال الحكم الإسلامي بالهند ، فتأهت الشركات الساملة بها تتصارع من أجل بساط هيمنتها ونفوذها على هذه البلاد ، فأعلنت بذلك عن نيتها السببسة وترصد الفرون والتحين للمناسبة المواتية للانقناز على الصيد الثمين . وكان حظ شركة الهند الشرقية الإنجليزية هو الفوز في الجولة الأخيرة على قريناتها الأوروبيةات ، فخلا الجو لها لتفعل ما تريد بالبلاد والعباد .

وبدأت الصفة التجارية تختفي شيئا شيئا عن شركة الهند الشرقية مع الأدوار السياسية التي أصبحت تقوم بها ، فأخذت تنزب الأمراء بعضهم ببعض ، عن طريق شراء ذممهم بالمال والإيقاع بينهم ، حتى وصل الأمر بها إلى حكم بعض المقاطعات الهندية حكما مباشرا من سنة ١٨٢٣ م إلى سنة ١٨٥٧ م . (١)

ومع مرور الوقت استمر ضعف الدولة المنشولية الإسلامية في الهند وتقلص سلطانها الفعلي تدريجيا : « وبعد ذلك أصبح معظم الأمراء تحت حماية الإنجليز واستولى على الأمراء الخمول وانغمسوا في جمع الثروة والتمتع بالماني ، وأما ملوك الدولة المنشولية فأصبحوا لاجول لهم ولا قوة ... » (٢)

ولم يكذ ينقضي النصف الأول من القرن الثالث عشر حتى عم نفوذ الشركة الإنجليزية كل المؤسسات في البلاد ، وغدا سلطانها نافذا في كل مجال بلا منازح . وأمام هذا العجز البين الذي كلف الحياة برمتها في بلاد الهند، عم البلاد عام ١٨٥٧ م سخا عارم تجلى في حركة ثورة انتاذا عامة ، « وتزعج هذه الثورة المسلمون وبصر المندوس الذين نكبهم الإنجليز » . (٣) واستمر القتال عدة أشهر من تلك السنة وكاد الثوار المسلمون أن يزيحوا السلطة البريطانية عن الهند ، إلا أنه لم يتيسر لهم النصر ، وفي نفس العام بعد إخماذ الثورة أعلنت الملكة (فيكتوريا) عن ضم الهند إلى مستعمرات التاج البريطاني ، « وانفرد العدو الحاقذ بالمسلمين - اصحاب الحكم السابق - يفعل بهم ما يشاء له حقه ... وكل من أمعن في تاريخ الهند في

(١) - المرجع السابق : ص ٤٧

(٢) - المرجع السابق : ص : ٤٧

(٣) - المرجع السابق : ص : ٤٩

المائة سنة الماضية ودرسه درساً وانياً ، يمهّد لهم بأنهم لم ينفلوا عما عزموا عليه ، ولا طرفة عين ، وأنهم لم يجدوا فرصة للتذكير بالمسلمين إلا انتهموا بها

٢ - المسلمون بعد ثورة ١٨٥٧ :

خرج المسلمون بعد ثورة ١٨٥٧ مجروحي الكرامة ، يعانون من ذل الهزيمة وتملكهم فزع مزروع ، فنسفت سمهم ونخل نوسهم اليأس بنفلك واقصم المهيسن من جهة ، ومواجهتهم لقوة لا تقبل لهم بها عسكرياً وسياسياً واقتصادياً ، وفكرياً من جهة أخرى . أمام هذا المخلل الكبير في سوازين القوة بين المسلمين والإنجليز ، تدخل الهند مرحلة الغزو العسكري المباعر الذي ستتلوه عمليات الغزو الفكري والحناي بأوسع معانيها .

فيتخذ الإنجليز من لغتهم أداة التلقيم بين المسلمين ، مبعدين اللفتين الفارسية والتربية عنه ، ويلتتون المحاكم الشرعية ومنها القوانين الإسلامية ، وينفذون في الحياة المدنية والجنائية القوانين الوضعية ، وتم القانون الإسلامي في الأحوال الشخصية من زواج ولث وميراث ، هذا بين المسلمين ، ويوكك أمر انفاذ هذا القانون إلى المحاكم المدنية العامة ، وغالبا ما يكون حكامها من غير المسلمين فيعمدون بوعي وبخبر وعي إلى مسح القوانين الإسلامية وتشويهها مع مرور الزمن .

ثم دعم الإنجليز ، هجومهم اللغوي والثقافي والتشريعي ، بتعطيم أنماط المعيشة والحياة الاقتصادية للمسلمين ، إلى أن وصلت أمة الاسلام في الهند في وقت قصير إلى وضع مزر وتخلف مادي وانحلال ذكري وفساد أخلاقي . (٢)

وأما من يريد أن يتخلى هذه الأحوال السيئة من كان الهند مسلمين وغير مسلمين ، فما عليه إلا أن يعلن ولاءه الملق للتعليم الإنجليزي الرسمي ويطلب الرزق عن طريقه .

كان هذا الوضع بعد إخماد ثورة ١٨٥٧ م ، وما تلاها من سياسة قمع وتجويع واضطهاد ، الأمر الذي دفع الكثير من أبناء الأمة تحت ضغط الحاجة والهزيمة النفسية إلى الرضوخ للمشروع التفريري الذي خلط له الإنجليز انطلاقا من مؤسسة التعليم .

(١) - المرجع السابق ، ص : ٥٠

(٢) - اسودودي : نحن والحضارة الغربية ، صدر سابق ، ص : ٢٩ .

٣ - مدرسة سيد أحمد خان الفكرية

ومن الأثار المبكرة لنزول الفكر والتبديل الثقافي للمسلمين في الهند من خلال مؤسسة التمثيل ، السد الذي قام به سيد احمد خان عام ١٨٢٥ ، وهو تأسيس كلية إسلامية إنجليزية ، تعرف اليوم باسم جامعة عليكره الإسلامية . وقد كان هذا الرجز من أثار الحكومة الإنجليزية وممن سعوا في إخضاع ثورة المسلمين عام ١٨٥٧ م ، ونال على ذلك مكافآت عديدة من الإنجليز من بينها :

توليته وظائف حكومية ، وقضاية ، وسمح له بإنشاء مجمع للتأليف والترجمة والنشر ، وأصدر مجلة تهذيب الأخلاق لنشر توجهه الفكري بين المسلمين . (١)

ففي عام ١٨٦٦م قام سيد أحمد خان بزيارة إلى الجزر البريطانية ، فكان أول مسلم هندي يقوم بهذه الرحلة المبكرة في السنين الأولى لاختلال ، وقد قوبل بحفاوة بالغة في لندن ، ودكت الرجل بها سبعة عشر شهرا حظي فيها بصحبة علية التوم في حله وترحاله ، نال على إثرها العضوية الفخرية في الجمعيات العلمية ذات الشرف الكبير .

كما أطلعته الإنجليز على الشغل والمشاريع التي مكنت بلاد الإنجليز من التقدم والنفوذ الذي تنعم به آنذاك على حساب المستضعفين في الأرض من خلال نهب خيرات سكان مستعمراتها المتناثرة في أرجاء الإمبراورية التي لا تنيب عنها الشمس كما كانت تصرف في ذلك الحين .

ويصف أبو الحسن الندوي عودته من رحلته تلك بقوله : « في ٠٢ أكتوبر عام ١٨٢٠ رجع سيد أحمد خان من بريطانيا إلى الهند مبهورا متحمسا إلى تقليد الحضارة الغربية ، وإصلاح المجتمع الهندي على أساس تقليد المجتمع الأوروبي في مبادئه وقيمه .

وتبنى هذه الدعوة بكل إخاض وبكل حماسة ووهب لها مواهبه كلها وأصبحت نظرتة مادية بحتة تخضع للقوى الطبيعية والسنن الكونية - كما يفهمها - خضوعا زائدا ، ويخضع لها عقيدته ويؤهل على أساسها القرآن تأويلا يبلغ به حد التحريف والعبث بأصول العربية واللغة والنحو ، والتواتر والإجماع

(١) - أبو الحسن علي الحسيني الندوي : الصراع بين الفكرة الإسلامية

والفكرة الغربية ، مرجع سابق ، ص : ٧١ .

فصار يفسر القرآن تفسيراً يمزج فيه الإيمان ، وينتق به اللثة ، ويشير الصجب والإنكار في الأوساط الدينية والتعليمية (١).

وقد تحولت حركة سيد أحمد خان التعليمية إلى حقل خصب لتفريب أبناء الأمة الإسلامية في الهند ، وقد تعرض لنقد شديد من الدوائر التقليدية الإسلامية في أيامه ، ولكن سار على نهجه الكثير من أبناء المسلمين ، وهم الفئة التي قادت المسلمين إلى قيام باكستان وحكمت البلاد بنقلية القرب ونهجه في الحياة بعد استقلال الهند عام ١٩٤٧ م .

٤ - الحركة القاديانية :

حرص الإنجليز أينما بند ثورة ١٨٥٧ م في خلتهم على غزو العقيدة الإسلامية من داخلها ، إلى جانب مشروع نشر المسيحية بين الهندوس والمسلمين من زرع بذور الإلحاد والثقافة العلمانية في التشريع والتعليم والإعلام ، وفي سائر الميادين الحيوية للمجتمع .

ولقد كان للانحطاط الشكلي والحضاري للمسلمين في العالم أجمع وفي شبه القارة الهندية بالأخص دور كبير في تهيئة الأجواء النفسية والاجتماعية إلى جانب حركة التفريب مع نهاية القرن التاسع عشر في استقبال الدعوة القاديانية في محيط حافل بالخرافة ، والخوارق العجيبة ، والأمية الدينية . وساعد على ذلك بأسر المسلمين من إصلاح أنواعهم المتردية بالشرق العادية الطبيعية ، فهما وتبيرا ، فبدأت أعتاقهم تشرب إلى منقذ جديد يملأ الدنيا عدلا بعد أن ملئت جورا وعدوانا . فكثرت الحديث في جميع الأوساط عن الفتن ، وكثرت التنبؤات والإلهامات ، وذاخ الكلام عن المناومات والتكهنات والتخرصات المبهلة .

وقد كانت دعوة الميرزا غلام أحمد النالة على موعد مع هذه الظروف والإمكانات المتاحة ، لنشر إلحاده ومروقه من الدين الحق بادعاء النبوة في قرية " قاديان " بمقاطعة بنجاب ، هذه المقاطعة التي يصفها بضعافها الفكرية والاجتماعية العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي قائلا : « وكانت

(١) - المرجع السابق ، ص : ٥٤ .

بنجاب أكبر مجال للثقل الذكري وانحاضا عديدة واللم ، لقد قاست هذه
الناحية من بلاد الهند " حكم السكة " التي كان أشبه بالحكومة العسكرية
أو الحكم السرفي تسامين حولا ، تزلزلت في ماضيها الثالث ، وهنت الحمية
الدينية وفقدت الشافة الإسلامية الصحيحة » (١)

وقد كان الإنجليز وراء هذه الدعوة لها من أباد بيضاء في صد
الثورة عنهم ، وإفساد لدين الاسلام من الداخل ، وتضليل للمسلمين ، وتشيت
لهم بانتشار هذه انحلة فيهم ، وكاد شر هذه الدعوة ^{أن يكون} مستائرا على الإسلام
والمسلمين في شبه القارة الهندية لولا أن ميا الله سبحانه وتعالى لهذا
الدين الحق الحفظ من لدنه ، وسخر من المسلمين من يذب هذه التللات
عن أنجان المسلمين وقلوبهم . أمثال الدائمة رحمة الله الهندي ، والعامة
الدكتور محمد اقبال والشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي والإمام أبي الفلي
المودودي وغيرهم ، الذين واجهوا خسر هذه الديانة الجديدة بكل ما أوتوا
من قوة البيان والحجة .

وقد عرفت أسرة الميرزا غلام أحمد القادياني بخدمتها للإنجليز وهذا
ما صرح به هو نفسه في " كتاب البرية " نقلا عن كتاب أبي الحسن الندوي
" القادياني والقاديانية " . يقول الميرزا غلام أحمد : « لقد أقرت الحكومة
بأن أسرتي في مقدمة الأثر التي عرفت في الهند بالنصح والإخلاص للحكومة
الإنجليزية ٠٠٠ وقد قدم والدي فرقة مؤلفة من خمسين فارسا لمساعدة
الحكومة الإنجليزية في ثورة عام ١٨٥٧ م ، وتلقى على ذلك رسائل شكر
وتقدير من رجال الحكومة ، وكان أخي الأكبر " غلام تادر " بجوارا لإنجليز
على جبهة من جبهات حرب الثورة » . (٢)

وقد ظل هو نفسه طيلة حياته يناضل بلسانه وقلمه لمصر قلوب
المسلمين إلى الإخلاص للإنجليز قلبا وقالبيا ، ويعترف بأشنع ما قدمه من
خدمات لسياده بقوله : " لقد ظللت منذ حداثة سني ، وقد ناهزت اليوم الستين

(١) - أبو الحسن علي الندوي : القادياني والقاديانية ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) - نفس المرجع ، ص ٢٥ .

أبا عبد بلساني والتي تُعبره الدوب المسلمين ليُخاض للحكومة الإنجليزية ...
 وأنادي بالثناء عكزة الجهاد التي يدين بها بما فيها لهم والتي تسندهم من
 الإنش لهذه الحكومة. (١)

٥ - مراحل تطور الدعوة القاديانية :

بين الإمام المودودي في كتابه ماهي القاديانية ؟ المراحل التاريخية
 في تطور هذه الدعوة الكاذبة والإفصاح عن نواياها الحقيقية الهادمة لدين الله
 في الصميم ، إن تطلعت دعواها بمسائل العقيدة الكبرى أساسا وتجمعت حور
 النبوة بالذات .

١ - شهر الميرزا غانم أحمد القادياني كأحد الدعاة إلى الإسلام والمظنرين
 لخصومه من غير المسلمين عام ١٨٨٠م .

٢ - وفي عام ١٨٨٨ نادى في المسلمين واللب منهم البيعة ، وكان يدعي
 في ذلك الوقت أنه "مجدد العصر" و "مأمورا من الله" . كما يظهر
 للناس مماثلته للمسيح في أسلوب دعوته .

٣ - وفي سنة ١٨٩١ م أعلن أن المسيح قد مات ، وأدعى أنه هو المسيح
 الموعود والمهدي السهمود ، مما أثار في المسلمين نجة كبيرة على
 اثر سماعهم لهذا الادعاء .

٤ - وفي سنة ١٩٠٠ م بدأ الخاصة من أتباعه بلقبونه بالنبي صراحة ،
 وينزلونه المكانة المرموقة التي قد خصها القرآن بالأنبياء .
 وكان يحاول اقناع المترددين في الإيسان بنبوته ، بتأويل نبوته
 بكلمات : " النبي الناقص " أو " النبي الجزئي " أو " النبي المحدث "

٥ - وفي سنة ١٩٠١م أعلن السيرزا بوجه سافر أنه الرسول والنبي ولم
 يعد يقيد نبوته ورسالته بكلمات النقص ، أو الجزئية ، أو المحدثية .

٦ - وفي عام ١٩٠٤ م أضاف الميرزا دعوى جديدة الى ما سبق من دعاويه وهي
 أنه " كرشن " وكرشن هذا معبود من معبودي الهنادك .

وقد وافاه الأجل المحتوم على ما هو عليه من افتراء صرخ على دين
 الله عام ١٩٠٨ م (٢)

(١) - ابو الأعلى المودودي : ماهي القاديانية ؟ ص : ١٢ .

(٢) - المصدر السابق ، ص : ١٣ .

الفصل الثاني

حياة أبي الأعلى المودودي

أولاً : مولده ونسبه :

ولد الإمام المودودي في مدينة " أورثك آباد " (١) إحدى مدن ولاية حيدر آباد الدكن الإسلامية بجنوب الهند في ٠٣ رجب ١٣٢١ هـ / ٢٥ سبتمبر ١٩٠٣ م من أبوين كريمين في بيت عرف بالعلم والدعوة إلى الله منذ أمد بعيد ويرجع الأستاذ المودودي في نسبه من حيث أجداده الأواثر إلى أسرة عربية (٢) من هاديات أهل البيت نزحت من شبه الجزيرة العربية خلال القرن الثالث الهجري إلى بلاد الأفغان، وقد استقر بها المتام أول الأمر في مكان يدعى " جشت " قرب مدينة " هرات " على الحدود مع إيران. ويعد " أبواحمد إبراهيم كبير هذه الأسرة المؤسس الأول لطريقة صوفية عرفت فيما بعد في الهند باسم " الطريقة الجشتية " التي خلفه في مشيختها حفيده من بنته ثم خلفه ابنه الأكبر الشيخ " قلب الدين مودود الجشتي " .

وهذا الأخير يمثل البند الأعلى لشجرة المودودية ، وفي أواخر القرن التاسع الهجري ، ارتحل أحد فروع الأسرة المودودية إلى الهند ، وكان شيخ هذا الفرع اسمه : " أبو الأعلى المودودي " ، وقد عرفت هذه الأسرة طيلة تاريخها في الهند بالطم والورع والتقوى والنمل في سبيل الله . وقد سمي والد الإمام المودودي السيد أحمد حسن ابنه باسم جده الأكبر : أبو الأعلى المودودي " . (٣)

ثانياً : نشأته وتعليمه :

وقد هبياً السيد حسن لابنه الأصغر " أبو الأعلى المودودي " عند مجيئه

(١) - خليل أحمد الحاصدي : الإمام أبو الأعلى المودودي ، حياته ، دعوته

جهاده ، ص : ٥٠ .

(٢) - د. محمد عمارة : أبو الأعلى المودودي والصحة الإسلامية ، مرجع سابق ص ٢٢

(٣) - حمد بن صادق الجناب : أبو الأعلى المودودي حياته وفكره العقدي ، مرجع

سابق ، ص ٧١ .

إلى الدنيا تنشئة أئمة داخل الأسرة وتدوا حسنة أترت على مستقبليه كله ،
وعن ذلك يتحدث الإمام السوداني بقوله (وبعد مولدي بسنة واحدة انصرف والدي
عن الدنيا ، وعاش لثلاث سنوات حياة كلها زهد ، عاد بندينا إلى الحياة العادية
ولكنها حياة يفلب عليها الطالب الديني ، وكانت هذه هي الحياة التي تفتحت
عيني عليها ، حياة يلبسها طابع الزهد والتقوى ، ذلك الطابع الذي يلبس
حياة والدي ووالدتي بطابسه الذي نتج عنه أثر كبير في حياتي رسم على عقلي
وقلبي منال دينية عميقة) (١)

وفي البيت تلتقى السوداني بتعليمه الابتدائي عن أبيه ، فأخذ يقوم
كل اعوجاج يظهر على لسانه ، ويحكى له قصص الأنبياء والرسل عليهم الصلاة
والسلام ، وينتسبه تاريخ الإسلام والهند ما ، قامدا منورا ذلك تعليمه
وتربيته على الإسلام تربية مواترة . وكان يدع له منه وهو صغير إلى زيارة
أصدقائه من العلماء والمثقفين ثقافة عالية حتى يكتب السادات الطيبة
نتيجة مخالطة أهل العلم والورع . (٢)

وعند بلوغه الحادية عشر من عمره دخل المدرسة - فالتحق بالصف الثامن
مباشرة - ويحود ذلك لنا ظهر منه من تفوق في المستوى على أقرانه . وقد
بدا تأثير والده على منحنى اتجاهه الدراسي وانحاز في اهتمامه أكثر بدراسة
اللغتين العربية والفارسية ، ودرس الفقه والحديث والمنطق ، إلى جانب
الكيمياء والطبيعة والرياضيات .

وفي عام ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م ، اجتاز السوداني امتحان (المولوي) (٣) وحصل
على تقدير جيد فقط لضعفه في الرياضيات ، وبعد ذلك التحق بدار العلوم
لمواصلة دراسته ، غير أن الظلم الذي أتحد والده عن الحركة فجأة اضطره
للانقطاع عن طلب العلم ومثزمته والسهر على خدمته حتى وفاته عام ١٩١٢ م .

- (١) - أسعد جيلاني : أبوالأعلى المودودي ، فكره ودعوته ، ص : ٢١ ، ٢٢ .
- (٢) - المرجع السابق ، ص : ٢٤ ، ٢٥ .
- (٣) - المولوي : شهادة تعادل درجة الليسانس اليوم ، نقلا
عن د . محمد عمارة أبوالأعلى المودودي والصحوة ص ٣١

ثالثاً: اشتغاله بالصحافة والسياسة والتأليف:

١ - نشاطه الصحفي : بند وفاق والده واجه حياة عسيرة جلته ينسار ر مقعد الدراسة بدار العلوم التي دخلها حديثاً . فنزم على كسب عيشه بكسب يمينه وعرق جبينه ، وولف دلول البانذ وعرضها حتى استقر به المقام في مدينة "بنجنور" بالهند ، حيث شارك أثناء الصحى " أبو الخير المودودي" في العمل محرراً بجريدة " المدينة " ، وبعد مدة قصيرة انتقل إلى جريدة أسبوعية بنفس المكان اسمها " تاج " . وقد عرفت تلك المرحلة تحركات سياسية نشطة بين المسلمين الهنود " ... وعلى رأسها حركة المحافظة على الخلافة الإسلامية" (١) التي أسست سنة ١٩١٩م بعد هزيمة الخلافة العثمانية مع دول المحور عقب الحرب العالمية الأولى .

٢ = نشاطه السياسي : وفي نفس الفترة تأسست " جمعية إعانة وغوث المسلمين" ، نحاي الصدام مع الهندوس . وفي تلك الأثناء يهرع الشاب الصحفي أبو الأعلى المودودي إلى الالتحام بالقضيتين فكريا وعمليا ، ويطلق من غائل عمله في حركة إحياء الخلافة على المشاكل العالمية للبعث الإسلامي ، كما يدرك بعينه في حركة إعانة وغوث المسلمين المعضلات المحلية الخاصة بالبعث الإسلامي في شبه القارة الهندية ، ومن هذا المنطلق تتجمع في يده بذور منال المشروع الذي نذر له باقي أيام حياته وهو بعث أمة الإسلام من جديد . (٢)

٣ = نشاطه التأليفى : وقد كان من نتائج الاهتمامات الأولى للمودودي بقضايا أمة الإسلام ، إصداره كتابين الأول بعنوان : " النشاطات التبشيرية في تركيا " . والثاني " مجازر اليونانيين في سمرنا " . وبمرور الزمن عليه في العمل الصحفي والسياسي تمكن المودودي في مدة قصيرة من التعرف إلى الشخصيات العلمية والزعماء السياسيين في الهند .

(١) - خليل أحمد الحامدي : مرجع سابق ، ص : ٨٠

(٢) - د. محمد عمارة : أبو الأعلى المودودي والصحوة ، مرجع سابق ، ص : ٣٢ ، ٣٣

كما ساعدت مقالاته الرصينة السوثررة التي كان ينشرها بجريدة "ناج" في تقديره والإعجاب به من قبل كبار جمعية علماء الهند ، أمثال مفتي الديار الهندية الشيخ كفاية الله الدهلوي ، والشيخ أحمد سيد المشهور بحبان الهند .

وفي عام ١٩٢١ م ، قررت جمعية علماء الهند إصدار جريدة باسمها في عاصمة البلاد " دهلوي " ، فأستقدمت الشاب - أبو الأعلى المودودي الصحفي اللامع البالغ من العمر آنذاك سبع عشرة سنة كرئيس تحرير لجريدة المسلم تقديراً لوعيه السياسي وكفاءته الرائعة في ميدان الكتابة والصحافة . واستمر بهئده الجريدة إلى عام ١٩٣٣ م . وفي عام ١٩٢٤ م أصدرت الجمعية جريدة جديدة باسم " الجمعية " ، انتقل إليها بسببته رئيس تحرير حتى سنة ١٩٢٨ أين توقف نهائياً عزالتمل بجرائد جمعية علماء الهند بعد خلاف سياسي بينه وبين رئيس هذه الجمعية الذي أعلى ولائه " لحزب المؤتمر الهندي " الذي تقضي خطة استقلال الهند في برنامج هذا الحزب إلى قيام دولة واحدة ذات قومية واحدة بين المسلمين والهندوس ، وتكون السيطرة فيها للهنداك نظراً لعددكم الكبير . (١)

٤ - مواضلته التحصيل العلمي :

ومع قيامه بعمله في ميدان الصحافة والسياسة في مدينة " دهلوي " بين ١٩٢١ م و ١٩٢٨ م قضى كل هذه المدة في اللب العلم كذلك ، وتنمية معارفه الإسلامية والإنسانية على يد مجموعة من كبار العلماء في عاصمة البلاد : فأخذ علوم المساني والبلاغة والآداب العربية على الأديب الأعمى عبد السلام نيازي . وقرأ كتب الحديث ، كجامع الإمام الترمذي وموطأ الإمام مالك ، وكتباً أخرى على المحدث " إسحاق الرحمن الكاندهلوي " . وقرأ التفسير والنقش والمنطق على الشيخ شريف الله خان . ثم تعلم اللغة الإنجليزية من أحد الأساتذة في دهلوي في مدة أربعة أشهر فقط . (٢)

(١) - نفس المرجع ، ص : ٢٤ .

(٢) - خليل أحمد الحامدي : المرجع السابق ، ص : ١٠ .

وقد مكنت تعلم اللغة الإنجليزية من الإلتحاق مباشرة على مدار الثقافة الغربية، من منابها الأصلية، الأمر الذي ساعده على الدراسة الواعية والمقارنة العلمية الرصينة بين الثقافتين الإسلامية والغربية. وقد عكست هذه المتجمل كتاباته. وفي هذه الأثناء ألف كتابين هامين نشرنا على حلقاته في جريدة "الجمعية". أولهما: "مصدر قوة المسلم" والثاني: "الجهاد في الإسلام". وقد فالأرواحا عظيما، وإعجابا كبيرا في الأوساط العلمية الإسلامية. (١)

وبانتها هذه الثرة المبكرة من حياة المؤدوي المليئة بالأحداث السياسية الكبرى محليا وعالميا، والحافلة بالممارسة الفعلية للكتابة الصحفية والتأليف، وانتها باستكمال تحصيله العلمي وانتمى على نفاث الثقافة الإسلامية وعلى أصول الثقافة الغربية المتاصرة في سادرها الأصلية. كل هذا الزاد الفكري، والممارسة الواقعية في الحياة العامة، والتفاعل مع الأحداث أنضج قريحة المؤدوي، وجعل بصيرته على بينة من الأمر، كلما يحدث أمام عينيه، وفي تصور الحل المناسب لكل منضلة ضمن النظرة الإسلامية المتكاملة للأشياء.

وبهذا صار يختلف مع غيره من علماء ومثايخ الهند المعاصرين له في فهم الإسلام وفي دوره في الحياة مستقبلا، انطلاقا من التحديات السياسية والفكرية التي ترفضها المدنية الغربية المتاصرة الزاحفة في وجه الإسلام والمسلمين.

رابعاً : استعداده للعمل الإسلامي :

١ - اعتزاله العمل الصحفي : ومن ثم استقر رأيه عام ١٩٢٨م على اعتزال العمل الصحفي العام، ولأن كان ولا بد من عمل في ميدان الصحافة مستقبلا، فلن يكون إلا خدمة للإسلام، ودعوة إليه. انتقل من مدينة دهلي، إلى حيدرآباد الدكن ليلتحق بشقيقه الذي كان يشتغل هناك في دار الترجمة العثمانية.

(١) - المرجع السابق، ص: ١٠.

وشنا لك قننى ما يترب من ثلاث سنوات من ١٩٢٠ م إلى ١٩٢٢ م في حالة
اعتكاف تاممة أنسخ العديد من خزانات الكتب والمراجع في ذهنه استعداداً للمهمة
الجديدة ، مهمة الدعوة إلى الله ، في عسر مليء بالآفكار والتيارات ،
يقول عنه هو نفسه : «عصر يفرض على الداعية أن يتزود بزاد علمي شامل ،
وأن يحظى بعضاً من البرهان يتوكل عليها ويهز بها على غنمه ويحقق بها
بأرب أخرى» . (١)

٢ - المنعطف الكبير في فكره : ويرجع هذا التحول الجذري في وجهته
الفكرية والتطبيقية إلى الرؤية الواضحة التي اكتسبها من عقيدته ودينه
عندما كان يواصل كتاب الجهاد في الإسلام عام ١٩٢٦ م ، وإلى ثقل الواقع
الذي خبره بنفسه من سقوط الخلافة العثمانية الإسلامية إلى تهديد
المقدسات الإسلامية بالفتور والاستعماري ، إلى الجهل الذي ينمر عقول
المسلمين بدينهم ، إلى الانقلابات الحزبية الذي يرسفون في أغلاله من كل
جانب .

وعن كتاب الجهاد في الإسلام يقول : «لنفني أكثر من أي شخص آخر دخلت
في تأليفه وكنت على حمية القومية ، وخرجت منه وأنا على حمية الإسلام .
عرفت الإسلام وعرفت طريقة إحيائه» . (٢)

٢ - خروجه من العزلة : وفي عام ١٩٢٢ م خرج الأستاذ المودودي
من عزله ، بهمة عالية ، وزاد فكري مستبصر مشعرا عن ساعد الجد ، ليبلغ
دعوته إلى الإسلام عن طريق مجلة " ترجمان القرآن " . هذه المجلة التي
أصدر منها أعدادا كثيرة ، تحريراً ، وإباعة ، وتوزيعاً ، بمفرده ،
فانطلقت دعوتها في مرحلتها الأولى بناملين اثنين : المودودي ، والمجلة (٣)
ونشط قلمه في التأليف لخدمة نفس أغراض الدعوة إلى جانب دوره في المجلة
بشكل متواصل ، وقد خطا لإنجاز مهمتين أساسيتين للدعوة الإسلامية على الساحة
الهندية قبل تأسيسه الجماعة الإسلامية عام ١٩٤١ م .

(١) - المرجع السابق ، ص : ١٩ .

(٢) - المرجع السابق ، ص : ١٨ .

(٣) - المرجع السابق ، ص : ١٩ .

المهمة الأولى :

نقده الحضارة الغربية : شرح أسسها ، وبين أصولها ، وحدد مواطن التصور في بنيتها العقيدية والذكرية ، بأسلوب علمي موضوعي يخلو من التحامل والتشهير ، ويستند الى أدلة وبراهين تنفي المخالف قبل المؤلف وكان هدفه الرئيسي من إنجاز هذا العمل ، إزالة الشور بالنقص والافتتان لدى اللبقة المثقفة ثقافة غربية من أبناء المسلمين . كما انتقد دعاة الجمود التابعين على الموروث النكري الإسلامي بلا تبصر ولا دراية . وانتقد أيضا المارقين من الدين المذكورين للسنة النبوية ، وأدعياء التحرر من الدين حتى تنهيا العقول والنفوس . لاستبدال الصورة الصائبة الحقيقية للإسلام الحق ، الإسلام الفاعل في الحياة الفردية والابتعاية للمسلمين . (١)

ومن الكتب التي ألفها لخدمتنا الشريفة :

- نحن والحضارة الغربية ، ألفه عام ١٩٣٢ م .
- الإسلام في مواجهة التحديات المتاصرة ، ألفه عام ١٩٣٤ م .
- حركة تحديد النسل ، ألفه عام ١٩٣٥ م .
- أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المتاصرة ، ألفه عام ١٩٣٧ م .
- المسلمون والصراع السياسي الراهن ، ألفه عام ١٩٣٧ .
- الأمة الإسلامية وتقنية القومية ألفه عام ١٩٣٨ م .

المهمة الثانية :

عرض نظام الإسلام النقدي وميادنه وفق مقاصد الإسلام الكبرى ، وبيان ما يتفرع عن هذا النظام من تصورات ، ونظم للحياة تستمد من مصادري الإسلام كتابا وسنة في ثوابتها وكلياتها السبئية . بأسلوب عقلي خال من التعقيد ، ويقوم على الاستدلال بالنصوص المنزلة ، وفق الفهم السليم لخالب الوحي الرباني .

حتى يستيقن المسلمون وغيرهم أن الإسلام دين شامل متكامل يجمع في تصوره بين عالمي الغيب والشهادة ، ويضع الحياة الفردية كما يسع الحياة الاجتماعية على حد سواء في كل زمان ومكان . ويولي أهمية للتصورات النظرية والخطوات

(١) - المرجع السابق ، ص : ٣٤ .

الاستغنية في شربها سرا يسوا *

حتى يذلل الإنسان المؤمن للسلح بتلك الروية الواضحة للإسلم
في هذا العصر لإقامة الدين الحق وتأييده على كلمة الباطل، والتمكن
من استئصال إمامة الكفر ونسب إمامة الإسلام في قيادة الحياة كالحياة •
وتد كتب في هذا الشأن كتباً عديدة منها :

- الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها " كتاب في العقيدة وأثرها في

الحياة الفردية والاجتماعية والحضارية " ألفه عام ١٩٣٣ م •

- مفاهيم إسلامية تحول الدين والدولة ألفه عام ١٩٣٥ م

- مبادئ الإسلام " كتاب في العقيدة مبسوط " ألفه عام ١٩٣٦ م • (١)

- في محكمة العقل : التوحيد ، الرأية والآخرة " كتاب في العقيدة "

ألفه عام ١٩٣٢ م •

- مشكلة الجبر والقدر " كتاب في العقيدة " ألفه عام ١٩٣٣ م • (٢)

- حقوق الزوجين ألفه عام ١٩٣٥ م •

- ثلثة فاحصة على الصبادات للإسلام ألفه عام ١٩٣٩ م •

- نشرية الإسلام السياسية ، ألفه عام ١٩٣٩ •

- الجهاد في سبيل الله ألفه عام ١٩٣٩ م •

- الحكومة الإسلامية ألفه بين ١٩٣٥ م و ١٩٤١ م •

- موجز تاريخ تجديد الدين وأحيائه ألفه عام ١٩٤٠ م •

- منبهاج الانقلاب الإسلامي ألفه عام ١٩٤٠ م •

- منهج جديد للتعليم والتربية ألفه عام ١٩٤٠ م •

- المصطلحات الأربعة في القرآن ألفه عام ١٩٤١ م •

- الإسلام والجاهلية ألفه عام ١٩٤١ م •

- معضلات الإنسان الاقتصادية وحلها في الإسلام ألفه عام ١٩٤١ م •

ولم يقتصر الأستاذ المودودي على الصحافة والتأليف في نشر دعواته

إلى الإسلام فحسب • بل حاضر كذلك في الجامعات ، وفي المساجد والأماكن

العامة ، حتى مكنه الله من تهيئة الأرنية المناسبة للانتقال بالدعوة

من مرحلة الذكرى إلى مرحلة التنظيم الذي سيعايشها بإمكانات جديدة مادية ،

ومعنوية في التوسع والانتشار •

ع - صلته بمحمد إقبال : وقد انتخبنا الدكتور محمد إقبال والأستاذ
المودودي دلة روحية وقرابة فكرية وأدتها الأيام والأحداث منذ تأليف
كتاب الجهاد في الإسلام ، حتى صار محمد إقبال عن المودودي «إن هذا
الشيخ يفرز دين الرسول صلى الله عليه وسلم بقلم مؤيد من رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن شاء الله» (١)

وفي عام ١٩٣٢ دعا الشاعر الإسلامي الكبير محمد إقبال الأستاذ
المودودي لزيارته في لاهور ، وعرض عليه إقامة مشروع إسلامي بقرية دار
الإسلام قرب مدينة "بتانكوت" ، فلبى الأستاذ المودودي الدعوة
وتقابلا وتفقا على هجرة المودودي من حيدرآباد إلى بنجاب والبدء في
تنفيذ مشروع المركز الإسلامي تحت إشرافه ، على أن يأتي الدكتور إقبال
ويقيم في المركز بنسبة أشهر من كل سنة .

وكان الهدف من تأسيس هذا المركز هو : (٢)

- أ - تأليف الكتب القيمة لبيان أوجه النظام الإسلامي .
 - ب - وإعداد الرجال الذين يصلحون لقيادة المسلمين فكريا وعمليا .
- ولم يزل على هجرة المودودي إلى قرية دار الإسلام ، الأشهرًا و بضعة
أيام حتى انتقل الدكتور محمد إقبال إلى جوار ربه في ٢١ أبريل ١٩٣٨ م ،
ولما سمع المودودي نبأ وفاته ، كتب كلمة قصيرة في ترجمان القرآن شهر ماي
عام ١٩٣٨ ، قال فيها : « فقدت أكبر سند لي في الدنيا يموت هذا الرجل
الخطيم» (٣) ونلت بعد عدة شهور سائلًا تامة عن المشروع وانتقل على إثرها
الأستاذ المودودي ومنهجه إلى مدينة "لاهور" حيث جعلها مركزا للدعوة
بعد تأسيس الجماعة الإسلامية .

خامسا : تأسيس الجماعة الإسلامية وقيام دولة باكستان :

١ - تأسيس الجماعة الإسلامية : هكذا ظل الأستاذ المودودي على مدى
ثمانين سنوات من عام ١٩٣٢ ، وهو النام الذي استأنف فيه نشاطه الفكري في
الصحافة والتأليف والمحاضرات ، يخاطب الجيل الجديد من المثقفين ليجعل

(١) - خليل أحمد الخادمي : المرجع السابق ، ص : ٢٨ .

(٢) - أليف الدين الترابي : أبوالخطي المودودي حياته ودعوته ، ص : ١٣٢ .

(٣) - خليل أحمد الخادمي : المرجع السابق ، ص : ٣٠ .

منهم من قبل الإسلام مما عتيدة وسروا ، بينهم بأعباء الدعوة في شبه الشارة
الهندية ، تكافت سنة ١٤٥١ م في سنة تأسيس الجماعة الإسلامية كتحكيم مركبي
يتولى عبء الدعوة إلى الله وفتح مشيخ محمد المنالم ، وأعداد واسعة
وسائل مشروعة .

أ - أهداف الجماعة الإسلامية : يتلخص في منفيين اثنين: (١)

الأول : وهو " هدف واقعي " يتمثل في " إقامة الدين " . أو إقامة النظام
الإسلامي من خلال جهود الجماعة .

والثاني : " هدف حقيقي " تسمى إليه الجماعة وأفرادها من خلال تحقيق الهدف
الأول ، وهو " مرضاة الله " سبحانه وتعالى . وهما هدفان لا ينفصلان عن
بعضهما بأي حال من الأحوال وبهما منا يحقق الفرد المؤمن مخالفته عن الله
في الأرض وكذلك الأمة .

ب - عقيدة الجماعة الإسلامية : وعقيدة الجماعة الإسلامية هي مضمون كلمة
الشهادة : " لا اله الا الله محمد رسول الله " .

التوحيد : والمراد من الجزء الأول من الشهادة ، كون الله واحدا ، وكل ما في
السموات والأرض مخلوق له . فهو سبحانه الثالث والمالك والحاكم .
وماحب هذه العقيدة تللب منه على سبيل الجزم :

- أن لا يعتقد الإنسان فيما دون الله وليا له أو وكيفا . وغير الله لا يملك
سلطة من السلطات خارج الأسباب المادية .

- أن لا يعتقد في غير الله أنه يضره أو ينفعه ، فله وحده مصدر جميع
السلطات .

- أن لا يدعو إلا الله ، ولا يعتمد ، ولا يستعين إلا به ، فكل مخلوقاته
مهما كانت منزلتهم عنده لا تنفوذ لهم في تدبيره الإلهية ولا يملكون شيئا
إلا بإذنه .

- أن لا يظأطى رأسه أمام غير الله ، ولا يعبد إلا آياه ، ولا ينذر إلا له - فالله
وحده يستحق العبادة .

- أن لا يسلم لغير الله بأنه ملك ، أو مالك الملك ، أو مصدر السلطة العليا
ولا يؤمن بغير الله شارعا . ويرفض كل طاعة لا تتبع طاعة الله ولا تلتزم
بأحكام الله .

ويأمر بسد قبول هذه التهمة:

العبودية: أن يتنازل عن حريته وسيادته ، ويتطلى عن أتباع أمواته ، ويكون عبدا لله وحده .

- أن لا يزعم لنفسه مالكا حقيقيا لشيء ، بل كل ما عنده من الأشياء بما في ذلك روحه وجسده ملك لله عز وجل وهي أمانة عنده .

- أن يهتبر نفسه مسوء ولا أمام الله ، ومحاسبا عنده على كل قول أو فعل يأتيه .

- وأن يجعل رضوان الله متياس ما يحب ، وسخطه متياس ما يكره .

- وأن يجعل رضا الله والتقرب إليه غاية جهوده وسنانه حياته .

- وأن يتخذ هدى الله هو الهدى في كل أحواله وأوضاعه .

النبوة : وأما المراد من الشار الثاني من هذه التهمة " محمد رسول الله "

أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والرسل ، وبواسطته أرسل

الله رب العالمين ما لهذا الكون وغالته الهداية الحقيقية والرسالة الخاتمة

إلى الناس كافة إلى يوم الدين . وأمر الله نبيه أن يتوم بتأبست هذه

الهمسداية في حياته العملية ليكون مثالا يتحذى وقدوة يتتدى . قال تعالى:

" لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر

الله كثيرا " (١)

ومن مستلزمات الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا :

- أن يقبل المؤمن بدون شك كل ما ثبت عن محمد صلى الله عليه وسلم من تطليم

أو هدى .

- وأن يكون في مقدوره الأخذ بأمر أو الكف عنه في أن ذلك مما أمر أو نهى

عنه محمد صلى الله عليه وسلم .

- وأن لا يعترف لأحد سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ديا ومرشدا ، أما

طاعة ما دونه فتكون تابعة لاطاعة الله ورسوله بالضرورة .

- وأن يتخذ كتابا لله وسنة رسوله مصدرين للاحتجاج والافتناد في كل شأن من

شؤون الحياة .

- وأن ينزع من قلبه كل نوع من أنواع العصبية سواء أكانت شخصية أو

عائلية ، أو قبلية ، أو عنصرية ، أو قومية ، أو وائية ، أو طائفية ، ولا

يجب علينا أن نؤمن بالرسول الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .
- وأن لا نتخذ إنسانا سواه الرسول صلى الله عليه وسلم متياسا للحق . وأن لا
يرى أحدا دون النبي برفق الانتقاد عليه . لا يسأل عما يفعل ويتورع ، بل يرى
كل شخص على المقياس الذي وضعه الله سبحانه وتعالى والرسول صلى
الله عليه وسلم .

- وأن لا يسلم لأحد جاء بعد النبي صلى الله عليه وسلم منبأ أنه أن
يكون الإثراء به أو إنكاره ميارا لكون المرء مؤمنا أو كافرا . (١)

هذا هو التصور العقدي الذي خرجت به الجماعة الإسلامية على الناس
لتقييم عليه بنيانها التربوي ، وثانها الحركي ، ومنهاجها الفكري لأحداث
التغيير ، وتعديته إلى الحياة الاجتماعية والسياسية في بناء دولة باكستان
الإسلامية وقد دعم الإمام المودودي مسيرة الجماعة الإسلامية في ساحة الدعوة
منذ البداية بجهد منتهى وهو شروع منذ سنة ١٩٤١م في تفسيره للقرآن
الكريم الذي سماه " تفهيم القرآن " ، أسوة بالنبي صلى الله عليه وسلم
الذي تحول القرآن الكريم الذي كان ينزل عليه منجما إلى حركة في واقع الناس
حتى اكتمل بناء المجتمع الإسلامي من خلال لتفاعل الإنساني الحي بين آي الذكر
الحكيم ومستجدات الحياة اليومية على كل ضعيد .

كما صدرت له بين ١٩٤١م و ١٩٤٧م عدة رسائل علمية في المواضيع التالية :

- بر الأمان وعقاب المرتد سنة ١٩٤٢م ، ونبأ في الحقيقة .
- بالدين القيم - والأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية - وجهة النظرة الأخلاقية
في الإسلام - وشهادة الحق - ما بين ١٩٤٤ - ١٩٤٧م .

- الأصول الأساسية لدعوة الجماعة الإسلامية : (٢) يتم تنزيل أهداف
الجماعة وعقيدتها من خلال : برنامج إصلاحي عملي على مستويات أربع :
- تزكية الأفكار وتطهيرها .
- إصلاح ذات الفرد .

(١) - خليل أحمد الخادمي : المرجع السابق ، ص : ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ - ٣٦ .
(٢) - أسعد جيلاني : المرجع السابق ، ص : ٦٤ .

• إصلاح المجتمع .

• إصلاح نظام الحكم .

وتقتضي هذه الخلة في التغيير تسلسلا متتابعيا إذ بسلاح أفكار ومعتقدات الأفراد تتم عملية إصلاح ذاتها للفرد ، وحينئذ يسم هذا التغيير قاعا واسما من الأمة ، تصبح هذه بدورها حركة عامة ، وحين لا يكون السلطان الحاكم مناديا لهذه الدعوة فإن إصلاحه يسير جنبا إلى جنب مع إصلاح الفرد والمجتمع .

د - منهجية الدعوة في الجماعة الإسلامية : ذكر الشيخ خليل أحمد الحامدي في رسالته (أبوالأعلى المودودي : حياته ، دعوته ، جهاده) ملخصا لمنهج الدعوة المتعدد الأساليب الذي رباكم عليه الإمام المودودي ، من الصفحة ٤٥ إلى الصفحة ٧٢ ، بتصرف .

يقول الشيخ " وأقول لكم فيما يلي منهج عملي وأسلوب دعوتيه الذي

ربانا عليه ، وهو يشتمل على خمسة نقاط رئيسية " .

- أسلوب الفلاح : أو أسلوب التركيز . ومعناه عند الإمام المودودي أن

الداعية في ظل هذا الأسلوب مثل الفلاح الذي يختار قلاحة من الأرض

يستصلحها حتى تصير صالحة للزراعة ، فيزرع الزرع ثم يتعهده حتى يستوي

على سوقه فيحصده بإذن الله .

- أسلوب التصنيف : ويقوم هذا الأسلوب في النظر إلى الميدان أيضا على

قاعدتين : أولاهما : وضع الرجل المناسب في المكان المناسب . وثانيهما :

لا ينبغي وضع البين جميعا في سلة واحدة .

ففي هذه الحالة فالجماعة الإسلامية هي الأم ، ولها فروعها المتعددة ، وخارج

قاعات تجرئية أخرى نذكر منها :

x قطاع الطلبة والشباب : وهم من الفئة التي تتبنى فكر الإمام وتعمل في الوسط

الجامعي تحت اسم " جمعية الطلبة المسلمين " .

x قطاع التعليم والتربية : تفرغت للعمل فيه " منظمة المعلمين " تضم جميع

فئات المعلمين . غايتها إعداد النشء على أساس

إسلامي .

x قطاع العمال : له منظمة تسمى " الوفاق الوطني للعمال " وهو

أكثر القاعات حساسية ، ويشم معظم الاتحادات العمالية

في باكستان تحت شعار الإسلام والعدالة الاجتماعية .
* قطاع الفلاحين : تضمهم (مؤتمرات الفلاحين) وهم أوسع فئة من
حيث العدد في باكستان تعمل منظماتهم على توعيتهم إسلامياً ومهنياً ، وتحل
مشاكلهم من المؤسسات الرسمية .

* قطاع رجال القانون والمحاماة : تفتخر بهذا القطاع مجموعة من الكفاءات
الجيدة في هذا الميدان ممن تأثروا بذكر الإمام ودعوته .
* جمعية الطالبات المسلمات : منظمة نسوية تعمل في وسائل الطالبات نفس
عملها للطلبة .

* مجمع المعارف الإسلامية : تعتنى بإعداد الباحثين وتدريبهم في
المجالات المختلفة التي تهتم الحياة المهنية والعلمية والدعوية .
* مبدأ الأهم فالمهم : هذا المبدأ حكم الإمام المودودي به نفسه منذ
الهداية ، وعلمه أتباعه من الدعاة ، وبذلك نحن بدعوته في البدايات
الطالبات المثقفة الرائدة في المجتمع . كما استوحى من نفس المبدأ المصدر
الرئيسي لضلال الانسان وفشاده ، وهو ((الحكم بشير ما أنزل الله)) .
* أسلوب الطبيب : وهو يعني أن الدعوة هي معالجة أبنائنا آدم من الأمران
العقدية والخلقية الفردية منها والاجتماعية . نيكونا أسلوب تشخيص الداء
ثم وصف الدواء المناسب لكل حالة .

* القدوة قبل الكلمة : هذا هو المبدأ الخامس من دعوة الإمام المودودي
والمراد من ذلك أن يتحلى الداعية بالإسلام في شخصه قبل أن يخرج بدعوته
إلى غيره . وكان من المظاهر العملية في تطبيق هذا المبدأ على مستوى
عمل الجماعة ، العناية بالأعمال الخيرية والخدمات الاجتماعية ، كالمستشفيات
والمستوصفات ودور الأيتام وسائر أعمال البر والإحسان ... الخ

٢ = قيام دولة باكستان :

أ - دعوة النظام إلى الحكم بالإسلام : حصلت شبه القارة الهندية
على الاستقلال عن بريطانيا في شهر أوت ١٩٤٧ م وقد وافق الإنجليز على تقسيمها
إلى دولتين مستقلتين، وذلك استجابة لمطالب حزب المؤتمر الهندي - الهندوسي-

وحزب الرابطة الإسلامية - الطائفي - فأنشئت دولة الهند ، وجمهورية باكستان الإسلامية .

وانقسمت الجماعة الإسلامية بدورها إلى ثلاث جماعات هي :

- الجماعة الإسلامية في باكستان .
 - والجماعة الإسلامية في الهند .
 - والجماعة الإسلامية في ولاية جامو وكشمير .
- وبظهور دولة باكستان الإسلامية وعلى رأسها نخبة إسلامية متغربة تطل الجماعة الإسلامية التي ساهمت في الدعوة إلى قيامها تدعو للحكم الفعلي بالاسلام ثم تدخل في صراع دائم من أجل هذه المسألة من سائر القيادات التي توالست على سدة الحكم . ومما زاد في حدة الصراع بين الجماعة وبين نظام الحكم ، وجود عدد كبير من الشيوعيين والقاديانيين ، والاعتزبيين ومدكري السنة ، داخل حزب الرابطة الإسلامية الحاكم .
- فكان على رأس أولويات عمل البعثة الداللة بوضع دستور إسلامي يحكم البلاد بمثل دستور علماني يعتمد على التوانين الوضعية والفلسفات المنافية للإسلام .

وبعد خمسة أشهر من قيام دولة باكستان في جانفي ١٩٤٨م ألقى الأستاذ المودودي الأول خطاب له في كلية الحقوق ، طالب بتأسيس النظام الباكستاني على الإسلام ، وفي شهر مارس من نفس السنة خطب في الشعب في اجتماع عام (بكراتشي) ، قدم فيه نقاشاً أربعة تحت عنوان : (المطالبة بالنظام الإسلامي) - باكستان هي ملك لله وحده وعلى الحكومة الباكستانية أن تقيم نظام البلاد بما يرضي الله .

- يجب القضاء على التوانين المثالفة للشريعة والجاري العمل بها الآن ، ولا يتم مقبلاً الموافقة على قوانين مخالفة للشريعة الإسلامية .
- القانون الأساسي لباكستان هو الشريعة الإسلامية .
- أن تقوم الحكومة الباكستانية بتجديد سلطاتها طبقاً لحدود الشريعة .

ب- الاعتقال الأول : واصلت الجماعة عملية الضغط على الحكومة ومجلس سن التوانين لتحقيق المطالب الأربعة التي قدمها المودودي ، ولكن

الحكومة لما عجزت عن الرد على هذه الدعاوى، قامت في ٠٤ أكتوبر ١٩٤٨م باعتقال المودودي والتادة المؤسسين للجماعة الإسلامية. ورغم اعتقاد هؤلاء القادة، ظلت الجماعة تطلب بالنظام الإسلامي حتى التنازل عنها حولها ((لدرجة أجبرت الحكومة على الموافقة على القرار المصرون و المشهور (بقرار الأهداف) الذي يعدد وجهة باكتان الصحيحة)) (١). وكان ذلك في ١٣ مارس ١٩٤٩م. وفي ١٣ من نفس الشهر وافق مجلس الشورى للجماعة على القرار نفسه. وفي ٢٨ ماي ١٩٥٠م تم إطلاق سراح المودودي وزملائه بعدما تم حبسهم على ذمة التحقيق مدة عشرين شهرا إلا خمسة أيام. غير أن الحكومة لم تنبوعدنا وظهرت مخالفتها الصريحة ((لقرار الأهداف)) في مقترحاتها الدستورية التي قدمتها في سبتمبر سنة ١٩٥٠م وتضمنت هذه المقترحات كل ما من شأنه يخالف الإسلام وينارضه ((٢)) وبعد الخطاب الذي ألقاه الأستاذ المودودي في اجتماع عام بالأمور يوم ١٤ أكتوبر سنة ١٩٥٠م، انتقد فيه مقترحات الحكومة، اضارها الى سحب هذه المقترحات.

ج = مشاركة الدستور الإسلامي : وبين سبتمبر وديسمبر من عام ١٩٥٠م تحدثت الحكومة للعلماء أن يجتمعوا على ترتيب مسودة دستور إسلامي. فقبل العلماء التحدي واجتمعوا بمشاركة الإمام المودودي في ٢١ جانفي ١٩٥١م. وقدم المجتمعون نقالا دستورية متفق عليها بينهم أمام الشعب، كتواعد أساسية لا غنى عنها لدولة إسلامية حديثة تدرجها في دستورها. (٣)

د - الاعتقال الثاني والحكم بالاعدام : وفي ديسمبر عام ١٩٥٢م نشطت حركة شعبية في مقاطعة البنجاب، تارح مسألة القاديانية، أسفرت عن عقد مؤتمر ضم جميع الأحزاب السياسية، بما في ذلك الجماعة الإسلامية وخرج المؤتمر بقرار يعتبر الطائفة القاديانية أقلية غير ملزمة ومنفصلة عن الأمة، وفي مارس ١٩٥٣م ضم الأستاذ المودودي ^{صوته} إلى الأغلبية الساحقة من

(١) - أسعد جيلاني : أبو الأعلى المودودي ، المرجع السابق ، ص : ٤٢٩

(٢) - نفس المرجع : ص : ٤٣٠ .

(٣) - نفس المرجع : ص : ٤٣١ .

الباكستانيين مرة أخرى في كتاب صدر له باسم ((تنمية التاديانية)) أنتشر فيه الضوء على هذا الدين الجديد ، الذي جاء بنبوة جديدة في شعر السيرزاد غلام أحمد التادياني . وعلى أتباعه الذين ظهر غارهم بانتشارهم في المجتدين الباكستاني بدارق ملتوية ، واستفادتهم مراكز النفوذ في الدولة أكثر مما يستحقون .

وفي مارس ١٩٥٣ أعلنت الأحكام العرفية العسكرية في لاهور ، وفي ٢٨ من نفس الشهر تم اعتقال الأستاذ المودودي للمرة الثانية وإدخاله السجن دون تبرير أسباب هذا الاعتقال ، ثم حوكم هو ومن معه وأطلق سراحهم في ٧ ماي ١٩٥٣ م ، وأعيد اعتقالهم مرة أخرى بسبب يوم واحد من خروجهم ، وقدموا إلى المحاكمة في ١١ ماي ١٩٥٣ ، وصدر الحكم بالإعدام على الإمام المودودي .

غير أن هذا الحكم القاسي أثار تربة كبرى في العالم الإسلامي ، فأنهالت البرقيات على الحكومة العسكرية في باكستان تدين هذا الإجراء التصفي فاضطر الحكام على إثرها إلى تخفيف الحكم عليه بسجنه مدى الحياة . (١)
وفي نفس العام أصدرت المحكمة العليا العفو على المودودي ومن معه ، وخرجوا من السجن ليستأنفوا مالمالية النظام بتطبيق النظام الإسلامي في البلاد . الأمر الذي جعل مجلس سن القوانين في الدولة يعلن عن استعدادها لتبني دستور إسلامي ، وفي ١٣ مارس ١٩٥٦م رفض الحزب الرسمي لعمال الشعب في إقامة دستور إسلامي قبلته جميع الجماعات بباكستان ، وأتممه مجلس شورى الجماعة الإسلامية بسند إجراء تصديلات لفيضة عليه .

ولكن تطور الأحداث في البلاد من جديد وتوغل الاتجاه العلماني المضاد للتوجهات الإسلامية عن طريق المؤسسة العسكرية عمك مرة أخرى هذا الدستور بوصول الجنرال اسكندر مرزا إلى الحكم عام ١٩٥٧م الذي أحكم قبضته الحديدية على البلاد حتى أصبحت طريقة تبليغ الدين لا تتم الا بالصورة الفردية .

هـ - الاعتقال الثالث : استمر الأستاذ المودودي في الدعوة إلى حمل حكام باكستان على أسلمة الحياة في البلاد بكل الوسائل الممكنة رغم

(١) - المرجع السابق ، ص : ٤٣٤ .

التسويات الصديدة إلى أن تم اعتزاله مرة ثالثة لنفس الأسباب وابداعه
 وتبع على ذلك حظر نشاط الجماعة
 السجين في ٠٦ جانفي ١٩٦٤ م مع تشارقة وستين من زملائه. وفي أكتوبر من نفس
 السنة تم إطلاق سراحهم ورفع الحظر عن نشاط الجماعة الإسلامية.

و - الاعتقال الرابع : وفي جانفي ١٩٦٢م اعتقل الأستاذ المودودي لمدة
 شهرين بسبب مخالفته للحكومة بشأن مسألة تقديم يوم عيد الفطر .
 وفي العام نفسه تقدمت الجماعة الإسلامية مع جماعات سياسية أخرى
 بستروغ من ثمانية نقاء إلى الحكومة فيما عرف باسم ((حركة الجمهورية
 الباكستانية)) (١) يدعو لإعادة الحكم الجمهوري إلى البلد .

ز - اعتزاله إمارة الجماعة الإسلامية : بحلول فاتح نوفمبر من عام
 ١٩٧٢م تقدم الأستاذ المودودي باللب إلى أعضاء الجماعة الإسلامية، يفصح
 فيه عن رغبته في الإعفاء من إمارة الجماعة لأسباب صحية، وكذا اعتزال
 العمل السياسي. (٢)

ثم تفرغ إلى البحت والكتابة ، وفي تلك السنة أكمل تفسيره الشهير
 ((تفهيم القرآن)) الذي بدأه عام ١٩٤١م عام تأسيس الجماعة الإسلامية.

بهذه الحياة السياسية التي واكبت حياة المودودي بعد قيام دولة
 باكستان نكون قد أتينا على آخر مرحلة من حياة الرجل الجهادية ، ولئن
 تم التركيز على الأحداث السياسية ، فهذا لا يعني أن الرجل لم يشتغل بنسب
 ذلك فقد ظل كما عرفناه في المراحل السابقة يؤلف الكتب وينشر في الصحافة
 ويتفاعل مع الأحداث تفاعلا إيجابيا في الميدان ، من خلال الدعوة إلى الله
 حتى التحق بالرفيق الأعلى في ٢٢ سبتمبر ١٩٧٩م ، خلفا وراءه جيلا كاملا
 يحمل فكره ويواصل دعوته لأجل بلوغ الأهداف السامية لهذا الدين نصرته
 والتمكين له في الأرض .

(١) - المرجع السابق : ص : ٤٣٨ .

(٢) - المرجع السابق : ص : ٤٣٩ .

جامعة الأمير

الباب الثاني

التصور الإسلامي للوجود في فكر المودودي

عبد القادر العظم الإسلامي

الفصل الأول

التصور الإسلامي للوجود

أولاً : طبيعة التصور الإسلامي وحقيقته :

١ - طبيعته ومجاله : لكل مذهب اعتقادي عرفه الإنسان تديناً وحديثاً أساساً فلسفي عام يحدد أصوله وكلياته العامة التي يقوم عليها بناؤه. (١)
وينحصر هذا الأساس في المسائل الكبرى المتعلقة بالكون وخالقه والحياة والإنسان. (٢)

ويتقدم الوعي الإسلامي في تصوره الخاص بهذه المسائل ضمن إطار أوسع مما أمّسح عليه في الفكر العقدي الإسلامي ((بالعتيدة الإسلامية)) أو ((علم الكائن)) أو ((التوسيد)) لأن علماء الإسلام الذين ماغوا في القديم علم العقيدة على نحو اقتصر على سباحث : الالهيات ، والنبوات ، والمعاد ، والقضاء والقدر. (٣) كان ذلك استجابة منهم لواقع الصراع الفكري في عصرهم الذي أفرز تحديات طرحتها الفلسفات والأديان السائقة للإسلام في وجه تلك المسائل العقيدية الهامة .

غير أن ميدان الصراع الفكري بين الإسلام والحضارة الغربية المعاصرة اتسح أكثر من ذي قبل وبشكل كبير ، فأصبح كل مذهب فكري يارح نفسه بديلاً كاملاً للإسلام في العقيدة والتربية والأخلاق على أساس ما ي صرف من حيث التصور العام للوجود .

ومن باب أولى عند إعادة صياغة العقيدة الإسلامية اليوم ادراك حجم التحدي الغربي وطبيعته الفكرية والفلسفية الشمولية ، ثم مجابهته بالروية الإسلامية المتكاملة للوجود .

(١) - محمد المبارك : نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث ، ص : ١٥ .

(٢) - د. محسن عبد الحميد : المنهجية الإسلامية والتفسير الحضاري ، ص : ١٤ .

(٣) - المرجع السابق ، ص : ١٩ ، ٢٠ .

واسويود كما يارعد الاسم يندس لتناثية تقوم على طرفين متقابلين
متطرفين اشتراكا مالتا .

((وجود إلهي يتشكل في ذات الله تعالى وسناته ، ووجود عالمي يتمثل
فيها دون ذلك من أنواع الوجودات مما هو راجع إلى عالم الشهادة أو إلى عالم
الغيب)) . (١)

وأما العائقة بين الوجودين ، فهي علاقة الخالق بالمخلوق ، وإلهه
بالعبيد ، فعناك إذن ألوهية وهناك عبودية ، ((ألوهية)) يتفرد بها
الله سبحانه ، و ((عبودية)) يشارك فيها كل من عداه وكل ما عداه من
المخلوقات في عالمي الغيب والشهادة . (٢)

٢ - حقيقته : جاء في تناليم الأنبياء والرسل جميعا عليهم السلام
أن هذا ((الكون)) المتراخي الأركان الذي ينم السموات والأرض وما فيها من
موجودات ، لم يحدث فجأة أو مصادفة ، إنما هو مملكة منظمة يخضع فيها كل
كائن لنسب ثابتة من بداية وجوده إلى نهاية زواله . وكل القوى التي نراها
تتصرف في العالم وتدبر نظمه ، إنما هي تحت إمرة الخالق سبحانه وتعالى
ورهن إشارته . تلك طبيعة هذا النظام الكوني وبيلته التي فطرها الله عليها .
والإنسان في هذه الأرض مخلوق مثلها فوره الله ، وجعله عبدا له وحده .
فليس من شأنه أن يفرد بوضع منبج لحياته يحدد فيه حقوقه وواجباته ، كما
لا يملك ذلك الحق الذي يمكنه من التصرف في الأشياء والموجودات التي يملكها
في حوزته . لأنه هو ذاته جسد وروح وقوى ملك لله تعالى ، فلا يحق له
أن يتصرف فيها حسب ما تستدعيه إرادته ورغباته . بل عليه أن يستخدمها
وفق ميثقة ومرضاة الخالق سبحانه . (٣)

وكذلك سائر أبناء آدم الذين يعمرن هذه الأرض خلقوا على فطرة واحدة
وكلهم عباد لله . جلت قدرته ورعيته في مملكته الواسعة ، فلاحق لهم أيضا

(١) - دة عبد الحميد النجار : العقل والسلوك في البنية الإسلامية من ٧١

(٢) - سيد قلب : خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، ص ٢١٥

(٣) - أبو الأعلى المودودي : الإنسان والجاهلية من ص : ٢٩ إلى ص : ٣٤

أن يشرعوا أصولاً ومبادئ لتفادي حياتهم الزمنية والاجتماعية ، وانما عليهم أن يكونوا في جديس سناماتهم على ما شرعه الله النبي العظيم من قوانين وأنزله من هداية .

والحياة الدنيا ليست دار مكانة وسبابة ، بل هي دار اختيار وعمل وامتحان للإنسان فردا كانا وجماعة . وتليها الدار الآخرة التي سيحاسب فيها الإنسان على أعماله كلها ، ان خيرا فخير ، أو شرا فشر . وبعدها تكون النتيجة إما سعادة وإما خسران . والسعادة والخسران يتوقفان على محض اختيار الإنسان في هذه الحياة الأولى ، وتحمله لمسؤولية هذا الاختيار بوعي ووضوح لذاتي :

الأول : هل فكر الإنسان في آيات الله الواسعة ؟ وعرف على وجه التام والاستدلال أن الله هو الحاكم الحقيقي في سلوكات السلوات والأرض وعرف ما جاءت به رسله وأنبياءهم من الهداية والرسالات من عنده ، نصدق بها عقله وآمن بها قلبه .

والثاني : بعد إدراك الإنسان لتحقيق الإيمان هل رضى بها نفسه وأسلم وجهه لحاكمية الله الواحد الأحد وأخلص دينه له وأتبع شريعته ، على ما أوتي من حرية في الرأي وخيرة في الأمر ؟ قال تعالى :

((وَالْعَصْرَ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خَسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)) . (٢)

ثانيا : التوحيد :

١ - منزلته : التوحيد هو المبدأ الأول للإسلام وبجوهره ، ولب التصور الإسلامي للوجود ، ومقومه الأساس . وكلمة التوحيد هي ((لا إله إلا الله)) دعا إليها جميع الأنبياء والمرسل من لدن آدم عليه السلام الى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم . (٣)

(١) - المودودي : المصدر السابق ، ص : ٣٥ .

(٢) - سورة العصر : الآيات من ٠١ الى ٠٣ .

(٣) - المودودي : نظرية الإسلام السياسية ، ص : ١٢ .

ينور تنالي : ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)) (١)

وترخيد الأولمبيني السألة المركزية في عقيدة الإسلام من عبادة ، وهي التوحيد التي يفتريها دائما التبديل ، ويدأ عليها التحريف في عقائد الناس ، ولم تكن مشكلة الإيمان بوجود الله تنالي ، أروحة عند أغلب الناس في سكتان العصور ، بالتدر الذي كانوا يؤمنون فيه بألهة أخرى مع الله جل جلاله . ((ان فكرة الوجود الإلهي فارة في الذات الإنسانية تشهد بها تاريخه اللوييل الذي لم يخل من عظم من مفاخر التدين ، ولكن " توحيد الله " هو الذي كان مناماً للثلال والانعزاف ، ولذلك جاء القرآن الكريم مضمماً عددا كبيرا من الآيات لإثبات مشهور التوحيدانية والإيمان بها بما ومة لكر لون من ألوان الشرك)) (٢) ومبيناً أن التوحيد لم تتلم بانعزاف النار في شأن الاعتقاد بوجود الله تعالى بقدر ما تعلقت بأمرات آلهة بالة بمسبغانه وتعالى :

فمثلاً : ((وَلِئِي عَابِدِ أَخَاهُمْ هُودًا ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)) (٣)

((قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا)) (٤)
((قَالُوا لَوْنَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَائِدَةً)) (٥)
((وَلِلَّهِ عَادٌ جَعَدُوا يَايَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ)) (٦)

٤ = حقيقته : ومن ثم كان التوحيد هو القلب الذي تدور حوله دعوة القرآن وتتلخص هذه الدعوة : في أن الله تعالى هو الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كدواً أحد .

(١) - سورة الانبياء : آية ، ٢٥ .

(٢) - د . عبد المجيد النجار : العقل والسلوك ، مرجع سابق ، ص : ٧١ .

(٣) - سورة الأعراف : آية ، ٦٤ .

(٤) - سورة الأعراف : آية ، ٦٩ .

(٥) - سورة فصلت : آية ، ١٣ .

(٦) - سورة هود : آية ، ٥٨ .

إِلَهَهُ إِلَّا هُوَ وَالرَّبُّ سَوَاءٌ • وَلَا يُنَادِيهِمْ رَبُّوهُمْ وَلَا يُؤْمِنُونَ أَحَدًا •
 نَدَى الْإِنْسَانَ أَنْ يَقْتُلَهُ وَإِلَهَا • وَرَبًّا دُونَ سَوَاءٍ • وَيَكْفُرُ بِالْأُوْهِيَّةِ وَرَبُّوِيَّةٍ خَيْرَهُ
 وَأَنْ يَعْْبُدَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ • وَيَنْذِرُ دِينَهُ لَهُ تَعَالَى وَحْدَهُ • تَالِ تَعَالَى :

((وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)) (١)

((إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُتَقِيمٌ)) (٢)

((لَقَدْ إِنِّي أُهْرِتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ)) (٣)

((قَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَقْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)) (٤)

يتبين من خلال هذه الآي المتعددة ، ومن جملة ما نزل به القرآن الكريم
 من الهدى والإرشاد أن موثوقه الدعوي وذكرته الأساسية لا تدور إلا حول حقيقة
 موعدها : (٥)

- ١ - أن الله هو الرب وإلهه •
- ٢ - وأنه إله والرب إلا هو •
- ٣ - فإياه ينبغي أن يعبد الإنسان •
- ٤ - وله وحده ينبغي أن يخلص الدين •

ومن ثم كان لزاما على من يريد أن يفهم القرآن ودعوته إلى عقيدة التوحيد أن
 يعرف حق المعرفة المعاني التي تنبها الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه
 وسلم المصطلحات الأربعة : الإله ، والرب ، والعبادة ، والدين . فتلى فوثقها
 تنجلي حقيقة التوحيد ، وتتضح ماهية الشرك ، فيحا يتعلق بالأوهيية
 والربوبية ، ويخلص الإنسان الله تعالى بالعبادة وحده ، كما يخلص له
 دينه •

٣ - توحيد الأوهيية : عن الإمام المودودي هذه المصطلحات (٦) بكتاب
 ألفه سنة ١٩٤١م ، بعنوان «المصطلحات الأربعة في القرآن» وهو العام الذي

(١) - سورة التوبة : آية ، ٣١ •

(٢) - سورة آل عمران : آية ، ٥٠ •

(٣) - سورة الزمر : آية ، ١٢ •

(٤) - سورة الكهف : آية ، ١٠٥ •

(٥) - المودودي : المصطلحات الأربعة في القرآن ، ص : ٧ •

(٦) - اقتصرننا على مصالحين اثنين ، ما : الإله والرب من هذا المؤلف لأغراض

أسر فيه الجماعة الإسلمية التي تمخضت من ودينا عن الدعوة إلى المذاهب
 الحقيقية لهذه المذاهب بفتح الرسائل وتربية أفرادنا عليها .
 فبدأ كتابه ببيان حقيقة اليهودية لئلا ، وأصلاً ، حتى انجلست
 المذاهب المحددة لهذه الكلمة في جميع استعمالاتها ثم استخرج منها صورة
 توحيد اليهودية التي يدعو إليها الإسلام . نانتهي من التحقية اللغوي أو لا
 لكلمة (إله) التي تالت على المعبود إلى جملة من التصورات هي : ((قباء
 الناجية والإبارة والتهدئة والتالي والمهينة وتملك الدور التي يرجى
 بها أن يكون المعبود قائماً للطائعات مبرراً للتوازل وأن يكون متوارياً عن
 الأنظار يكاد يكون سرا من الأسرار لا يدركه النام وأن يفزع إليه الإنسان
 ويولج به)) (١) .

٤ - تصور الإله عند أهل الجاهلية : لقد كانت تلك هي المذاهب السابقة

لإله في لغة العرب ، فماذا عنها في عتائدكم وحياتهم الدينية ؟
 يقول تعالى : ((وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا)) (٢)
 ((وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ)) (٣)
 استفاد من مائتين الآيتين أن عقيدة أهل الجاهلية هي الشرك بالله تعالى ، وأن
 هذه الآلهة التي اتخذوها أنفسهم من دون الله أولياء لتحصيهم من النوائب
 والشدائد في زعمهم .

((. فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ
 أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ)) (٤)

((وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ . أَمْ سَاءَتْ
 غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ . إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ)) (٥)
 ((وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
 وَلَئِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ)) (٦)

(١) - المودودي : المصدر السابق ، ص : ١٥ .

(٢) - سورة مريم : آية ، ٨٢ .

(٣) - سورة يس : آية ، ٢٣ .

(٤) - سورة هود : آية ، ١٠١ .

(٥) - سورة النحل : الآيات ، من ١١ إلى ٢٢ .

(٦) - سورة يونس : آية ، ٦٦ .

يتضح من هذه الآيات أن أهل الجاهلية لما أتتوا آلهة لهم كانوا يدعونهم عند الشدائد ويستغيثون بها ، وأنها لم تكن لها شدة والجزء الثامن نحسب بل من البشر الذين ماتوا كذلك .

ويجدر بنا أن نفرق بين مفهومين للدعاء أحدهما لا يدخل في الشرك بالله تعالى والآخر هو عين الشرك .

فإذا أصيب رجل مثلاً بالعاصر ودعا خادمه وأمره بإحضار الماء ، أو مرض فدعا الطبيب لمعالجته ، فلا يصح أن نعتبر الدعاء في هاتين الحالتين بمعنى الاستغاثة وللب النمرة منهما وعليه فهو لم يتخذهما إلهين له . وإنما عمله ذاك جار على قانون النحل والأسباب في هذا العالم .

بينما لو استغاث بولي وقد أجهده المرز - بدلاً من أن يدعو الطبيب ، فلا شك أنه دعاه لتفريغ الكربة وأتخذها إلهاً وكأني به يراه سميماً بصيراً ، وهو في قبره ، ويزعم أنه نوعاً من السلالة على عالم الأسباب ، هما يجعله نادراً على تضاء حاجاته وفق تصرف غيبي خارج عن قوانين الطبيعة .

وخلاصة الأمر أن التصور الذي لأجله يدعو الإنسان إلهه ويستغيثه ويتضرع إليه هو بغير شك تصور كونا إلهه مالكا للسلطة المهيمنة على قوانين الطبيعة ، وللقوى الخارجة عن دائرة نفوذ قوانين الطبيعة . (١)

وكان أهل الجاهلية يعزفون إلى جانب آلهتهم (بإله قاهر) يعبرون عنه بكلمة (الله) في لذتهم ، يجعلون لهم نوناً في الوهية ذلك الإله الأعلى ، ويتقربون إليه بواسطتهم ، ويألبون ننته ويتجنبون مضرتهم باستدفاعهم . ولمثل هذه الظنون كانوا يتخذونهم أيها آلهة مع الله تعالى .

((وَالَّذِينَ اتَّخَدُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)) . (٢)

((وَكَانَ يُعَبِّدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ إِلَّا شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ)) . (٣)

ومن هنا يتبين أن الإنسان إن اتخذ أحداً شافعاً له عند الله ثم أصبح

(١) - المودودي : المصالحات الأربعة ، مصدر سابق ، ص : ١٢ ، ١٨ .

(٢) - سورة الزمر : آية ، ٣ .

(٣) - سورة يونس : آية ، ١٨ .

بدعوته ويستعين به ويحلّه ويحترسه ، ويستقدم إليه بالتذوق ، فذلك معنى اتخاذه إليها في عرف أهل الباطنية . (١)

ومناك مآني أخرى للأهمية تختلف عما سبق من المآني ، وتتعلق بالشرك في مجال التشريع فيما لم يأذن به الله ، واتخاذ النفس والهوى إليها من دون الله . كما فعل اليهود والنصارى في طاعتهم لأخبارهم ورهبانهم وتركوا أمر الله ، في مجال التحليل والتحریم . (٢) ففي الآية : ((اتَّخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ مَا مَرَّوَا إِلَّا لِيَعْبُدُوا ، إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ)) . (٣)

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه الترمذي وابن جرير من طرق عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقه سليل من ذهب وبنو يترأ هذه الآية ، قال : قلت : انهم لم يسبدوهم ، فقال : بلى ، انهم حرسوا عليهم الحلال وأخذوا لهم الحرام فاتبسبوهم فذلك عبادتهم لآياتهم . (٤)

أما من يتبع هوى النفس ويرى أمره نوح كل أمر نتد اتخذ نفسه إليها له نبي واقع الأمر كما جاء في قوله تعالى : ((أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ، أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا)) . (٥)

وفي الآية ((أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ)) (٦) ترد كلمة (شركاء) مكان الإله لتدل بكل تحديد على الشرك بالله تعالى في الأهمية من باب اتخاذ شرعة ومنهاجا ما وضعه فرد أو ثلاثة من الناس من قانون أو تشريع لا يستند فيه إلى أمر الله تعالى بأي وجه من الوجوه .
فمما تقدم ذكره من المآني المختلفة لكلمة (الإله) لفئة ، واضالاحا ، يوجد فيما بينها جميعا ارتباط منطقي ، يفتدي في نهاية المطاف إلى تصور محدد

(١) - المودودي : المصدر السابق ، ص : ١٩ .

(٢) - محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، م ١ ، ص : ٥٣١ .

(٣) - سورة التوبة : آية ، ٣١ .

(٤) - رواه الترمذي .

(٥) - سورة الفرقان : آية ، ٤٣ .

(٦) - سورة الشورى : آية ، ١٩ .

ينعصر في القول : ((أن أصل التوحيدية وجوهرنا هو (السلطة) سواء أكان
يستندنا الناس من حيث أن حكمها على هذا العالم حكم مهيسن على :
أ - قوانين الطبيعة .

أ - من حيث أن الإنسان في حياته الدنيا :
ب - مبيع لأمرها وتاب لإرشادها .

وأن أمرها في حد ذاته واجب الطاعة والإنعان)) . (١)

وهو عين (تصور السلطة) الذي يجعله القرآن الكريم أساسا لإقامة
البراسين والحجج على بنالان الوهية غير الله ، وإثبات الألوهية لله تعالى
وحده .

ه - المفهوم التوحيدي للألوهية : إن ما يستدل القرآن به على توحيد
الوهية الله تعالى هو أنه :

أ - لا يملك جميع السطات في السماوات والأرض إلا الله .

ب - والخلق مختص به ، وكل مخلوق خاض لأمره طوعا وكرها .

ج - ولا يترفع أسرار الخلق والنظم والتدبير غيره ، ولا يشاركه في صالحيات
حكمه أحد . ومن ثم لا إله في حقيقة الأمر إلا هو . (٢)

وإليك بيان ذلك في قوله تعالى :

((وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ)) . (٣)

((الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي
الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا . وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ
شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ، وَلَا يَمْلِكُونَ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا
حَيَاةً وَلَا نُشُورًا)) . (٤)

((لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا
يَعْفُونَ ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)) . (٥)

(١) - المودودي : المصطلحات الأربعة ، مصدر سابق ، ص : ٣٣ .

(٢) - نفس المصدر ، ص : ٣٣ .

(٣) - سورة الزخرف : آية ، ٨٤ .

(٤) - سورة الفرقان : الآيتان ، ٢ ، ٣ .

(٥) - سورة الأنبياء : الآيتان ، ٢٧ ، ٣٣ .

((أَمَّنْ سَخَّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَابًا
ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَيْئًا إِلَّا مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ
يَعْدِلُونَ • أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا
رَوَاسِيًّا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِنَّ إِلَهًا مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ • إِنَّ إِلَهَ
مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ • أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ
الرِّيَّاحَ نُفْرًا • بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ •
أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ إِلَهًا مَعَ اللَّهِ
قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) (١)

إن التأمّل في هذه الآيات كلها لا يجد إلا انكساراً رئيسية واحدة :
((ألا وهي أن كلا من الألوهية والسلطة تستلزم الأخرى وأنه لا فرق بينهما من
حيث المنى والروى • فالذي لا سلطة له ، لا يمكن أن يكون إلهاً ، ولا ينبغي
أن يتخذ إلهاً • وأما من يملك السلطة فهو الذي يجوز أن يكون إلهاً ، وهو
وحده ينبغي أن يتخذ إلهاً)) (٢) وهذه براهين ساطعة على وحدانية الله تعالى
المطلقة •

١- خصائص السلطة الإلهية : أ - إن أعمال قنناء الحاجة وكشف الضر
والإبارة والتوفيق والنصر والرتابة والحماية وإجابة الدعوات أمور في غاية
الندرة ، إذ لا يمكن الإيفاء بأغراضها إلا من قبل سلطة تتولى أمر الخلق
والتدبير في هذا الكون (٣) ذلك أن قنناء حاجة بسيطة من حوائج الإنسان تستدعي
أن تتحرك لأجلها عوامل كثيرة في ملكوت السموات والأرض • فهذه حبة القمح التي
يتوقف عليها غذاء الإنسان تعمل كل من الشمس والأرض والرياح والبحار والأنهار
والإنسان على توفير الجو المناسب والمواد المكونة لها حتى تصير في متناول
يد الإنسان صالحة لتغذيته • هذا مما يحتم أن تكون مقاليد السموات والأرض

(١) - سورة النمل : آيات ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ •

(٢) - المودودي : المسالحات الأربعة ، مصدر سابق ، ص : ٢٩ •

(٣) - المصدر السابق ، ص : ٢٦ •

بيد سلطة عذيمة لا تكون إلا سلطة الله تعالى التي تدبر ذاتها الكون و تهيمن عليه .

ب- وهذه السلطة الإلهية لا تقبل التجزئة ، فيكون الخلق بيد سلطة والرزق بيد أخرى ، والحياة والسمات بيد سلطة ثالثة . إذ لو كان ذلك كذلك لمسا استقر نظام هذا الكون على ما هو عليه ولما قامت له قائمة . فوحدانية الخالق تقتضي وحدة خلقه ، وما عليه واقع العالم من انقسام واطراد في نظم القوانين التي تحكمه إلا دليل على أن جميع السلطات والصلاحيات بيد حاكم واحد جل جلاله .

ج- وإذا كانت السلطة في هذا الكون بيد الحاكم . ولاحظ لأحد فيها فالألوهية مضمومة به لا محالة ، وخالصة له دون غيره لا شريك له . فكانت النتيجة بالضرورة أنه ما من منيئ ولا مستجيب ولا مجبر ولا نافع ولا نازع لشيء من ولا شفيح إلا الله . د- ومما يقتضيه توحيد السلطة العليا في الملك والخلق في هذا الكون، والتدبير لشؤون المخلوقات فيه على مستوى الذلولة والنبلة فيما يتصل بالسنن التكوينية، أن يستتبع بالضرورة أن يكون لهذه السلطة العليا أيضا الأمر والنهي فيما يتصل بالسنن التشريعية . ولا مبرر لأن يكون لله شريك في هذه الناحية .

((إن الخلق والرزق والإحياء والإنبات ، وتسخير الشمس والسر ، وتكوير الليل والنهار والقنأ والتقدر ، والحكم والملك ، والأمر والتشريع . . . كل أولئك وجوه مختلفة للسلطة الواحدة ، وسائر شتى للحكم الواحد ، والحكم والسلطة لا يقبل شيئا منهما التجزئة والتقسيم البتة)) . (١)

وعليه فالذي يدعي السلك والحكم المثلث بالمعاني السياسية ، ويحمل غيره على طاعته بغير سلطان من الله فانه يأتي من الشرك بمثل ما يأتي به الذي يدعو غير الله ويسأله بالمعاني الخارجة عن نطاق السنن الطبيعية . ومما يستلزمه إذن توحيد الألوهية ألا يشرك بالله تعالى كذلك فيما يتعلق بمعاني الملك والحكم إلى جانب توحيد سبانه في الخلق وتقدير الأشياء وتدبير العالم . (٢)

(١) - المودودي : المصدر السابق ، ص : ٢١ .

(٢) - المودودي : نظرية الإسلام السياسية ، مصدر سابق ، ص : ٢٧ .

رَزَقُكَ اللَّهُ مَالِكَ الْمُلْكِ تَوَاتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ
 وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ)) (١) أن الله عز وجل مالك كل شيء
 ويتصرف في الأكوافله وحده أن يهب الملك وينزعه ، ويبيده سبحانه العزة
 والمذلة . وكل خير في هذا السجود، وهو على علي كلثي قدير (٢)

٧ - توحيد الربوبية : لقد نهى الأستاذ السودوي في بحث مسألة الربوبية
 نفس المنهج الذي عزز به قنينة توحيد الألوهية . ان بدأ بتحديد المعاني
 اللغوية لكلمة الرب ، ثم أورد المعاني المختلفة التي جاء بها القرآن
 الكريم ومنحها إلى نوعين من التصورات :

x - التصور النال للربوبية .

x - والتصور التوحيدية لها .

أ - المعنى اللغوي لكلمة رب : يتول أبو الغلى السودوي : ((كلمة رب
 في اللغة العربية تالقت على السيد والمالك والرئيس والكفيل والمربي والحارس
 والرقيب والحاكم . . والمنشء والمؤسس . والله وحده رب العالمين بكل هذه
 المعاني جملة وتفصيلا)) (٣)

ويمكن تصنيف معاني (٣) كلمة رب فيما يلي إلى :

- المربي القائم على تنشئة المخلوقات ، وكفالة حاجاتها .

- الرقيب ، والمتكفل بتعهد وإصلاح حال المخلوقات .

- الرئيس والسيد ، والقلب الذي يجتمع الناس حوله .

- السيد المانع ، الناخذ الحكم ، والمعترف له بالسيادة ، وصلاحيات التصرف .

- الملك والسيد .

ب - وقد استعمل القرآن الكريم المعاني الخمسة التي جاءت بها لغة العرب
 لمفهوم لفظ الرب .

- فحول المعنى الأول جاء في قوله تعالى : ((قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي

أَحْسَنَ مَثَوَايَ)) (٤) أي قال يوسف عليه السلام : ((أعتصم وأستجير بالله ،
 ان صاحبك وزوجك سيدي ، أحسن منزلتي ، وأكرمني وأتممني ، فلا أخونه في أهله)) (٥)

(١) - سورة آل عمران : آية ، ٢٦ .

(٢) - محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، م ١ ، مرجع سابق ، ص ١٩٥ .

(٣) - السودوي : المصطلحات الأربعة ، مصدر سابق ، ص ٢٧ .

(٤) - سورة يوسف : آية ، ٢٣ .

(٥) - الدكتور صالح أحمد رنا : مختصر تفسير الطبري ، م ١ ، ص : ٢٩٥ .

وبما سطر الثاني من غير من السطر الأول، بما في قوله تعالى : ((قَائِمِهِمْ
عُدُو لِي إِلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ • الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ • وَالَّذِي هُوَ يُبَلِّغُنِي وَ
يُفْقِنِي • وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)) (١)

فالتالى سبحانه في هذه الآيات هو الذي يهدي إلى طريق الرشاد، ويتكفل
برزق الإنسان، وشفائه من المرض إذا مرض (٢)

وبالمعنى الثالث، الذي يكون فيه معنى الرب هو من يجتمع حوله ويسرع
إليه، قال تعالى : ((قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا)) (٣)

وفي المعنى الرابع الذي استعملت له كلمة رب في القرآن الكريم،
والتي تشير إلى صاحب السلطة النافذ حكمة الذي لا محقق لأمره، قال تعالى :
((اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ)) (٤)
((وَلَا يَتَّخِذُ بَعُنَا بَنَانًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ)) (٥)

ويراد بكلمة أرباب في الآيتين ما تتخذه الأوثان من علمائها ومرشديها
نداء يملكون ويحرمون على وجه الإلته، وتقبل منهم ذلك وتدعن له عن طواعية
وليست خالصة، من ما فيه من مخالفة صريحة لرب الله، بل تحسبهم فوق ذلك
يملكون من الأمر والنهي من عند أنفسهم (٦)

وأما المعنى الأخير الذي استعمله القرآن الكريم ويشير فيه إلى الملك
والسيادة المطلقة، يتول تعالى :

((لَقُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)) (٧)
((رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَنَارِقِ)) (٨)

٨ - التصورات الضالّة للربوبية : عز القرآن الكريم التصورات الضالّة
للربوبية التي كان يعتقدوا أقولم الأنبياء والرسل الذين بعثهم المولى

- (١) - سورة الشعراء : الآيات ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ .
- (٢) - محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، م ٢ ، ص : ٣٨٤ .
- (٣) - سورة سبأ : آية ٢٦ .
- (٤) - سورة التوبة : آية ٣١ .
- (٥) - سورة آل عمران : آية ٦٣ .
- (٦) - المودودي : المصطلحات الأربعة، مصدر سابق ، ص : ٤٠ .
- (٧) - سورة المؤمنون : آية ٨٧ .
- (٨) - سورة الصافات : آية ٥ .

عز وجل مدادة لخطه ، وتبيين ما اندر من كتاب التوحيد وسانيه المناجحة في مجال الألوهية والربوبية ، ومن هو الأثوام :

أ - قوم نوح عليه السلام : جاءت دعوة نوح عليه السلام إلى قومه واذاعة الهدى وحاسمة ، إذ توجه إليهم بقوله :

((يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)) . (١)

مترفا نفسه أنه رسولا بعثه الله إليهم .

((وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ • أَبْلُغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي)) . (٢)

غير أن قومه وقفوا أمام هذه الدعوة بإصرار وعناد ، يقرون بأن الله هو رب العالمين ، وأن هناك آلهة أخرى لها خلفي تدبير شؤون العالم وتنتلق بهم حاجتنا ، ومن ثم فلا منازع من أن نؤمن بهم آلهة لنا مع الله ونخضع لهم في شؤوننا العائلية والاجتماعية والسياسية كما نخضع لله رب العالمين سواء بسواء .

((وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)) (٣)

واضح ان أن نوحا عليه السلام دعاهم لتوحيد الربوبية باتخاذ الله تعالى وحده ربا وعبادته بكلمتاني الربوبية ، واعتبه فيما جاءهم به من عند الله تكمان يقول لهم :

((إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ • فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا)) . (٥)

ب - عاد قوم هود عليه السلام : ذكر القرآن الكريم عادا قوم هود عليه السلام بعد ذكر قوم نوح ، مبينا أن مشكلة هذه الأمة لم تكن متعلقة بوجود الله تعالى ، ولا بألوهيته ، وإنما بإشراك غيره معه في العبودية والباعة . قالتعالى :

((وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ)) (٦)

(١) - سورة الأعراف : آية ، ٥٨ .

(٢) - سورة الأعراف : آية ، ٦٠ ، ٦١ .

(٣) - سورة نوح : آية ، ٢٤ .

(٤) - المودودي : المصالحات الأربعة ، مصدر سابق ، ص : ٤٤ ، ٤٥ .

(٥) - سورة الشجرا : الآياتان : ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٦) - سورة الأعراف : آية ، ٦٤ .

((قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآتِنَا بِمَا تَعْبُدُنَا إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ)) (١).

ج - تمود قوم صالح : كان هؤلاء القوم أهداء في كفرهم وعصيانهم من الأمم السابقة عليهم . غير أنهم من حيث الأصل ما كانوا يعبدون وجود الله تعالى ويعبدونه ربا للخلق أجمعين .

أما عقيدتهم فتقر بأن الله لا يستحق وحده العبادة لديهم ، وأن الربوبية لا تخصه دون غيره بتمام معانيها . ولذلك عبدوا آلهة أخرى مع الله اعتقاداً منهم أنها تسمع الدعاء ، وتكفي الضر ، وتقضي الحاجات (٢) وكانوا يتبعون كبراءهم وأخبارهم في شؤنهم المثلثية والهندية ويستمدون منهم قوانين حياتهم وبناء علاقاتهم الاجتماعية . تارة تعالى :

((فَإِن أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَتَمُودَ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَاءً مِّنَ السَّمَاءِ يَاسِقًا فَسَقَّ النَّاسَ بِهَا صَاعِقَهُمْ فِي يَوْمٍ ذُو قُوَّةٍ)) (٣)

((وَإِلَى تَمُودَ إِذْ جَاءَهُمْ صَالِحًا قَالَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَفِرُّوهُ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ إِن رَّبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ . قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ)) (٤)

ولذلك لما جاءهم صالح عليه السلام نبيا يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته وحده ، وطلب منهم أن يسألوه المنفرة عن جرمهم الذي كانوا عليه وهو عبادة الأصنام وسائر الذنوب التي اجتروحوا في حياتهم . ثم يعتقدون العزم على عبادته تعالى ويندمون على ما فرطوا في حقه إنه تعالى قريب مجيب دعوة الداعي إذا دعاه .

وكان ردهم على النبي صالح أنهم كانوا ينتظرون الانتفاع برأيه قبل هذا

-
- (١) - سورة الأعراف : آية ٦٩ .
 (٢) - المودودي ٢ المصدر السابق ، ص : ٤٧ .
 (٣) - سورة فصلت : الآيتان ١٢ ، ١٣ .
 (٤) - سورة هود : الآيتان ٦٠ ، ٦١ .

الذي أظهره لهم حين دعوتهم إلى التوحيد وعبادة الله تعالى وترك أمثالهم
أما الآن لقد انتقل رجاؤهم منه وهم في ملك من أمره ، أن يبدوا اللد
ويشركون عبادة الأوثان . (١)

د - قوم إبراهيم ونمرود : وبعد قوم نوح يأتي ذكر قوم إبراهيم عليه
السلام ، ولما يجدر تأكيده من البداية أن قوم إبراهيم ونمرود لم يكونوا
يجنون الوهية وربوبية النالق عز وجل ، ليستدون أن الله هو خالق هذا
العالم وتدبر أمره .

فكان نمرود يشرك بالله حينما ادعى الربوبية بمعانيها **الثالث**
الرابع والخامس* ، نجد نفسه السيد الرئيس وماحب السلطة الملاح الذي
يملك كل صلاحيات التصرف . والمنتزعة له بالملك والعلاء والسيادة في قومه .
وأما قومه نعم انرارهم بربوبية الله تعالى فكانوا يشركون معه
الأجرام الفلكية بالمعنى الأول والثاني للربوبية ، وأما باقي معانيها
الثالثة الأخيرة نجعلونها لملوكهم وجباريتهم . (٢)

قال تعالى : ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ
الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ
إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي
كَفَرَ)) . (٣)

هذا عن تصور نمرود عن الربوبية ، فهو يتر بها لله بالمعنى الأول
والثاني كما ينترف بذلك للأجرام السماوية التي عندما قومه . ولكنه ادعى
لنفسه الربوبية بضانيها المتبعية والستلمة بالملك والسلطة المركزية
وحتى إصدار القوانين لتنظيم شؤون المبتغى . (٤)

وهذا إبراهيم عندما بلغ الرشد ، يصف لنا القرآن الكريم كيف تنطلي
معتقدات قومه الضالة في قضية الربوبية ليصل إلى الحق : ((فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ

(١) - الإمام الشوكاني : زبدة التفسير من فتح القدير ، ص : ٢٩٣ .

(٢) - المودودي : المصالحات الأربعة : ٤٨ ، ٤٩ .

(٣) - سورة البقرة : آية ٢٥٧ .

(٤) - المودودي : نظرية الإسلام السياسية ، مصدر سابق ، ص : ١٩ .

اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ، قَالَ سَذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَفَلَ ، قَالَ لَا أَحِبُّ الْإِقْلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِزًا ، قَالَ هَذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْتَن لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِزَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ((١))

هـ - قوم لوط عليه السلام : يخبرنا القرآن الكريم أن هؤلاء القوم كذلك نهجوا في معتقداتهم أسلوب قوم إبراهيم إذ لا نجد لديهم مشكلة إيمان بوجود الله تعالى ، ويعترفون بأنه الخالق والرب بالمعنى الأول والثاني . (٢) أما مشكلتهم في الأساس نتجت عن عدم اعترافهم بالربوبية لله عز وجل سبحانه الثابتة العتبية ، ذلك أنها تنبذ ساوئهم وتكبح جماع رغباتهم وأمواتهم النفسية التي نالوا العتاب لأجلها . قال تعالى : ((إِنْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولًا مِّمَّنْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَبْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ)) . (٣) أَنَا تَوْفَى الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ

وثبتي أن مثل هذا الخراب لا يوجه لغير المؤمنين بوجود الله الخالق رب العالمين ، ولذلك كان ردهم يتلخس بعوتهم مما نهاهم عنه من فعلتهم الشنيعة وهي إتيان الذكران من السالمين . قال تعالى على لسان قومه : ((قَالُوا لَيْتَن لَمْ تَنْتِهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ)) . (٤) ((... فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)) . (٥)

-
- (١) - سورة الأنعام : الآيات ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ .
 - (٢) - المودودي : المصطلحات الأربعة ، مصدر سابق ، ص : ٥٥ .
 - (٣) - سورة الشعراء : الآيات ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ .
 - (٤) - سورة الشعراء : آية ١٦٧ .
 - (٥) - سورة العنكبوت : آية ، ٢٩ .

نتكون بريمة . هؤلاء التوم عدم اتباع أوامر الله ونواحيه في حياتهم السلوكية وقوانينهم الاجتماعية صح إيمانهم بألوهيته وربوبيته أيضا فهو العالم النبيي .

و - قوم شعيب عليه السلام : كان قوم شعيب عليه السلام من ذرية أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، وشم أهل مدين وأصحاب الأيكة ، ومن ثم يكون من نائلة التول أن نبعت فيهم : هل كانوا يومئذ يؤمنون بوجود الله تعالى إليها وربما أم لا ؟ لقد كانوا في حقيقة الأمر أمة نشأت على الإسلام ابتداء ثم تارتق النساد إلى عتائدها وأعمالها ، وجاء شعيب لهم يدل على ذلك (١) قال تعالى : ((وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ بَاءَ تَكْفِيرُكُمْ بَيْنَكُمْ فَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِسْلَامِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) (٢)

((قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَمْ لَكِ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ)) (٣)

ز - فرعون وآله : إن فرعون وقومه لم يكونوا على جبل تام بالألوهية الله وربوبيته لقوى البينة في هذا العالم لأن تعاليم الأنبياء والرسول عن عقيدة التوحيد قد عرفوها قبل مجيئ موسى من سيدنا يوسف عليه السلام وإنما تشابهت قلوبهم من الشوام النالة التي مر ذكرها ، فأشركوا بالله تعالى في صفتي الألوهية والربوبية وجعلوا له أندادا يبدونها . قال تعالى على لسان مؤمن آل فرعون :

((وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْرَابِ ، مِثْلَ نَدَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ . وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ . يَوْمَ تُكَلِّفُونَ مُدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُنْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ))

(١) - المودودي : المصطلحات الأربعة ، مصدر سابق ، ص : ٥٧ ، ٥٨ .

(٢) - سورة الأعراف : آية ٨٤ .

(٣) - سورة شعور : آية ٨٧ .

فِي سَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ. (١) أَلَيْسَ أَنْ قَالَ : ((وَيَا قَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّسَارِ . تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْفَقَارِ)) . (٢)

اتضح من خطبة مؤمن آل فرعون إنذار أن دعوة يونس عليه السلام باقية في نفوس التوم رغم مضي قرون عديدة عليها عند معيبي موسى عليه السلام . (٣)

ح - اليهود والنصارى : لا شك أن تسمية الإيثار بوجود الله تعالى والوحيته وربوبيته على نحو من الأنحاء لا تخرج عن الأهم التي دانت باليهودية والنصرانية فالقرآن الكريم يسديهم بأهل الكتاب . إلا أنه من الضروري معرفة أوجه المزال في اعتقادهم عن الربوبية .

ويجيبنا القرآن على ذلك بقوله : ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَوَدَّوْا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)) . (٤)

لقد كان الغلو في تنظيم عيسى عليه السلام بين النصارى مصدر كل الانحرافات والضلالات ، كما كان لأهواء الحكام الرومان الذين دخلوا النصرانية بتصوراتهم الوثنية ذلك كبير في دخول شوائب على دين الله الحق الذي جاء به المسيح نقياً . (٥) قال تعالى : ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ)) . (٦)

((لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ . وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ)) . (٧)

(١) - سورة غافر : الآيات ، من ٣٠ إلى ٣٤ .

(٢) - سورة غافر : الآيات ، ٤١ ، ٤٢ .

(٣) - المودودي : المصطلحات الأربعة ، مصدر سابق ، ص : ٦٢ ، ٦٣ .

(٤) - سورة المائدة : آية ، ٧٩ .

(٥) - سيد قطب في ظلال القرآن ، م ، ١٦ ، ص : ٩٤٦ .

(٦) - سورة التوبة : آية ، ٣٠ .

(٧) - سورة المائدة : آية ، ٧٤ .

رَاتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ)) . (١)

إذ أن أصيبت عقيدة اليهود والنصارى من قبل النسطور في تعظيم الأنبياء والرسل والخروج بهم إلى حد التأليه وكذلك فعلوا من علمائهم حتى بلغ بهم الأمر أن أشركوهم بالله ، حيث برعوا لهم ما لم يأذن به الله فاتبعوهم ينسبوا من دون من دون سند من كتاب الله . فواتوا نبي مثلما وقع فيه من كان قبلهم من قوم نوح وقوم إبراهيم وعاد وشمود وأهل مدين وغيرهم . فأشركوا بالله المنانة وعبادة المترهبين في ساني الربوبية المهيمنة على ما فوق العالم الطبيعي ، كما جعلوا الربوبية بعنايتها الأخرى التي تتعلق بالمسائل السياسية والمدنية من حق الإنسان كذلك مع الله رب العالمين سواء بسواء . (١)

ط - المشركون العرب : يبين القرآن الكريم أن اعتادات المشركين من العرب الذين نزلت فيهم الرسالة الخاتمة لم يكونوا تائلين بوجود الله تعالى فحسب ، بل كانوا ينتقدون من ذلك أنه خالق هذا الكون وما فيه ومن فيه بما في ذلك الآلهة التي يعبدونها ، ويأطون لها رؤوسهم ، إجلالا وتعظيما ، كالات والفرز وغيرهما . ولم تكن عقيدتهم من ذلك في آلهتهم أنها قد غلقتهم وغلقت هذا الكون ، بل لم يجعلوا لها نصيبا من الهداية والارشاد والتوجيه في حياتهم الاجتماعية والدينية . (٢)

وهذه الآيات تشهد على ذلك :

((قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ . قُلْ مَنْ مَنِّي بِهِ مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ فَأَنَّى تُشْرِكُونَ ، بَلْ آتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)) (٣)

ويصرحون بعقيدتهم في الآلهة التي يعبدونها من دون الله بتولهم : ((وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)) . (٤)

(١) - سورة التوبة : آية ، ٢١ .

(٢) - العودوني ، المصطلحات الأربعة ، مصدر سابق ، ص : ٧٨ .

(٣) - نفس المصدر ، ص : ٨٠ .

(٤) - سورة المؤمنون : الآيات ، من ٨٥ إلى ٩١ .

(٥) - سورة الزمر : آية ، ٣ .

((وَيَتَوَلَّوْنَ هَوَاهُ لَا شَفَعَا مِنَّا عِنْدَ اللَّهِ)) . (١)

وينحصر نلال مشركي الرب في باب الربوبية من حيث الاعتقاد والأعمال فليس نوعين من النلال شأن الأمم النالة منذ التدم ، النوع الأول : هو الإشراك بالله إلهة وأرباب من دونه في الألوهية والربوبية فيما فوق عالم اليبينة ، كالاعتقاد في الملائكة ، والكواكب في الأفلاك وأرواح بعض النفوس الإنسانية المقدسة ، أن لها صلاحيات الحكم التام وراء الطلل والأسباب .

ولذلك تراهم في آداء شنائهم وعبادتهم لا يرجعون إلى الله وحده بالدعاء والاستغاثة . قال تعالى : ((يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُ ، ذَلِكَ هُوَ السَّلَالُ الْبَعِيدُ يَدْعُوا لَمَن شَرَّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لِيَبْسُ الْمَوْلَى وَلِيَبْسُ الْعَيْسِرُ)) . (٢)

وأما النوع الثاني من النلال الذي لحق بجانب الربوبية في اعتقاد مشركي العرب هو تسليمهم لبيوت آدابهم وزعمائهم في ابتداء قتل أولادهم وجناب هذا النحل الشنيع عملا كريما ، الأمر الذي حملهم على إدخال هذه الجريمة الذكرا على دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام . قال تعالى : ((وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَيْبِرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءَ وَهُمْ لِيُرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ)) . (٣)

((أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ عَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَالٌ يَأْتَنُ بِهِ اللَّهُ)) . (٤)

واضح إذن أن ما وانه القادة والزعماء من الحدود والقوانين هو بمثابة اندين بنير ان من الله ، وأن اعتقاد العرب وأتباعهم لذلك التشريع هو عين الإشراك بالله ، في غنائم الربوبية بسائنها الثلاثة الأخيرة . (٥)

(١) - سورة يونس : آية ١٨ ،

(٢) - سورة الحج : آية ١٢ ، ١٣ ،

(٣) - سورة الأنعام : آية ١٣٨ ،

(٤) - سورة الثورى : آية ١٩ ،

(٥) - المودودي : المصطلحات الأربعة ، مصدر سابق ، ص : ٨٦ .

٩ - توحيد الربوبية في القرآن : يستنتج السوادور من بحثه التنبؤات وعائد الأمم النالة في التاريخ في باب الربوبية ، أنها لم تكن تجسد وجود الله تعالى ، ولا تذكر ألوهيته وربوبيته ملثا . وإنما كان القاسم المشترك بينها جميعا في الضلال هو اتفاتها على تسمية المعاني الخمسة لكلمة الرب إلى تسمين :

- يضم التسم الأول الساني التي تدل على أن الرب هو الثالث والمربي الذي يعظ ويرعى مخلوقاته جميعا ويقضي حاجاتهم بطرق خارجة عن النظام الطبيعي كانوا يعتقدون هذا في الله تعالى ، إلا أنهم أنكروا به في نفس مصاني الربوبية بين مخلوقاته ، من ملائكة ، وجن ، وأنبياء ، ورسول ، وأئمة .
- وينتم القسم الثاني من مصاني الربوبية صاحب السلة النليا ومصدر الهداية والمشرح والملك السيد والأمر الناهي . فكان المشركون في هذا الباب إما أنهم يعتقدون أن النفوس الإنسانية وخدماتها من دون الله ، ولما يستسلمون لربوبية تلك النفوس في جوانب حياتهم المختلفة من أخلاقية واجتماعية وسياسية من احتفاظهم بالإيمان نظريا بأن الله هو الرب .

وهذا الانحراف الاعتقادي في باب الربوبية ، ((هو الضلال الذي ما زالت تبعث لحسمه الرسل عليهم السلام من لدن فجر التاريخ ، ولأجل ذلك بعث الله أخيرا محمد صلى الله عليه وسلم .
وكانت دعوتهم جميعا أن الرب بجميع معاني الكلمة واحد ليس غير ، وهو الله تقدست أسماؤه . والربوبية ما كانت لتقبل التجزئة ولم يكن جزء من أجزائها يرجع إلى أحد مزدون الله بوجه من الوجوه ، وأن نظام مسدا الكون مرتب بأصله . . . تدخله الله الواحد الأحد ، ويحكمه الفرد الصمد . . .
وبما أن الله تعالى هو مالك السلطة المركزية ، فإنه هو وحده ربكم في دائرة ما فوق الطبيعة ، وربكم في شؤون المدنية والسياسة والأخلاق ومعبودكم ووجهة ركوعكم وسجودكم ، ومرجع دعائكم وعماد توكلكم ، والمتكفل بقضاء حاجاتكم ، وكذلك هو الملك ، ومالك الملك ، وهو الشارح والمقنن ،
والأمر والناهي)) . (١)

ويؤكد القرآن هذه السمات المختلفة لخدمة الرب واجتماعها في ذاته سبحانه وتعالى واستماسة أن يتدبر بها أحد مبدونه . تارة تبارك :

((إِنَّا رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُبْشِرُ اللَّيْلَ إِذَا بَلَغَ الْبُحْرَيْنِ وَيَلْبَسُ حَبِيبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ، أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)) . (١)

((ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِبِئْسَ عِلْمٍ ... فَأَتَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَتِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)) . (٢)

((رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا)) . (٣)

((رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا)) . (٤)

((إِنَّا هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلَّ إِلَهٍ لَنَا رَاجِعُونَ)) . (٥)

((اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ)) . (٦)

((قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَهِ الْقَاسِمِ)) (٧)

((فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)) (٨)

يقول المودودي : ((نبشراة هذه الآيات بالترتيب الذي سردناها

به ، يتبين للقارئ أن القرآن يجعل (الربوبية) مترادفة مع الحاكمية

والملكية ، ويصف لنا الرب بأنه الحاكم المطلق لهذا الكون وبإلحاح وأمره

الوحيد لا شريك له)) . (٩)

(١) - سورة الأعراف : آية ٥٣ .

(٢) - سورة الروم : الآيات ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .

(٣) - سورة مريم : آية ، ٦٥ .

(٤) - سورة المزمل : آية ، ٨ .

(٥) - سورة الأنبياء : الآيات ، ٩١ ، ٩٢ .

(٦) - سورة الأعراف : آية ، ٢ .

(٧) - سورة الناس : آية ، ١ ، ٢ ، ٣ .

(٨) - سورة الكهف : آية ، ١٠٥ .

(٩) - المصدر السابق ، ص ٩٤ .

ومن ثم فحري بنا أن نؤمن به رباً وإلهاً ، نحن وبجميع خلقه ، ونسبده
 وعده وننتله • وكل من يتنكب السراط السوي في الاعتقاد بأن أمراً ما من
 الربوبية ، في هذا الكون أو خارجه ، يعود إلى أحد غير الله عز وجل
 فإنه يحيد عن الصواب ، ويخطئ الحقيقة ، ويتألف الواقع ، الذي جبلت عليه
 كل الكائنات من أن لها رباً واحداً ، بيده السيادة العليا ، ومركزية النظام
 الكوني الذي يسلكها في وحدة وانسجام تام • كل ذلك ينفي إلى نتيجة محددة
 وهي : أن جميع مبادئ الربوبية مختصة بذات الله الواحد الأحد الفرد الصمد
 الذي أعلم هذا النظام خلقه وتدره تقديراً . (١)

بهذا العرض الوافي بتوحيد الألوهية وتوحيد الربوبية تكتمل الصورة
 التي يريدنا القرآن الكريم أن تكون عند كل مؤمن بالألوهية الدولية عز وجل
 وربوبيته لك ما في هذا الوجود ومنه • وقد نبهنا القرآن إلى شرور
 الشرك في الألوهية والربوبية عند الأتدين من أقوام الأنبياء والرسل مخذرا
 من الوقوع فيها ، وتوعدا الصريين عليها بعذاب الخلد في البعيم ، وأن
 أعظم جرم يرتكبه الإنسان في حق نفسه في هذه الحياة هو الشرك بالله •
 قال تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَنْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لَمَنْ يَشَاءُ)) (٢)

(١) - نفس المصدر السابق ، ص : ٩٤ •

(٢) - سورة النساء : آية ، ١١٥ •

الفصل الثاني

التصور الإسلامي للإنسان والحياة الدنيا :

أولاً : التصور الإسلامي للإنسان :

١ - حقيقة الإنسان الفطرية : إن تسررنا عن أصل الإنسان في طبيعة تكوينه الفطري ، ومنزلته الخاصة بين المخلوقات جميعاً في هذا الكون، ومعرفة أنواع العلاقات المختلفة التي تحكم حركته في الحياة مع خالقه عز وجل ، ومع بني جنسه من البشر ، ومن سائر الكائنات الأرضية ، كل ذلك يعدد لنا وجهة الإنسان في الحياة الدنيا ، والناية من وجوده ، ودوره الحقيقي فوق الأرض .

ولما كان القرآن الكريم كتاباً بداية للإنسان إلى حقائق الوجود النهائية فدأء يبين لنا حقيقة الإنسان الفطرية ، والناية من وجوده ، ودوره في الحياة الدنيا وسائر علاقاته ، إلى مسيره في حياته بعد مماته .

أ - خلق الإنسان : إن سرفة الإنسان لحقيقته النظرية من حيث التكوين وعناصره التي تدخل في كيان هذا السلوك من الأمور التي حددنا الوحي الكريم بدقة متناهية، قال تعالى : ((وَأَنذَرْتُكَ لِيَوْمَ أَن نَبُوءُ بِرُوحِكَ بَشَرًا مِّنْ صَلَٰصَالٍ مِّنْ حَمَلٍ مِّنْسُونٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَٰجِدِينَ)) (١) وقال كذلك : ((وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلَ نُصْلَهُ مِنْ سَٰلَةٍ مِنْ مَّاءٍ حَمِيمٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِي)) (٢)

تشير الآيات الكريمة إلى عناصر نفاة الإنسان المتمردة في هذا الكائن المركب من مادة الطين وما تتدلبه من نزوات وحاجات كاللغام والشراب والشهوات والنزوات ، وما فيها من ضعف وقصور وما ينتج عن ذلك من أهواء وتصرفات . ومن نفخة إلهية علوية من روح الله في هذه الكتلة من المادة التي

(١) - سورة الحجر : الآيتان ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) - سورة السجدة : الآيات ٦ ، ٧ ، ٨ .

نقلتها من التكوين العنسي إلى الإنسان الكريم .

إذن طبيعة الإنسان الفطرية طبيعية من وجهة من مادة وروح . وتجدد
الإشارة هنا إلى أن هذا الكائن المتشرد في ببلته لا يتصرف في حياته إلا
من خلال هذين الأفتين في تكوينه : ((فإنه لا يكون أبنا خالما في لحظة ،
ولا يكون روحا خالما في لحظة ، ولا يتصرف تصرفا واحدا إلا بحكم تركيبه الذي
لا يقع فيه الانفصال)) . (١)

والإنسان من بدء حياته إلى نهايتها في هذه الدنيا هقيد بسنن الفطرة
التي خلق عليها ، وهو مسوؤور عن إحداث التوازن بين نوازعه الاليفية ،
ومطالب الروح فيه .

فمن غير المنقول بحسب تكوينه أن يطلب إليه في هذه الحياة أن يتخلى
عن طبيعة أحد عناصره ومطالبه لحساب عنصر على الأخر ، كأن يكون ملكا فقط
أو حيوانا نحسب ، وليس في وسعه أن يتصرف بهذا التصرف .

والذي يحاول أن يعطل طاقاته البصوية الحيوية كما الذي يحاول أن
يبدل طاقاته الروحية . كلاهما يخرج على سوا فطرته ، ويريد من نفسه ما لم
يرده الثالث له)) . (٢)

ورغم ما يشهده الإنسان من حين لأخر ، أو ترويه له أحداث التاريخ من
تقلبات في الحياة وكوارث ، ومن نعيم يرذل فيه من غير حول منه ولا قسوة ،
نتراه يصر أذنيه ولا يرى بعينيه عبرة كل ذلك فيخرج على الله خالقه عاصيا
لا يبالي بأحكامه ، أو باحدا للحد ، ويزيد على ذلك ظلما وعتوا ، فيرغم
عباد الله على طاعته بنير حق ، فيما نيه الخروج على دين الله . فيكسرن
العتو والفساد في الأرض ما ل تلك الأعمار ، وخراب السران البشري . (٣)

قال تعالى : ((وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلُّمٌ مِّنْ دَعْوَنِ الْآيَاهُ ، فَلَمَّا نَجَّكُمْ
إِلَى الْبَرِّ اعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا . أَفَأَمِنْتُمْ أَن يُخَسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا . أَمْ آمَنْتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى

(١) - سيد قطب : في ظلال القرآن ، م ٤ ، ص : ٢١٣٩ .

(٢) - المرجع السابق ، ص : ٢١٣٩ .

(٣) - أبو الأعلى المودودي : الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها ، ص : ١٥٦٤ .

فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا عَلَيْنَا سِيًّا
تَيْبًا ((١)).

٢ - منزلة الإنسان في الكون : تدلنا أبيعة الإنسان في بعدها المادي
عز أنه جزء من هذا الكون ، خلقه الله من تراب من حيث الأصل ، وجعل سلته
منها مهين ، ونفخ فيه من روحه ، صار بشرا سويا عاقلا ومفكرا وقادرا على
إدارة أمره على نحو لم يتيسر لغيره سواه في هذا الكون . (٢)

وللمصائر التي يشوق عليها الإنسان في جبلته تتحدد منزلته في هذا
الكون ، إذ بؤاه الله عز وجل مقام العاقبة عند على شهر هذه الأرض وكرمه
على ما خلقه وأسجد له الملائكة .

قال تعالى : ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ
مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)) . (٣)

إذن فالإنسان ببنيته المادي والروحي مخلوق مكرم ومنفل على سائر
كائنات هذا الوجود . مما يؤمله حسب فطرته أن يكون سيد هذا الكون ،
وخليفة الله في الأرض . ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ)) . (٤)
وعملية التسخير تعني أن هذا الكون تحت تصرف الإنسان ، فما من شيء في
السموات والأرض إلا وهو مسخر لثائده ومتاعه ، من أشجار وأنهار وبحار وهوا
ونور وظلام ، فتراها جميعا تجهد نفسها وتتنازع من علاقات معتدة وحسابات
مضبوطة ، ومتدرة لنفع الإنسان وراحته .

ومنا تتحدد منزلة الإنسان - كما بينها القرآن الكريم - بكل وضوح
أنها منزلة السيد المفضل على كل المنظوقات ، المتصرف فيها . فما
للإنسان لا يربأ بنفسه عن أن يطأطأ رأسه لأي مخلوق مثله ، أو دونه في
المرتبة ؟ ويراه قاضيا لحاجاته ، ويستنجد به ، ويتوجس منه خيفة ؟ ... إن
فعل هذا اعتقادا منه فقد أشرك بربه ، وأذل نفسه ، وحط من قيمته وشرفه ،

(١) - سورة الاسراء : الآيات ٦٢ ، ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) - د . محمد سعيد رمضان البوطي : منهج الحضارة الإنسانية في القرآن : ٤٧ .

(٣) - سورة الاسراء : آية ، ٧٠ .

(٤) - سورة الحج : آية ، ٦٤ .

ويجوز منزهته في عبادتنا ، ثم في عبيدنا ، ثم في عبيدنا ، ثم في عبيدنا . (١)
غير أنه ينبغي أن ننبه إلى أن علو مكانة الإنسان في هذا الكون كما
جاءت في القرآن الكريم لا ترقى به إلى الحد الذي يرى فيه نفسه أكبر وأعظم
كاشن في النالمة ، يستلج غارسة وأنانية ، ويدعي سنها وشرورا أنه غير
سوءول أمام أحد ، ويمتد بإفراط ، وينادي في النار : ((أَنَا رَبُّكُمْ
الْأَعْلَى)) . (٢) و ((مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)) . (٣)
ولا هو من الذلة والمهانة والذممة ، فيظن أنه أدنى وأرذل كاشن في
النالمة عندما يميل إلى جانب التعريط ، فيجد كزحبر أو شجر ويسجد للشمس
أو للشمس ، ويمتد في كل موجود يرى فيه شيئا من القوة والتدرة أنه
يضره أو ينفسه . (٤)

٣ - خلافة الانسان لله في الأرض : إن منزلة الانسان التي أحتملها في الكون
من رفعة وتفضيل على سائر المخلوقات نظرا لما يتسبب به من سبب
ومخائن ينفرد بها كالنقار ، والسلام ، والزيادة . هذه الصفات جديدا تؤهلها
للخليفة عن المولى عز وجل في الأرض . ولم يترك القرآن الكريم مجالاً لأحد
للاعتقاد في استحقاق الانسان لهذا المنصب بل وبتكرار وتكرار في العديد
من السور والآيات . نرى ما يلي :

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً . قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ
يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ . وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ
هَذِهِ لَئِنْ أَنْبَأْتُمْ صَادِقِينَ ، قَالُوا لَا نَعْلَمُ لَهَا وَلَا لَهَا مَا عَلَّمْنَا إِنْكَ أَنْتَ
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ
أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ . وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) . (٥)

(١) - أبو الطاهر السودوي : المعجزة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ١٦ .

(٢) - سورة النازعات : آية ، ٧٤ .

(٣) - سورة التيسر : آية ، ١٠ .

(٤) - السودوي ، المصدر السابق ، ص : ١١ .

(٥) - سورة البقرة : آيات ، من ٢١ إلى ٢٢ .

على هذا الشأن بار الإنسان في هذا الوجود حقيقة عن الله في الأرض ، أي نأبها عنه تعالى في ملكته يشرها فيها . بلنا نحن الاستعداد الذي وهبه الله أيادنا ، ولم يكن الإنسان في حقيقة أمره إلا لاجسادا حثيرا لا شأن له ، أصله من حمل مسنون أو اثنين متخير ، ولكنه أصبح أملا لتعمل أعباء الخلافة الإلهية في الأرض لنسأ نفع الله فيه من روجه وأعطاه من علمه . (٧)

غير أن القوى الشيطانية المتمثلة في إبليس أبت وأستكبرت على هذا المخلوق الفريد في تركيبه تكوينه ، فلما منها أنها أسى مكانة وأرفع قدرا منه ، لأنها خلقت من نار وخلق من لين .

واستحق إبليس بسبب عصيانه لأمر الله في عدم سجوده مع الملائكة لأدم غلب ربه وخلق عليه السنة الى يوم الدين . تار تعالى :

((قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ لِينٍ)) . (٧)

٤ - وظيفة الإنسان في الأرض : جاء في قوله تعالى : ((إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)) . (٥) أن كلمة الأمانة في هذه الآية يراد بها نفس معنى كلمة خلافة التي منحت للإنسان في هذه الأرض . (٥)

وبمعرفة مننون الكلمتين تتحدد وظيفة الإنسان ونزلته الحقيقية في هذا الكون ، كما أرادها المولى عز وجل .

ويراد بالأمانة في هذه الآية حرية الاختيار والمسؤولية معا ، وعجز السماوات والأرض عن تحمل هذه الأمانة ، يعني أنه لم يكن قبل خلق الإنسان مخلوقا آخر يستلبح حملها .

وأن الذي أسندت إليه وظيفة الخلافة في سورة البقرة هو الإنسان ، وهو ذاته الذي حمل الأمانة في هذه الآية . وفي سورة البقرة ثبت بالدليل الحاسم بعد الامتحان أن الذي يستحق منصب الخلافة هو آدم لا الملائكة . وفي

(١) - أبو الأعلى المودودي : نظام الحياة في الإسلام من: ٣٣٠ ، ٢٤ .

(٢) - أبو الأعلى المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ١٨ .

(٣) - سورة من : آيتان ، ٧٤ ، ٧٥ .

(٤) - سورة الخزاب : آية ٧٧ .

(٥) - أبو الأعلى المودودي : تفسير سورة الخزاب ، ص : ١٧٥ .

وفي آيات الأحزاب آتية السنن والآثار من التمر على تعذر عبء الأمانة
وأشرد الإنسان بحملها. (١)

ولما كانت الحرية المنفوحة للإنسان هي أن يبيع الله أو يعصيه بمحض
اختياره ، فقد مكته من سلك التصرف في مخلوقاته الكثيرة في هذا الكون
وتهي بدورها - المخلوقات - تعينه على سائر تعريته ، فتكون النتيجة
بالضرورة أن تترتب مسوءولية الإنسان عن أعماله الاختيارية ، فهو على
حسناته وأعماله الخيرة ، ويعاقب على سيئاته وأعماله الشريرة. (٢)

ومن ثم فالإنسان حاكم الأرض ، ومتصرف في شؤونها ، ولكن حاكميته ليست
بالفائلة ، وإنما بالتنويض والمنحة من الله جل جلاله . وجميع سلطاته
المنوطة إليه ، التي يدلل عليها لفظ الأمانة حينها ، ولفظ الخلافة حينها
آخر ، تشير إلى أن الإنسان أربعة تساهم في تكوين هذه الخلافة :

أ - الله المُستخِل

ب - والإنسان المُستخِل

ج - والكون المُستخِل

د - ونهج النفس - لا اله الا الله - الذي يهديه الإنسان في حياته .

قال تعالى : ((قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ
تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) . (٣)

فالإنسان إذن بحكم تكوينه الذري من جسد وروح ، حار مؤملاً لمنسب
الخلافة عن الله تعالى في الأرض ، وتلك الخلافة هي عين منزلة التكريم التي
حظي بها من دون سائر الكائنات في الوجود . ((وليمن النياحة عن الله عز وجل
محصورة بنرد من أفراد البشرية ولا بانهاثة من أوائها وإنما الجنس البشري
- بمجموع أفرادها ولوائفه - قد نيل به منصب الخلافة الإلهية . . . ولأجل هذا
ليس لأي إنسان أن يسجد لأي إنسان آخر ، ولا من حق غيره ، كائناً من كان أن
يطلبه أن يسجد له ويأطى له رأسه بالناعية والانتقاد المطلق)) . (٤)

(١) - أبو الأعلى المودودي : الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة ص : ٢١٤

(٢) - أبو الأعلى المودودي : تفسير سورة الأحزاب ، مصدر سابق ، ص : ١٧٥ .

(٣) - سورة البقرة : آية ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ .

(٤) - أبو الأعلى المودودي : المناصرة السامية ، مصدر سابق ، ص : ٢٧ .

غير أنه من اسوأ جباة العالمين أن الله (الخالق) ورد في القرآن الكريم بثلاثة سان محتففة: (١)

الأول: ((عمل أمانة السلطة والصلاحيات)) ، وبهذا المعنى أن درية آدم كلها خليفة لله في الأرض .

والثاني: ((ممارسة مناحيات الخلافة تحت أمر الله التمشيري - لا تحت أمره التكويني فقط - مع التسليم بما كميته العليا)) ، وبهذا المعنى إنما المؤمن السالح هو خليفة في الأرض لأنه هو الذي يؤممي حن الخلافة على وجه الصحيح ، بينما الكافر ليس خليفة لله ، أنه يتدرف في ملكه على وجه لا يرئمه . قال تعالى: ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفْنَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا . وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)) . (٧)

والمعنى الثالث: ((قيام أمة جديدة تمام أمة غالبة في عسر من المنصور بعد انقراضها)) . وبهذا المعنى الأور والثاني يدلان على استمرار الخلافة بسنن النيابة . وأما المعنى الثالث فيعني النبوة والظهور محل النبوة .

وفي هذه المعاني المتعددة للمعنى ثلاثة يتبين من معنى آية الاستخلاف أن السيات بنيد أن كلمة خليفة استعملت لتدل على الحكومتا القائمة بحق نيابة الله تعالى وفق أمره الشرعي ، ولأن ذلك أعز الله تعالى السنافتين المدعين بإسائتهم ، في وعده النبي قطعه للمؤمنين في هذه الآية ، فضلا عن أن يضم الكفار ويؤكد بوجوح تام أن وعده تعالى بالاستخلاف والتماكين يخرئة المتصفيين بسنن الإيمان والعمل الصالح من بني آدم ، لا غير . (٨)

ويحتفظ الإنسان بأهليته للخلافة بجميع معانيها السابقة ما بقيت روحه في جسده ، فان فارقت الروح بالموت ، زالت الحاجة إلى الخلافة ، لأن الخلافة حرية واختيار ومسؤولية ، وهذه أمور تستلزم الحياة ، والارادة ، والوعي .

(١) - أبو الأعلى المودودي : تفسير سورة النور ، ص : ٢١٢ .

(٢) - سورة النور : آية ٥٢ .

(٣) - المودودي : المصدر السابق ، ص : ٢١٧ .

ثانياً: التصور الإسلامي للحياة الدنيا •

١ - تصورات غير إسلامية للحياة : تشترك جميع التصورات غير الإسلامية للحياة في النظرة الجزئية القاصرة إلى الإنسان والكون والحياة، وقد عرفت الإنسانية بجملة من التصورات الباطنية مثل :

أ - الانسان كائن حقير : هذه النتيجة لازمة نأثر في الكون والإنسان والحياة، وبالمتارنة بين هذا الإنسان وعجزه ، ونهامة التور الأخرى في أشكالها ، وأحجامها وتأثيرها في الحياة ، سلبي وإيجابيا ، حكمة على الإنسان بحقارتها ونآلتها في هذا العالم المترامي الأطراف ، وأن سلطان هذه القوى لا تستمد من ارادة خارجها ، بل هي مستقلة أو شبه مستقلة بأمرنا ، فلا تقوم بشيء في هذا العالم إلا بسخط ارادتها وأختيارها .^(١) وأمام هذا التصور انلست كل قيمة للإنسان إلزامية من القوى الطبيعة ، وظهر لديه تأليه لهظامها ، من عبادة الأصنام والأوثان وعبادة الشجار والتبارة وعبادة النجوم وما إليها من تور النار .^(٢)

ب - الرهبانية : تتولها أن الحياة الدنيا التي تدرك الوجود البشري مبعض شقاء وآلام للإنسان ، وأن روحه في جسده كمثل سجين يذوق آلام الحبس على ما اتعرفت يداه من أغلاء ، وكلما تنزهت إليه قدر الإنسان من متع الدنيا وملذاتها هي عين الأغلال والضناد التي تحبس روحه وتطيل عذابها . وأن فوق النجاة في أزيدير الإنسان ظهره للحياة الدنيا بجميع مباحها ومخاتفسها ، وأزيتها وأصر التبرر منها ، حتى تزكو الرن وتسو ، وتعود غنيمة صافية لا يشوبها كدر النفس وتتمكن من التحليات في ساء النجاة البالية والطيوان إلى الملا الأعلى .^(٣) والاتجاه الكنسي في الرهبانية اخترع طريقا للخلاص الإنساني الأبدي في زعمه بتنحية المسيح عليه السلام عن كل من انتسب إليه .

(١) - المودودي : الحضارة الاسلامية ، مصدر سابق ، ص : ٣٩ .

(٢) - المصدر السابق ، ص : ٤٠ .

(٣) - أبو الأعلى المودودي : الإسلام والباطنية ، مصدر سابق ، ص : ٣٢ .

ج - المادية : تنشر المادية إلى الحياة الدنيا على أن فيها أسباب اللذة والتنعم والرفاهية ، ولم يعمل الإنسان فيها إلا على جزء يسير من الزمن يتدر بغيره ، غير أن شعوره بالبهو والألم والتكد والحزن ينسد عليه التمتع بهذه السباح واللذات ، فتأن عليه إذن أن يبطل هذا المصور بألقب مما لذ ولباب ، ويبتعد عن كل أسباب السقاء والألم لأنه لا حياة له بعد حياته الدنيا (١)

د - التصور الجبصري للحياة : استقر هذا الاتجاه تصوره الجبصري عن حياة الإنسان من تحولية القانون النظري الذي يسود الحياة في هذا الكون، مستندا إلى جملة حقائق ونظريات علمية من علوم النفس والأغناء والأحياء، فالإنسان في نوع هذه العلوم وغيرها كائن مكبل بجملة من توانين الحياة فهو بلا إرادة ولا اختيار . وكل تذكر أو عمل يقوم به الإنسان مثالنا لهذا القانون النظري نأخرج عليه ولا تبعد تلمحه عن عملنا من أعناق نبي الحياة الدنيا . (٢)

هـ - التصور الحر للحياة : وعلى عكس ما سبق هناك تصور يعتبر الإنسان ليس حراً فحسب ، بل غير مسؤول أمام أحد خارج ضميره أو قانون حكومته . لأن الإنسان صاحب هذا العالم ، وكذا ما فيه مصدر لخدمته وبنفسته ، فله الحرية كد الحرية في الانتفاع بجميع الخيرات والإمكانات على الوجه الذي يرضيه ويحقق له النفع . وأن مصلحته الفردية متقدمة على المصلحة الاجتماعية ، وهذه الأثرة تتحقق بتجرد صيانة وتحقيق المصلحة الفردية . (٣)

هذه جملة من التصورات عن الحياة الدنيا عندها الإنسان في القديم والحديث لمختلف الأديان والمذاهب الفكرية ، وكل منها قد نشأ على أساسه نظام اجتماعي وطراز معين للحضارة في تاريخ الإنسانية ، والذي يجمعها كلها أنها نظرات جزئية ، لا تسندما نظرة شاملة للحياة من جميع جوانبها وتصلدهم

(١) - المودودي : الحنارة الاسلامية ، مصدر سابق ، ص : ٤١ .

(٢) - المصدر السابق ، ص : ٤٢ .

(٣) - المصدر السابق : ص : ٤٢ ، ٤٣ .

باعتبارها السارية السابقة عن الفكرة الكلية لتكون في مجزئتها ، وتبين
التمكن الصحيحة التي يمتثلها إنسان بين سروراته .

٢ - التصور الاسلامي للحياة : سبب أن بينا أن حقيقة الإنسان الفطرية
ذات أبعاد مزدوجة : مادية ، وروحية ، وأن الثالث بل وعلا منحه التلسم ،
فصل له الفضل والتكريم على سائر المخلوقات بما في ذلك الملائكة ، فكانت
منزلته في هذا الكون في حقل الأمانة، أو العفة عن الله في الأرض ، الأثر
الذي يجعله سيد هذا الكون من جهة ، وعبد الله من جهة أخرى لأنه نائب عنه
في التدبير فيما سوبخوزته وقد منبج الله الذي استغلته ، التي اعته لله
نباحه في الدنيا ونزاعه في الآخرة ، وفي مسيئة له شران في الأولى وعذاب
في الآخرة . ومنسب العفة الذي استتمه الإنسان في هذه الأرض نائبا عن
خالقه جل جلاله هو نفس الناس الحاسم في بيان نوع علاقة الإنسان بكل
أنواع المخلوقات في السماوات والأرض ، بل وحتى بجسده وما نيه من تسوى
عقلية ونسبية وروحية ، وعلاقته بأبيه الإنسان في مضار الحياة الدنيا . (١)

وقد بين القرآن الكريم جبين نزاجي العفة بين الإنسان والحياة الدنيا
بما لا يدع مجالاً لمزيد من التحديد ، وإليها أوجه هذه العلاقة التي تشكل
في نهاية المطاف الدور الإسلامي للحياة الدنيا .
أ - حدود خلافة الإنسان : قال الله تعالى : ((وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ
الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيُبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ)) . (٢)
((إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ)) . (٣)
((قُلِ اللَّهُمَّ مَا لِكِ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ
وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ)) . (٤)

-
- (١) - المودودي : الإسلام والجنسية ، مصدر سابق ، ص : ٢٩ ، ٣٠ .
(٢) - سورة الأنعام : آية : ١١٢ .
(٣) - سورة الأنعام : آية ، ٥٨ .
(٤) - سورة آل عمران : آية ، ٢٦ .

((قَدْ إِنْ فَازْتَنِي وَنُسُكِي وَمَخَابِي وَمَعَارِي يَسُدُّ رَبُّ النَّالِيَيْنِ)) (١)
 تدل هذه الآيات على أن كثر ما بحوزة الإنسان في هذه الحياة مما يتصرف
 فيه وينتفع به ، ليرتدنا به ، (ولمنا الله سبحانه وتعالى هو مالكه
 وصاحب الأثر والسلطة في شأنه)) (٢) وترتب عن ذلك أنه ليس من حقه أن يتصرف
 في هذا السلك حسب ما تشاءه أسوأه ورغباته ، بل هو في منزلة النائب
 المفوض عن الله ، وأن حدود دائره صلاحاته محدودة بهدى الله وقرأوامره
 ونواهييه ، ومن الضلال والنجس تجاوز الإنسان لهذه الحدود وتحكم حواه في ملكه
 هو مستغل في نفسه فحسب .

ب- الشرط الأول للسعادة في الدنيا : أن الله تعالى : ((وَالَّذِينَ آمَنُوا
 بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)) (٣)
 ((وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ)) (٤)

((وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)) (٥)
 تدل هذه الآيات على أن سادات الإنسان ونجاحه في الدنيا والآخرة
 تقتلن بالإيمان بالله واتباع نهجه التي يتقرر اعتقاد الإنسان بسنات من هو
 سيد ونائب عنه وخليفته ، وكل تصرف من الإنسان في أمور الحياة من غير إيمان
 بالله والتزام بشرعه ، بلية للخسران واليأس في الدنيا والآخرة . (٦)

ج- حدود الاستمتاع بالدنيا : أن الله تعالى : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي
 الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُلُوٰاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ
 بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)) (٧)
 ((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ)) (٨)

(١) - سورة الأنعام : آية ، ١٦٤ .

(٢) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ٢٦ .

(٣) - سورة العنكبوت : آية ، ٥٢ .

(٤) - سورة البقرة : آية ، ٢١٥ .

(٥) - سورة المائدة : آية ، ٦ .

(٦) - المودودي : المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(٧) - سورة البقرة : البقرة ، ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٨) - سورة الأعراف : آية ، ٣٠ .

((وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوا مَا كَتَبْنَا مَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِئَاسَاتٍ لِّذٰلِكَ)) (١).
 ((وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللّٰهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَنْسَ تَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا)) (٢).
 ((وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيْرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لِيَهْبِطُوا فَلَآ يُنْقِذُوْنَ فِيْهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُوْنَ فِيْهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَّا يَسْمَعُوْنَ فِيْهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَٰلِقُونَ)) (٣).

الذي تضمن به هذه الآيات في بطلانها، أن الله تعالى جعل ما في هذه الآيات
 نبيات كثيرة وليبات من الرزق ، يالبا الإنسان الحلال منها، ولا يتعداها إلى
 احرام . وأن ليس في مكنته تعريم ما أخذ الله على نفسه ، من زينة الحياة
 الدنيا ونعيمها . وأن حدود الانتعاش والاشتغال بها موكل أمرها لشرع الله
 فيما حده من حدود . ((والله تعالى تد أعلاه عينين ليبصر بهما وأعضاه أنين
 ليس بهما وأعضاه تنبأ ليتفكر به ، نهر إذا أمدت هذه الحواس والأعضاء وأبر
 أن ينتفع بها ، أو إنما انتفع بها على وجه ناسه ، فلا يبتى ثمة فرق بينه
 وبين أي حيران آخر)) (٤).

د - عاقبة الحياة الدنيا ومسؤولية الإنسان : قال تعالى : ((وَأَضْرِبْ لَهُمْ
 مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَآخَضْنَا بِهِ غِثَّ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ
 هَيْبًا تَسْدُرُهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا . الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا)) (٥).

لما كانت الدنيا متاعا للإنسان وتكاثر في البتوال والبنين ، فإن مديرا
 إلى زوال ، ونهايتها الموت المحتوم ، وإنما الشيء الوحيد الذي له البتاء
 والمخلود في هذا العالم الثاني ، هو الدائم ، صلاح القلب وصلاح الروح، وصلاح
 الأعمال . (٦) والإنسان في هذه الحياة خلق لغاية محددة هي العبادة فهو في
 الدنيا في اختبار مستمر وعناء دائم لأنها دار سعي وعمل وجهد ، وأن الآخرة
 هي دار القرار والجزاء على ما قدمت يداه .

- (١) - سورة الحديد : آية ٤٦ ، ٤٦ .
- (٢) - سورة القصص : آية ٧٧ ، ٧٧ .
- (٣) - سورة الأعراف : آية ١٧٩ ، ١٧٩ .
- (٤) - المودودي : المصدر السابق ، ص : ٢٦ .
- (٥) - سورة الكهف : الآيتان ، ٤٤ ، ٤٥ .
- (٦) - المودودي : المصدر السابق ، ص : ٣١ .

- قال تعالى : ((أَنْخِيبُكُمْ أَنْتُمْ خَلَقْنَاكُمْ غَيْبًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ)) (١)
- ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُنْعِمُوا عَلَيَّ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)) (٢)
- ((وَأَنْ يَلْمِزَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى . وَأَنْ نَسْفِهُهُ سَوْفَ يَرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى وَأَنْ يَأْتِيَ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى)) (٣)
- ((يَوْمَ تَحِذُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ)) (٤)
- ((فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَتَمَلَّ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)) (٥)
- ((فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى)) (٦)
- ((هَلْ تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)) (٧)

فالإنسان طائن على يمين جازم من أنه يجزي بما يحمل يوم الحساب عن كسبه في حياته الأولى إن خيرا فخير وإن شرا فشر . ولن يلحقه شيء في حياته الآخرة إلا لنتيجة ما قام به من أعمال وبذل من جهود في حياته الدنيا . ولن يتحمل عنه أحد تبعة أعماله الحسنة أو السيئة أو يحمل عنه خطايا وذنوبه .

- قال تعالى : ((وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)) (٨)
- ((لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُفْضَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)) (٩)

هذه الجوانب المختلفة التي مر ذكرنا والتدليل عليها من آي الذكر الحكيم هي عناصر التصور الإسلامي للحياة الدنيا . وفيها تتضح لمبيدنة العلاقة ما بين الإنسان والحياة الدنيا بصورة جلية ومحددة بدقة .

- (١) - سورة المؤمنون : آية ١١٦ ،
- (٢) - سورة الذاريات : الآيات ، من ٥٦ الى ٥٨ .
- (٣) - سورة النجم : الآيات ، من ٢٨ الى ٤١ .
- (٤) - سورة آل عمران : آية ، ٣٠ .
- (٥) - سورة الزلزلة : الآيات : ٧ ، ٨ .
- (٦) - سورة آل عمران : آية ، ١٩٥ .
- (٧) - سورة النمل : آية ، ٩٣ .
- (٨) - سورة الأنعام : آية ، ١١٦ .
- (٩) - سورة الممتحنة : آية ، ٢ .

فالمعيار الذي ندين به التصور الإسلامي لا يقتصر أن يولع بها الإنسان ويخس نفسه بالانتماء إليها بلذاتها ونعيمها ، كما لا ينبغي أن يزيد ريباً ، بل وهي غير محض ولا هي شر محض ، فليست نجاسة كلها ، وليست لهارة كلها . و الإنسان حسب فطرته ليس من النبلية والتبر والكبرياء ، أن يخش له كل شيء ، في هذه الدنيا خضوعاً مطلقاً ، ولا هو من الذلة والانهانة والضمعة فيعنى لكل شيء بلا إرادة أو وعي . ((نعم الحقيقة إلا حالة متوسطة بين هذه الأطراف المتناقضة والنهيات المتضاربة)) . (١)

وينتهي الإسلام إلى تحديد مكانة الإنسان الحقيقية في الدنيا ، وما بينه وبينها من علاقة ، ثم يترجم المنهج السعوي : «أهممة الخلافة عن الله في الحياة الدنيا ونس غلبة التوحيد . نيتول للإنسان : ((إنك لست كأحد من المخلوقات بل أنت الخليفة السؤور للرب العالمين على وجه الكرة الأرضية ، قد سخرت لك الدنيا بكرمانيها من الوسائر والتوى ، فأنت الحاكم لجميع والمنفذ لذات الله الواحد التبار ، وأن لك فضلاً على سائر المخلوقات ولكنك لا تستحق الكرامة والحرف الحقيقي إلا بأن تكون على الناعة للذي قد نملك على العالمين)) . (٢)

هـ - غاية الحياة الإنسانية في الإسلام : بعد بيان حقيقة تصور الحياة في الإسلام ، والتلوق إلى الرؤى المختلفة للإديان المخرفة والمذاهب الفكرية الإنسانية لنفس القومية ، يبتى من التوكد أن ينبغي عن كل تصور غاية سينية ، والإسلام لم يهمل هذا الجانب بل نراه يثير اهتمام الإنسان إليه كلما دعت الضرورة إلى ذلك ، ومن البديهي : ((أن أنساناً إذا كان فيما تصور خاص للحياة الدنيا ونسزلتنا في الدنيا ، ولمنزلة الدنيا في نظرنا ، فإن هذا التصور لا بد أن يكون لنا غاية خاصة في الحياة ، ويجعلنا نبذل كل جهودنا ومواهبنا وقوانا في سبيل تحقيقها)) . (٣)

فإذا كانت الحياة الدنيا مثلاً في تصور بعض الناس هي مجرد مائدة للمتع واللذات ، وهي فرصة تقاى مرة واحدة للإنسان في عمره وينتهي كل

(١) - المودودي : المصدر السابق ، ص : ٤٤ .

(٢) - المصدر السابق ، ص : ٤٥ .

(٣) - نفس المصدر ، ص : ٦٠ .

تصوره بعد مدته إلى الرزق وإنما . . . فإن هذا التصور من شأنه أن يوجي الألباب
بناية سيرائرية بعدة تفسيراتهم الخرافية الدنيا ولا يستحقون إلى غير ما لا
نماتاً ، وتستخدم الحدود لديهم بين الحرام والمباح وتندوا كدلالة أو ممتدة
غاية في نفسها يجب تحذيرها بمنزلة النار عن الكيفية أو الوسيلة سواء كانت
مريفة أو حائرة لا يبر . وأنا اعتبر نريت آخر أن الحياة الدنيا دار عذاب
للإنسان المذنب بالدرة ، ولم يخلن فيها إلا ليدون وبال أمره . فان تصورا
مثل هذا يوجي لأتباعه بذكرة الخلال أو الذبابة بالتخلل من الحياة ذاتها
بالموت أو بالرهينة والذلة والغزوة عن كد شير .

وإذا ما اعتد الإنسان أن الحياة الدنيا ونها أسى من مجرد العبد من
اللذات واتباع الشهوات ، وسبباً لا حيرياً لتفتنا نرى في التغييرات وإعمار الأرض
إلزاماً العدل بين الناس ، وتعمية الحياة في جوانبها المختلفة ، وأن
الإنسان كريم منزل على سائر المخلوقات ، ولم يخلق عبثاً بل هو سيد الكون ،
وعبد للواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد .
وجعله نائباً عنه في مملكته هذه ، ونحوه جميع أسوره ، وأنه لا محالة
مناسبه على كل كبيرة أو صغيرة يوم القيامة ، وسيفنتهي تديره لما إلى الرجعة
عربها السماوات والأرض أو على عذاب دقيم في نار جهنم . إن تصورا للحياة
الدنيا بمثل هذا السوء والرفعة والحسم والرفق ، ليحصل العقل الإنساني
على التسليم بغاية تنسجم كل الانسجام من الحقائق الداربية التي جاء بها
التصور الإسلامي للحياة ، ولن تكون تلك الناية سوى طلب مرضاة الله تعالى
تلك الناية التي يتقنها العقل وترويدا الذرة التي نزل الإنسان عليها
وهي عين الناية التي دعاه إليها الإسلام ليتخذنا منها أسى ، وأبطل كل
غاية سواها في حياته ، قال تعالى :

((قُلْ إِنِّي صَلَّيْتُ وَأُحْيَيْتُ وَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ
أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)) . (١)
((وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ)) (٢)

(١) - سورة الأنعام : آيتان ، ١٦٤ ، ١٦٥ .

(٢) - سورة البقرة : آية ، ٢٠٥ .

فالسيد العظيم من تاليف يبين نفسه بها لمرئاة تاليفه ، وهذا هو
الفرق بينه وبين السيد العام الذي يملك صفات الدنيا والذات بها ببادته
تاليفه ، فيخسر الدنيا والآخرة معا .

((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّبِعُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَتَاهُ خَيْرٌ أَلْطَمَّ بِهِ وَلِنْ أَتَاهُ بَشْرٌ
يَتَنَبَّهْ أَنْفَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)) . (١)

أما الكفار فلما يسمعون في حياتهم شيئا لوجه الله ، وإنما يبتغون
بكن عند مرئاة غيره ، ويكفوا لا يكسبون به شئ فزيد لتضييع أعمالهم هباء
منثورا .

((ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَا اللَّهُ وَكَبَرُوا بِهِ وَأَنَّهُ فَأَحْبَبْنَا أَعْمَالَهُمْ)) . (٢)

وكذا أعمال الإنسان التي يتصيد بها ثناء الناس وحسن تاليفهم أبطها

الله تاليف وردها على أصحابها .

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْلُغُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ
النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ
وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)) . (٣)

و قد لب القرآن الكريم من المؤمنين أن لا يتقدم على أي عمل في حياته
إلا ابتغاء وجه الله ورتائه سبحانه وتعالى ، لأن ذلك العمل وحده هو الذي
ينفعه لا غير .

((وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا لِأَبْتِنَاءٍ وَجْهِ اللَّهِ)) . (٤)

((وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِنَاءً وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ ، أُولَئِكَ عُقْبَى الدَّارِ)) . (٥)

وخلاصة القول أن تصور الوحي تتدارك كلها لتتحدد غاية واحدة لحياة
الإنسان في هذا الوجود وهي "بمرضاة الله سبحانه ، وابتغاء وجهه من وراء
كده مجهوداته ومساغيه" . (٦)

(١) - سورة الحج : آية ، ١١ .

(٢) - سورة محمد : آية ، ٢٩ .

(٣) - سورة البقرة : آية ، ٢٦٣ .

(٤) - سورة البقرة : آية ، ٢٧١ .

(٥) - سورة الرعد : آية ، ٢٤ .

(٦) - السودودي : المصدر السابق ، ص ٦٠ .

جامعة الأمير

الباب الثالث

الإيمان وأركانها في صياغة المودودي

عبد القادر العظم الإسلامي

الفصل الأول

حقيقة الإيمان وأهميته

أولاً : حقيقة الإيمان :

١ - الإيمان لغة : هو التمذير . قال تعالى : ((وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين)) . (١) أي لست بمدن لنا . (٢)

٢ - الإيمان شرعا : كما جاء في حديث بيريذ أن الإيمان هو التصديت القلبي ، بالله تعالى ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر غيره وشبهه .

((عن عبد الله بن عمر قال : حدثني أبي عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلام أن تعبد الله لا اله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ، قال : صدقت . قال : فبينما له يسأله ويسدقه قال : فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر غيره وشبهه . قال صدقت . قال : فأخبرني عن الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال : فأخبرني عن الساعة ؟ ما المسموعون عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرني عن أمارتها ؟ قال : أن تلد الأمة رببتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان . قال : ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي : يا عمر أتدري من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه بيريذ أتاكم يعلمكم دينكم)) . (٣)

(١) - سورة يوسف : الآية ١٧ .
 (٢) - محمد علي الباقر : مشورتنا بيريذ ، ج ٧ ، ص ٤٤ .
 (٣) - صحيح مسلم بفتح القاف : كتاب الإيمان ، ج ١ ، ص ١٧٧ .

وقال تعالى : ((آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْهِ وَكُتِبَ عَلَيْهِ وَرُسُلِهِ)) . (١)

بهذا الأسلوب المباشر لتقديم حقيقة الإيمان في الإسلام على أنها تصديق بأركان محددة ، ذكرت في الكتاب والسنة ، ويتبين من ثمة غرسها فيلوب الناس بمنطق سهل وبسيط ، حتى تثمر عدلاً صالحاً ، فكان القرآن يرضى تباين الإيمان فلوغنا أنظار الناس إلى آفاق الكون الرحب وما يسوده من نظام وانسجام ، وتكامل منظم بين المكونات جميعها ، وتساند في الوثائق المنديطة بكل كائن حتى تكتمل صورة الحياة على نحو أمثل ، وتغني في نهاية الأمر إلى تدعيم الإحساس الفطري بالإيمان بالذنب ، انطلاقاً من عالم الحقائق المشهودة .

قال - تالر : ((سَفَرِيْكُمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)) . (٢)

وإذا كان الأولون من المؤمنين يرون أن مجرد خلقهم يشهد بحكمة الخالق عز وجل فإن العلوم الحديثة بما علمت من دقائق الحكمة الباهرة التي خلق عليها هذا الكون ، فتعزز إيماننا أكثر بالصانع الحكيم بما تظهره من منامة النجوم وسنة السماء ، وبديع الإنعام والإتقان فيها . (٣)

قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا لِيُحْيِيَ النَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَبِمَا أَنْزَلْنَا اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَعْرِينَا الرِّبَاغِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ قَبْلَ أَنْ نَخْبِيَهُ بِعَدَلٍ وَأَيَّاتِهِ يُؤْمِنُونَ)) . (٤)

غير أن التطورات السياسية والذكورية التي عرفتها الأمة الإسلامية بعد الخلافة الراشدة ، وبخول أمر كثيرة في الدين الإسلامي ، ومعها سيراتها الثناني والحضاري القديم . كل ذلك انكسر سلباً على منهج عرض

(١) - سورة البقرة : آية ، ٢٨٤ .

(٢) - سورة فصلت : آية ، ٥٧ .

(٣) - عبد الحميد عزيز الزنداني : توحيد المثالي ، ص ٢ ، ص ١١ .

(٤) - سورة البقرة : آيات ، من ١٠٠ إلى ١٠٤ .

الإيمان وثباته . ((ذات سبباً في تحول الإيمان من بساطته ، ولإيمانيته ،
وسنوه إلى ثانياً تلبية ، وأولية تلبية ، ومناشآت كالمية تلبية .
لم يعد الإيمان هو الإيمان الذي تزكو به النفس أو يطلع به النمل ، أو
ينتهي به الرد ، أو تعيا به الأمة . وكان من أثر التدول عن نهج الفطرة
والتأثر بالمذاهب الفرية الارثة ، ولتنام البتل في مجال الوحي ، أن
انقسمت الأمة إلى مذاهب مختلفة مزقتها عينا)) (١)

ومن الموقرات المبكرة في التاريخ الإسلامي التي أفرزت مسألة
الانقسام في حق الإيمان ، الأوزاع السياسية التي أثمرت أحداث الفتنة الكبرى
التي بدأت بالاعتراض على سياسة الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله
عنه ، في أواخر أيام حكمه ، والتي انتهت باغتياله ، ونا تالفاً من حروب
أهلية بين المسلمين في عهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب كرم الله
وجبه .

منذ ذلك الحين نزل بساحة المساعين سيل من الأسئلة ضغط على العقول
والقلوب من جراء ما حدث من اقتتال بين المؤمنين من الجيل الأول . نعم بين
الأسئلة التي طرحها :

- من الذي كان على حق في هذه الممارك؟ ومن الذي كان على باطل؟ وماهي
أدلة الفريتين؟ والذي انتار من المطابة المساعين لهذه الأحداث موتف
النسب أو الحيا ، لإزاء التريتين المتقاتلين ، هنا عجتة في اختياره هذا؟ (٢)
كانت الإجابة على هذه الأسئلة في الأوسا السنوية بشابة الرضية الأولى
للهور الشر والتمزب بين المسلمين على أساس اقتتال وبيبات النثر والأدلة
المتعددة في تحديد حياية الإيمان وطبيقتة ، وتيم عن ذلك انقسام عقول
قضية الإيمان في غمرة تلك الأحداث إلى آراء عديدة كانت في :

١ - الإيمان قول وعمل : وهو رأي الخوارج ، وهم جماعة خرجوا على الإمام علي
في معركة صفين احتجاجاً على قبوله تصفية النزاع بينه وبين معاوية بسن
أبي سفيان على أساس التحكيم .

((وكانوا إلى ذلك الوقت - أثناء حادثة التحكيم - من أنصار سيدنا علي
ثم انقلبوا فجأة عند التحكيم وقالوا للفريقين قد كفرتم بتحكيمكم البشر
بدل تحكيم الله فيما بينكم)) (٣)

(١) - عبد الحميد الزندانى : المرجع السابق ، ص : ٩ - ١٠ .
(٢) - أبو الاعلى المودودي : الخلافة والملك ، ص : ١٣٩ .
(٣) - المصدر السابق : ص : ١٤٢ ، ١٤٣ .

تم طلع الخوارج على الناس بمشروعهم السيئ (لا حكم إلا لله) وبأروا
بإمرة البراءة من حيننا عثمان وطاعة والزبير ، والوايتكبير علي وعثمان
والحكيم ومن والائهم لأئهم حكما ما أنزل الله .
وتالوا أينا بوجوب الخروج على المملطان الجائر بغض النظر عن ثوبتهم
وقوته ، وأغلبية القجانات هذه الفرقة يكفرون أهل الذنوب مع عدم التفريق
بينها - أي الذنوب - بل اعتبروا الخطأ في الرأي ذنبا إذا أدى إلى مخالفة
وجهه الصواب . (١)

وتد نسر ابن تيمية شوشم منا بموء نهمهم لقرآن الكريم اذيتول :
(لكن نهموا منه - أي القرآن - ما لم يدع عليه ، فأنوا أنه يوجب تكفير
أرباب الذنوب إذ كان الموء من مو الجبر التقي . تالوا : فمن لم يكن برا
تتيا فهو آانس وهو مخذول النار ، ضم قالوا : عثمان وعلي ومن والائما
يسوا بموء منين لأئهم حكما ما أنزل الله ، فكانت بدعتهم لها متدستان :
الواحدة ، أن من خالف القرآن بعمل أو برأي خطأ نيمه فهو كافر ، والثانية
أن عثمان وعلي ومن والائما كانوا كذبا . (٢)

والذنب عند الخوارج يعني الكفر . وكل مرتكب كبيرة كافر ما لم يتوب
عنها . (٣)

٢ - الإيمان تصديق : وهو رأي المرجئة ، وتأتي آراء هذه الفرقة كرد
نقل على آراء المتألفين للإمام علي خلافا بخريا ، وعلي ما ذهبوا إليه من
تفسير عتدي للحوادث المذكورة إلى درجة تكثيره ، مع أنهم لم يكونوا من
موءيديه ، بل شتوا طريقا ثالثا رقفوا فيه على الحيان ، متدبرين أن سنك
الدماء بين المسلمين مر مستأير ، دون أن يحددوا أي الخريتين على خطه .
وحكموا بأن أمرهم بيمينا لله ينعمل فيه يوم التيامة بالعت . (٤)
أفرزت مواقف هذه الفرقة وآراؤها تصورا للإيمان يمكن حصره في الآتي كما
ذهب إلى ذلك الإمام النووي :

أ - الإيمان هو الاعتراف بالله ورسوله فحسب ، والعمل ليس ضروريا وإن ترك
المراء الفرائض ارتكب الكبائر يبقى موءنا .

ب - وأساس النجاة الإيمان نحسب ، ويكفي أن يتجنب الإنسان الشرك ويموت
على عقيدة التوحيد ، فلا تنزه مع إيمانه نصية ، كما لا تنفصه مع الكفر

- (١) - محمد الأثر البشير : أهم الفرقة الإسلامية ، ص : ٥٧ .
- (٢) - ابن تيمية : الترتان بين الحق والباطل ، ص : ٧٧ .
- (٣) - السمرقند : الفرقة والعلامة ، مصدر سابق ، ص : ١٥٢ .
- (٤) - السمرقند : الفرقة ، ص : ١٥٢ .

مع الكفر طاعة (١)

وإذا نتج عن تصور الإنسان عار هذا التصرف في تاريخ المسلمين أن تصبغ أصناب الأثواء ، وعبدة النرائز ، وبنائنا النفوس على ارتكاب المناهي ، والتخلل بين الدين وممارسة الجور والظلم ، وانتهاج الحرامات لله ، وتصدي حدوده ، ثم الاعتماد بند ذلك على عنوه وشارائنه .

٣- الإيمان تصديق وقول : ودور رأي الشيعة ، وتمحورت نظريات هذه الشريعة أساسا حول موضوع الإمامة وشعائرها ، وأهم ما يميز ذكرها السليبي الذي تبلور في بيعة عقيدة أو منصب يقوم على أن :

أ - الإمامة ركن من أركان الدين ، وواجب النبي تعيين الإمام بحكم صريح بدلا من جعل انتخابه في يد الأمة .

ب- وينبغي أن يكون الإمام منصوبا .

ج- إن عليا كرم الله وجهه هو الإمام الذي عينه بعنه النبي صلى الله عليه وسلم بنص صريح .

د - كل إمام لابد وأن يعين بنص من سابته .

هـ - كانت نوايا الشيعة تتفق فيما بينها على أن الإمامة حق لأولاد علي وحدهم . (٢)

ولما كانت هذه الفترة من عهد الأئمة السياسية المبكرة أيام انتخاب الخليفة الراشدي الأول أبي بكر الصديق إلى نهاية الفتنة الكبرى ، فقد بنت مواضعها من الأحداث انطوائيا من التنازعات السابقة ذكرها حول نظرية الإمامة وانتسم الشيعة إلى غلاة ومنسدلين : (٣)

فأما الغلاة فيرون أن من استخلف بعد علي كرم الله وجهه ، فقد اغتصب الخلافة اغتصابا ، ومن بايعهم على ذلك فهو ذالم ضال ، لشكرانهم وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بالإمامة السياسية لعلي . وذهب النسوي بعضهم أن كانوا الخلفاء الثلاثة ، أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم . وأما المعتدلون منهم وعلى رأسهم فرقة الزيدية أتباع زيد بن علي بن الحسين (المتوفى ١٢٢ هـ) فيقولون أن عليا كرم الله وجهه كان أفضل الأمة غير أن إمارة غير الأفضل - مع وجود الأفضل - جائزة . ولذلك اعترفوا بخلافة

(١) - المصدر السابق ، ص : ١٤٥ .

(٢) - نفس المصدر ، ص : ١٥١ .

(٣) - نفس المصدر ، ص : ١٤٢ .

الميثاقين أبي بكر وعمر ، ويرون أن الإمامة تكبر في أولاد آل البيت - السراة -
 في مكة - من غير اشتراط أن يكون الإمام منهم طالما زانما بجوانبها عا
 ومن ناحية أخرى إمامته .^(١) وقد عالت الإمامية أنهم فرق اليمعة الخوارزج
 الذين كثروا مرتكب الكبيرة ، فحكما بإيمانهم . وثانيه فالإيمان عندهم -
 تسدين بالبنان - أي التلب - وتور باللسان .^(٢)

٤ - المنزلة بين المنزلتين : وفي نثر الأئمة السياسية والذكرية
 تظهر نرة المنزلة ، وهي تتداول الرأي مع الساحة حول حقيقة الإيمان ،
 وسواء أرف السراج منه . ويروي الشهرستاني عن المنزلة حادثة بتوله :
 ((دخل واحد على الحسن البصري فقال له : يا إمام الدين ، لقد طهرت
 نبي زماننا جماعة يكترون أصحاب الكبار ، والكبيرة عنهم كثر يخرن به عن
 الملة وهم وعيدية الخوارزج . وجماعة يرجئون أصحاب الكبار ، والكبيرة
 عندهم لا تنر من الإيمان . وهم مرجئة الأمة ، فكيف تحكم لنا في ذلك
 اعتقادا ؟

نتفكر الحسن في ذلك ، وتبين أن يبيح تال واحد بن علاء : أنا أقول
 أن صاحب الكبيرة مؤمن ملتأ ، ولا كافر ملتأ ، بل هو في منزلة بين
 المنزلتين ، لا مؤمن ولا كافر . ثم تام وأعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات
 المسجد ، يقرر ما أبا به على جماعة من أصحاب الحسن ، فقال الحسن : اعتزل
 عنا واصل ، نسبي هو وأصحابه بمنزلة))^(٣)

ويرى ابن تيمية أن المنزلة وانتوا الخوارزج في حكمهم على مرتكب
 الكبيرة في الآخرة - أي أنه صخا في النار - دون الدنيا ، وذلك أنهم
 لم يسموا مرتكب الذنب كافرا ، بل هو في منزلة بين المنزلتين ، لا مؤمنا
 ولا كافرا بل هو ناسر .

((فالمنزلة واغتوا الخوارزج على حكمهم في الآخرة دون الدنيا ، فلم
 يستحلوا من دمائهم وأموالهم ما استحلته الخوارزج ، وفي السماء أحسدوا .
 المنزلة بين المنزلتين))^(٤)

(١) - ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ص : ٢١٨ .

(٢) - محمد جعفر شعر الدين : دراسات في العقيدة الإسلامية ، ص : ٥٧ ، ٥٨ .

(٤) - ابن تيمية : الترتان بين الحق والباطل ، ص : ٢٨ .

(٣) - الشهرستاني : الملل والنحل ، ج ١ ، ص : ٤٧ ، ٤٨ .

ونيفسي حكم النوارج والمنازلة صراحة وقد كانت الكبيرة في النار تكون أن
 حقيقة الإيمان في تصورهم تنور وخصلا لا يمكن التمسك بينهما ، ولا يتبعص الإيمان
 لهم ، فمن التمسك من الأمر منين شبا زال بعض إيمانه فيزول كله فينفسد
 في النار .

في عين ترى المرجحة عن ذلك تماما ، لأن السفل لدرهؤلاء منفصل عن
 الإيمان وغير شروري ، ومرتكب الكبيرة لا يناد في النار ، وأنه ليركانرا
 مرتدا بل هو من المسلمين . (١)

٥- رأي الامام أبي حنيفة في الإيمان : لقد عاش الامام أبو حنيفة (١٥٠هـ - ٢٤٠هـ)
 في العراق مولد المذاهب والنق ، ومدت في الملل والنحل ، والتلبات
 السياسية . وقضى ما يقرب من نصف قرن من عمره في ظل الدولة الأموية ، والباقي
 تحت سلان الخلافة العباسية .

وقد تمكن خلال هذه الحدة من حياته من الاتراخ على الآراء العقديية
 والذكرية المتصارعة في عصره ، وكان تناعله من الواقع الثنائي واللمسي
 في أيامه من أهم المجالات التي نازل فيها الانحرانات الذكرية ، والعقدية ،
 التي ألت برأسها بعد الفتنة الكبرى في نهاية عصر الخاتفة الراشدة . مما
 جعل مفهوم الإيمان يتلرب في عقول الناس ، وتبهر حقيقته في نوسهم بنفسل
 الآراء المتصارعة بين آراء الشوارج والمعتزلة الذين غالوا في النظر إلى
 الذنوب ، وبين آراء أهل الأرباء الذين فتحوا الباب على سراعيه للفسق
 والفجور عتب لإعلانهم الشهير : (لا تفر مع الإيمان مصيبة ، ولا تنفخ مع الكفر
 اعة) .

لقد خرج الإمام أبو حنيفة من معركة الجدل حول حقيقة الإيمان منتصرا
 على الآراء والغرق ، التي أثار تبدلا حادا نزل سورة الإيمان الحق كما نزل
 بها الوحي . فأعاد مفهوم الإيمان إلى أصوله الشرعية من الوحي كتابا وسنة ،
 وخرج على الناس بكتابه القيم (الفتحة الأكبر) ، الذي يعد أول مؤلف تدون
 فيه عتبة أهل السنة والجماعة في تاريخ الفكر الإسلامي . (٢)

أ - تعريفه للإيمان : عرف الإمام أبو حنيفة الإيمان بقوله : ((الإيمان
 هو التصديق ، والعبرة ، واليتين ، والإقرار ، والإسلام)) . (٣)

(١) - المبرج السامة : ٧٧ .
 (٢) - المبرج : الفتحة ، أو الفتحة ، صدر سابق : ١٤٠ .
 (٣) - أبو اليزيد العجبي : الفتحة ، وجموع الفتوية الإسلامية ، ص : ٩٩ .

وتتخص بفرادى هذا الترتيب لتبين دلالتها على : الإيمان بما يتتبعه من يقين ويستلزم من عمدة ثمرته لهذا الإيمان .

وقال في رسالة الوصية أيضا : ((الإيمان هو إقرار باللسان وتصديق بالعين - أي القلب -)) وقال : ((وإقرار وحده لا يكون إيمانا لأنه لو كان إيمانا لكان المنافقون كلهم مؤمنين وكذلك المشركون وعندما أي التصديق لا تكون إيمانا لأنها لو كانت إيمانا لكان آمن الكتاب كلهم مؤمنين)) (١)

ب- الإيمان والعمل : يرى الإمام أبو حنيفة أن العمل لازم للتصديق . وناتج عنه ، غير أن العمل شيء آخر غير الإيمان بمعنى التصديق واليقين . ويتضح هذا من خلال تعريفه للإسلام في متن كتابه السنن الأكبر ، بقوله : ((الإسلام هو التسليم والانتقاد لأوامر الله تعالى ، فمن أريد اللذة فليت بين الإيمان ، والإسلام ، ولكن لا يكون إيمان بلا إسلام ، ولا يوجد إسلام بلا إيمان ، وهما كالظهر من البان ، والدين اسم واقع على الإيمان والإسلام والشرائع كلها)) (١)

ويستدل أبو حنيفة على الفصل بين الإيمان والعمل في رسالته العالم والمتعلم ، بالقرآن الكريم ، يقول : ((وقد فصل الله تعالى الإيمان مبين العمل ، فقال تعالى : " وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ " (٢) وقال : " بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ " (٤) وقال : " وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ " (٥) غير العمل)) (٦) واضح إذن أن العمل السالم عند علي الإيمان ، والصلوات يقتضي المنايرة كنا هو متروك في اللغة .

ذلك أن المؤمن بنات من إيمانهم بالله يؤدون فرائض الصلاة والزكاة والصيام والحج ، وليس من جراء قيامهم بهذه الفرائض يؤمنون بالله . أي أنهم آمنوا ثم عملوا . فكان قيامهم بالفرائض ثمرته للإيمان بالله . ولم يكن إيمانهم به ثمرة للعمل بتلك الفرائض (٧)

- (١) - المودودي : المصدر السابق ، ص : ١٥٧ .
- (٢) - أبو اليزيد النجفي : المرجع السابق ، ص ١٠٠ .
- (٣) - سورة فاطر : آية ٧ .
- (٤) - سورة البقرة : آية ١١١ .
- (٥) - سورة الإسراء : آية ١٠ .
- (٦) - أبو اليزيد النجفي : المرجع السابق ، ص : ١٠١ .
- (٧) - المرجع السابق ، ص : ١٠١ .

وقد ترتب لديه تربية هذا الجيل من الإيمان بالله عدم تكفير
 من أذنب من المسلمين أو انكفرت الكفاية ما لم يستعملها ، وإنما يجوز أن تصحبه
 من الإيمان صلات قبيحة ، يقول في كتابه الله الأكبر ((ولا تكفر مسلماً
 بظن من الذنوب ولو كانت كبيرة إذا لم يستعملها)) ولا نزيل عنه اسم
 الإيمان ونسيه مؤمناً حقيقاً ويجوز أن يكون مؤمناً فاسقاً غير كافر ((١)).
 ويستناد هذا من كتاب الله تعالى في قوله : ((وَلَوْ كَانَ فِئْتَانٍ يَمُنَّ
 الْمُؤْمِنِينَ آتَيْنَاهُمَا نَصْرًا مِمَّا بَيْنَهُمَا)) (٢).

أثبت أصل الإيمان للمتقين من أن الائتلاف مخالفة صريحة ، وغاية
 في سر الأخوة الإيمانية .

وتار أيضاً : ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ لِيَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ يَمُنُّ
 بِمَا آتَاهُمْ)) (٣) قال القرطبي : قال السلفاء في تفسير هذه الآية ، أنها : ((رد
 على الخوارج ، حيث زعموا أن مرتكب الكبيرة كافر)) (٤).

ويخرج أبو حنيفة من وسط هذه الأبحاث التي فرقتها المسلمين بعد الثلاثة
 الراضدة ، بموقف وسط في مسألة الإيمان التي أثير حولها غبار كثير ، فرد
 الأمر إلى الله والرسول ، في مواجهة الفرق الدينية التي غالبت في تصور
 الإيمان وحقيقته .

وكان من نتائج عقيدة الإمام أبي حنيفة على المجتمع المسلم في عصره ،
 أن اوقفت تفسده وتناخره في حركته السياسية والاجتماعية ، وسنعت تحليل
 الأبحاث الدينية للمسلمين ، ومتارفة المقام والذنوب . وأعاد الثقة للأمة
 بالجيل الذي رباه النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأبحاث المريرة التي
 فجرتها الفتنة الكبرى في صفوفهم . فسلمت الأمة بما أجمعوا عليه من أحكام ،
 وأثرت بصحة نهجهم في الحكم ، وأسلوب التداول على السلطة الذي عرف بنظام
 الخلافة الراضدة ، كما تبطلت كل التسميع الذي تركه ذلك الجيل بقبول حسن .

(١) - المودودي : الخلافة والملك ، مصدر سابق ، ص : ١٥٧ .

(٢) - سورة الحجرات : آية ، ٥٤ .

(٣) - سورة النساء : آية ، ١١٥ .

(٤) - الشيخ محمد كريم راجح : مختصر تفسير القرطبي ، م ١ ، ص : ٤٩٥ .

ومع أن هذه العقيدة لم تكن من الاعتراض أبي حنيفة ، وإنما يسود
الاعتراض إليه في تدوينها ، ومبانيها ، ونسبها وسواها وأدربها عند
جلبيلة للمسلمين جميعاً ، وقد تولى النوني التكريه في مجال العقيدة وعلى
بزاعم الفرق المتفردة المتفرقة .

٦ - رأي الإمام المودودي في الايمان : تناول الإمام المودودي تسمية
الإيمان من حيث حقيقتها وأهميتها ، ماثرونه بالاسلام مفهومها ، وحقيقتها
كما نزل أبو حنيفة .

أ - معنى الإسلام : فالاسلام عنده كما جاءت به مناجم اللغة هو:
(الانتقاد والامتناع لأمر الأمر ونهييه بلا اعتراض .)

وتدسمي ديننا بالإسلام لأنه طاعة لله وانقياد لأمره بلا اعتراض . (١)
والكون بما فيه ، ومن فيه ، من مخلوقات ، من أصغر ذرة رمل إلى أكبر
المجرات محكوم بقانون شامل ينتظم كل مظهر من مظاهر الحياة ، لا ينفك عنه
ومذا القانون من وضع الخالق عز وجل . وبساتناه يصير التناغم في كل حركاته
وسكناته ما يظن له غائبا لأمره وسننه في الخلق بلا اعتراض ومن ثم :
(فالشمس والقمر مسلمة ، والهواء والساء والنور والظلام والحرارة مسلمة ،
والشجر والحجر والأنعام مسلمة ، بل إن الإنسان الذي لا يترف ربه ويحسند
ويوده وينكر آياته ، أو يعبد غيره ويشرك به سواء ، هو مسلم من حيث فارقته
التي نزل عليها) . (٢)

غير أن لبينة الإنسان تقتضي النذر إليه من زاويتين :
الأولى : أنه منقاد لقانون الفطرة الذي خلقه الله عليه فلا قبل له في الخروج
عليه كسائر المخلوقات الناقلة وغير الناقلة في هذا الكون .
والثانية : أنه أوتي العقل ، وقوة الفهم ، والتأمل ، وحرية الرأي ، فهو
من هذه الزاوية حر في أن يكون مسلماً أو كافراً بمحض إرادته . فالذي يصرف
خالقه ، ويؤمن به ربا وإلهها ، ويتبع قانونه الشرعي في شؤون حياته
الاختيارية ، كما هو تابع لقانونه الطبيعي في حياته البيولوجية ، فقد
استكمل الإسلام بمعناه الكامل . وهذا عين الرشد الذي يجعل الإنسان منسجماً

(١) - أبو الأعلى المودودي : مبادئ الإسلام ، ص : ٥ .

(٢) - نفس المصدر : ص : ٦ .

في سنن احمد المتكبرية والترمذي في مواضع يرتجها على مند سوا .
 ب- حقيقة الإيمان : إذا كان الإسلام هو طاعة الله والتباعد
 لأوامره والانتهاز عن نواهيه بلا اعتراض ، فإن ذلك لا يحصل في واقع
 الإنسان إلا إذا علم عدة أمور ^(١) وبلغ علمه بها . يبلغ اليقين الذي لا ريب
 فيه ، أي التسديد .

- أن يكون موقنا من قلبه بوجود الله تعالى ، حتى يطيقه ويتبع قانونه
 - وأن يسرف صفات الله عز وجل ، وتتسكن من سرور قلبه ، حتى يسلم قلبه
 من الظنون الخاطئة ، وعندهما ينال علمه .

- أن يكون على علم بزمان أمره ، موقنا بالحياة الآخرة وما فيها من ثواب
 للمحسن وعقاب للمسيئ .

((الذي عبرنا عنه أننا بالعلم ، والبرائة ، واليقين ، هو " الإيمان " ^(٢)
 وذلك هو معنى كلمة الإيمان بينه)) .

الذي يعرف توحيد الله ، وصفاته ، وسرعه ، وجزاه ، ثم يباده على
 كسبهم للغير أو الثمر يوم النيام ، ثم يفتد في قلبه يقينا على ذلك
 كله ، هو المؤمن حقا . ((ومن نتائج الإيمان أنه أن يكون الإنسان
 مسلما ، أي مطينا لله متبعا لقانونه)) . ^(٣)

ج- صلة الإيمان بالعمل : واضح إذن أن الإيمان المودوني يتول بأسر
 العمل لليتين أو التمديق وهو ناتج عنه ، فالأمة هي العمل الذي يعشله
 الإسلام عند المؤمن الصادق . ومن ثمة نال الإنسان عنده لا يمكن أن يكون
 مسلما ما لم يكن قبل ذلك مؤمنا . ((الذي يظهر من القرآن الكريم وإنما
 بليا أن الإيمان الاعتقادي والإسلام السلمي متزامن في ما بينهما ، وقرن
 الله تعالى بينهما في غير موضع من كتابه العزيز)) . ^(٤)

ويوضح ذلك بمتان قيم : صلة الإيمان بالإسلام كصلة البذرة
 بالشجرة - فلا تنبت شجرة إلا ببذرة ، وإذا ألقيت بذرة في الأرض ولم تنبت
 شجرة ، أو نبتت ناقصة ، فهذا ربما يعود إلى أن الأرض غير صالحة للإنبات
 أو إلى مصوقات مناخية عطلت نموها بشكل جيد .

(١) - المصدر السابق ، ص : ٢٥ .

(٢) - نفس المصدر ، ص : ٢٨ .

(٣) - نفس المصدر ، ص : ٢٨ .

(٤) - المودوني : السرائر الخفية المحركة للشريعة ، ص : ٥٣ .

وبالمثل فإنه يصعب تصور إنسان مسلم ، قال قلبه من الإيمان مطلقاً ،
إلنا كان في قلبه إيمان ، ثم يكون إسلامه ناتماً ، فذلاً يرجع إماماً إلى ضعف
في تربيته وتعلمه ، أو المتأثير السلبي للمحيط الاجتماعي العام ، أو الأسري
الغار على رغبته وميزله . ويرى المودودي أن الناس بحسب الإيمان والإسلام
أربعة أصناف : (١)

- المؤمنون حقاً : وهم المؤمنون بالله ، ويعملهم ذلك الإيمان على طاعة
الله واتباع أحكامه اتباعاً كاملاً .

- المؤمنون الصفة : وهم المؤمنون بالله ، ولا يجعلهم إيمانهم منيعين له
ولا يتبعون أحكامه اتباعاً كاملاً ، فهم مسلدون وساقبون بقدر معصيتهم .

- المنافقون : لا يؤمنون بالله ، ويأتون في المظاهر بأعمال تشبه أعمال
المسلمين . غير أنها ليست بطاعة لله ، ولا اتباع لأوامره ونواهيها .

- الكافرون : لا يؤمنون بالله ، وأعمالهم تنال أعمال المسلمين ظاهراً
وباطناً ، كما تخالف أحكام الله تعالى بجللة وتنصيلاً .

وعلى هذا الأساس يتضح تصور المودودي لحيثية الإيمان وبتتبعياتها في
حياة الفرد والجماعة ، وتتحدد صلة الإيمان بالفضل أو الناعة في الواقع على
نوع التكاليف الشرعية . بحسب ما يكسبه الإنسان في حياته من أعمال وناعات ،
تزيد أو تنقص عن المطلوب .

وأما من الناحية التاريخية فإن المودودي يرى أنه وجد إلى جانب
الشرق تصور إيماني مثله السواد الأعظم من الأمة وهو ما يعرف بمذهب الجمهور
الذي كان عليه الصنابة والتابنين وعامة المسلمين ، إلا أنه ((منذ بداية
عصر الثلاث حتى عصر أبي حنيفة لم يتناور أي واحد من المسلمين توضح مذهب
جمهور المسلمين في المسائل موضح الاختلاف . وهو مذهب كان مرتباً في صورة
نظام فكري كامل ، وإنما كان مختلف النتائج والمتحدثين يوضحون بعضنا منسداً
- في مواضع مختلفة وبأسلوب متناثر متفرق - عن طريق أقوالهم وفتاواهم
ورواياتهم ومسلكتهم)) . (٢)

ومن ثمة يتبلور اتجاه المودودي في قضية الإيمان أنه يتبع نهج الإمام
أبي حنيفة في تصويره للإيمان والإسلام والعلاقة بينهما على أساس مذهب الجمهور ،
(*)

(١) - المودودي : مبادئ الإسلام ، مصدر سابق ، ص ٢٦ ، ٣٠ .

(٢) - المودودي : الناصرة والملك ، ص ١٤٠ .

(*) - إلا أنه يوجد اختلاف لفظة بين أبي حنيفة والجمهور فيما يتعلق عليه اسم الإيمان «فإن كون أفعال الجوارح

مشبا وزا في العلاقات الضرورية من نواحيه وبربانيةه وشمسيةه
ومستزقةه وأدومهم نعمه بنور تصوراته الإيمانية في المعانيكات الميراسية
والسرعات المنزبية . ويؤكد ذلك بقوله :

((٥٥ . وأرجوكم في هذا المقام أن تبردوا أذهانكم من تلك المباحثات
التي تقلبها بحشالنتها وانتمكنون في باب الإيمان والمدن وما بينهما من
العلاقة ، ولكم أن تسهروا هذه القضية وتحيدوا بها علما من كتاب الله
رأسا . والذي يظهر من القرآن الكريم وانما جليا أن الإيمان الاعتقادي و
الإسلام العملي متزمان فيما بينهما ، وقد ترن الله فيما بينهما في غير
موضع من كتابه العزيز .)) (١)

د - الوظيفة السلوكية للإيمان : إذا كان الإيمان ظاهريا عبارة عن
الإقرار بالتوحيد والرسالة وما دخل الإنسان إلى الإسلام في المقام الأول
في هذه العناية .

نمذ يكفيه هذا الإقرار الصبور ، وينبئ عن تشييد من الحياة الإنسانية
كيفنا اتفق ، بنظر النظر عن قيمة الإيمان عند صاحبه ، من حيث الشمول
والرسوخ فيه ، والإياطة بسائله الكبيرة والسيرة ، حتى تنلك عليه جميع
أثار نفسه ؟ (٢)

يرى المودودي أنه لكي تتحت الوظيفة السلوكية للإيمان في حياة
الإنسان النوء من يتبين عليه أن يتوثر في عقله وقلبه على أصول الإيمان
ونروعه ، وأن يستقل لمرع الله وناعة أوامره بتجسيد الإسلام في أعماله ،
ويتدرج في الطاعات ويصطبغ بصبغة الإسلام حتى يرتقى في مدارج التقوى
والإحسان وعندما نستطيع أن نقول أن إيمانه أثمر أعظا لا محالته ومسالك
أيبة تنفعه في الدنيا وتسمو به في الآخرة في أعلى عليين .

وأي نقص في تصورات الإيمانية ينكد على الحياة الإسلامية للفرد
أو للمجتمع بنفس القدر .
فلو أخذنا الإيمان بالله مثلا وهو رأس الدين وأساسه ، فسوف نجد أنه

(١) - المودودي : الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية ، ص : ٥٢ .

كثما بإيز الإترار بالله بمرته العادية ، وتنا هذه التفاصيل ، ظهر
بما ر بتقنة لا تيس . (١)

• فهو عند طائفة مجرد ثالث نقلا .

• وهو عند أخرى ميبودا فحسب .

ولدر آخرين يتجاوز هذا الحد بتليل أو كثير ، والبعيح يشتركون
في التصور القاصر للألوهية الحققة . ومما لا شك فيه أن هذه التصورات
المختلفة ستقضي حتما إلى مناهج ونظم للحياة متعددة بتعدد تصور حقيققة
الألوهية ، وتتكس في الآن نفسه نين الصبنة الإسلامية أوسقتها في الحياة
والأخلاق السائدة ، فنرى اليوم في واق المسلمين عند من بلغ لديهم
الإيمان بالله إلى أقصى غاياته حسب التصورات الدينية الشائنة ، ((لا يعدو
في نظرهم نطاق الحياة الإسلامية أن يجتموا بين طاعة الله تعالى وبين
الإذعان والتذلل للاراغيت ، أو أن يضموا نظام الكفر إلى نظام الإسلام
حتى يحصل منهما مركب جديد يبدون فيه كل ما تشبهه أنفسهم)) (٢)

ويتقني التصور الصحيح للإيمان بالله من داحبه أن يكون الدين الذي
جاءه من عنده تعالى منبجا كاملا لحياته ، فنجده دينا لتقله وتلبه ، ولقينية
وأذنيه ، وليديه ورجليه ، ولجسده وبطنه ، ولتلمه ولسانه ، وإيامه ولياليه ،
ولمساقيه وأعماله .

وبالجملة لا يكون جزء من نسيتته أو جانب من بده وهزله خارجا عن

قواعد ذلك الدين الذي آمن به .

ويتى ما أستبعد شيئا في طاعة ذلك الدين ومخرج عن سلطانه في قليل
أو كثير إعلم أنه قد خلط دعواه الايمانية من الكذب بالقدر الذي انحرف فيه
عن الصراط السوي في سلوكه وأعماله . (٣) ومن ثمة يجب على كل فرد من أفراد
البشر يحب الصدق والأمانة ، أن يبذل قصارى ما يستطيع من الجهد في تلمه
حياته وتزكية نفسه من كل أدران النش والخيانة ، حتى تفشا فيه بموجب ذلك

(١) - نفس المصدر ، ص : ٤٧ .

(٢) - نفس المصدر ، ص : ٤٨ .

(٣) - العمودوي : الدين السوي ، ص : ٤٧ .

سيرة حنيفية وخلق نزيه ظاهر ملوّه الصفاة والنظافة على نحو مخصوص في جميع وجوهه المختلفة. (١)

وإذا كان هذا هو شأن الفرد في صلته بالدين فما الذي يحتم أن لا يكون الدين منهاجاً للحياة الاجتماعية لجميع الأفراد المؤمنين ، ونهجاً تويماً لمسارهم الحضاري؟ (٢)

قال تعالى : ((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)) (٣)
أي أن هذا الدين الحق الذي أمرت بالاستقامة عليه هو خلقه الله التي خلق الناس عليها وهو فطرة التوحيد. (٤)

هـ - الوظيفة الاجتماعية للإيمان : تعكس الحياة الاجتماعية للمجتمعات والشعوب سمات مشتركة ، بالقدر الذي تقوم عليه حياة أفرادها من وحدة في العقائد ، وانسجام في الأفكار والغايات والأعمال . وأما المجتمعات التي يختلف أفرادها عقدياً وفكرياً ، فلا مناص من تعدد مشاربهم وتنوع غاياتهم وتضارب أعمالهم ، فهم إلى الفرقة والتشتت أقرب منهم إلى التآلف والتجانس والتعاون مهما كانت الروابط العرقية أو الجغرافية التي تجمعهم وتقرب بينهم في الزمان والمكان. (٥) في حين تجعل الأصرة العقدية والفكرية الواحدة منهم أمة واحدة ، وإن تباعدت أجناسهم في الزمان والمكان ، يرتنعكس آثارها الإيجابية على تماسكهم النفسي ، وانضباطهم الاجتماعي ، من جماعة منظمة قوية إلى مجتمع كالبنيان المرصوص ، متعاون ومتكافل ، ومتراحم يشد بعضه بعضاً في السراء والضراء .

ويفضي ذلك الأمر بالمجتمع إلى تغيير جذري في أوضاعه المعنوية والمادية إلى الحد الذي تنهض معه ((أمة جديدة بسيرة جديدة وعقلية جديدة وأفكار جديدة ومنهاج للعمل جديد ، وتشيد صرح الحضارة على أسلوب

(١) - المودودي : الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ٥٧

(٢) - المودودي : الدين القيم ، ص : ٤٣ .

(٣) - سورة الروم ، آية ، ٣٠

(٤) - محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، م ٢ ، ص : ٤٧٨ .

(٥) - أبو الأعلى المودودي : نظام الحياة في الإسلام ، ص : ٣٧ .

مبتكر جديد)).^(١) قال تعالى : ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ))^(٢)

وإلى نفس الحقيقة يذهب العلامة الطاهر بن عاشور ، ان يؤمكد أن
رابطة العقيدة بين الناس تعلق كل الروابط وتسمو عليها في كل زمان ومكان
وهي أصل كل الأوصار التي تجمع بين الناس وتتقدم عليها في بنا * شبكة
العلاقات الاجتماعية في المجتمع .

((لذلك جعل الإسلام رابطة دينه الحق رابطة مقدسة تصغر أمامها
الروابط كلها ودعا الناس لاتباعه ليكونوا أمة واحدة تجمعها وحدة الاعتقاد
والتفكير والعمل الصالح))^(٣)

كما نبه القرآن الكريم المؤمنين إلى ضرورة اليقظة إلى خطر الأوصار
التي تسعى إلى أن تكون بدائل للإيمان في حياة الناس قال تعالى :
((لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي
قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ))^(٤)

وقد سمي الإسلام تلك الرابطة الاجتماعية بالأخوة الدينية القائمة
على قاعدة الإيمان أساسا ، قال تعالى : ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ))^(٥)
وبفضل هذه القاعدة تسنى للمسلمين التعارف والتوادد والتواصل
والاتحاد على اختلاف أعراقهم وأوطانهم ، ولم يسجل تاريخ الإنسانية لدعوة
أو دولة أو دين جمع هذه الأصناف من الشعوب على اختلاف ألوانها وألسنتها
وأقطارها ، وجعلهم أمة واحدة لا يرى بعضهم فارقا بينهم إلا بالتقوى غير
الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .^(٦)

-
- (١) - أبو الأعلى المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ٩٤ .
(٢) - سورة آل عمران : آية ، ١١٠ .
(٣) - محمد الطاهر بن عاشور : أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، ص : ١٠٨ .
(٤) - سورة المجادلة : آية ، ٢١ .
(٥) - سورة الحجرات : آية ، ١٠ .
(٦) - الطاهر بن عاشور : المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

و - الوظيفة الحضارية للإيمان : تعمل إذن رابطة الإيمان على بعث كيان اجتماعي إلى الوجود ، متين الأسر ، قوي السلة في علاقاته الاجتماعية يعرف بالامة . قال تعالى : ((إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ))^(١) ومن مظاهر السلوك الجماعي للامة المؤمنة الواحدة . ما وصفها به المولى عو وجل في كتابه الكريم بقوله : ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُوْمِنُونَ بِاللَّهِ))^(٢)

فالامر بالمعروف والنهي عن المنكر القائمين على قاعدة الإيمان بالله تعالى من أبرز الصفات الاجتماعية لامة التوحيد التي تميزها عن سائر الأمم الأخرى غير الموحدة .

وانطلاقا من معيار التوحيد في العقيدة يمكننا أن نعثر في التاريخ البشري على نوعين^(٣) من الحضارات :

النوع الأول : حضارات الإيمان الديني .

والنوع الثاني : حضارات الإيمان الدنيوي .

يتجسد أثر الإيمان الديني الحقيقي في الجمع بين الدين والدنيا في الحياة الفردية والاجتماعية لكل حضارة تقوم على الهدي الرباني المتمثل في الاسلام .

وقد ينفصل الدين عن الدنيا في حياة الناس كأثر عن فساد أصول الدين ذاته ، أو نتيجة انحراف فهم الناس ، وتصوراتهم لحقائق الدين وأغراضه رغم صحته . ومن ثمة فيمكن رؤية الأوضاع الحضارية استنادا إلى ذلك في صورتين :

- الصورة الأولى : حضارات الإيمان الديني : تكون فيها الحضارة قائمة على أسس الإيمان الحقيقي تصورا وتصديقا وسلوكا ، فتنتظم الحياة الفردية والاجتماعية للناس فيها باحكام بين القيم الدينية وأوجه الحياة الانسانية المختلفة في تناغم بين ما هو روحي وما هو مادي . ووحدة متجانسة بين

(١) - سورة الأنبياء : آية ، ٩١ .

(٢) - سورة آل عمران : آية ، ١١٠ .

(٣) - المودودي : الحضارة الاسلامية ، مصدر سابق ، ص : ٩٤ .

سنن الله الكونية وسننه التشريعية في إعمار الأرض والتحقق بالاستخلاف
 فمن دائرة التوحيد القائمة على الإيمان والسمل السالح . قال تعالى :
 ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ
 خُلُوفِهِمْ أُمَّةً يَعْبدُونَني لَا يُشْرِكُونَ بي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
 الْفَاقِقُونَ)) (١)

((ذلك الإيمان منهج حياة كامل ، يتضمن كل ما أمر الله به ، ويدخل
 فيما أمر الله به توفير الأسباب ، وإعداد العدة ، والأخذ بالوسائل ، و
 التهيوء لحمل الأمانة الكبرى في الأرض .. أمانة الاستخلاف ... إن الاستخلاف
 في الأرض قدرة على العمارة والاصلاح ، لا على الهدم والإفساد .
 وقدرة على تحقيق العدل والطمأنينة ، لا على الظلم والقهر . وقدرة
 على الارتفاع بالنفس البشرية والنظام البشري ، لا على الانحدار بالفرد
 والجماعة الى مدارج الحيوان)) (٢)

إنها باختصار وحدة الحياة في المنظور العقدي الإسلامي بين عالمي
 الغيب والشهادة .

وقد تحقق هذا تاريخيا في تجربة الإسلام الحضارية فيما تم تجسيده
 واقعيا ، حيث دل على ذلك تلازم قوة إيمان المسلمين بمعتقداتهم والتزامهم
 بشرع الله مع الازدهار العلمي والرقى المادي وقيادة العالم حضاريا .
 وما كان انحطاطهم الفكري وانحدارهم الحضاري إلا نتيجة ضعف صلتهم
 بالإيمان ، وبالدين عموما فهما وتصورا وسلوكا وعلى كل صعيد .
 كما عرف التاريخ الانساني أنماط حضارات تقوم على الإيمان الديني
 بتصورات وهمية أو خرافية ، طبعت الحياة العقلية لديهم بالجهل والجمود
 وأحوالهم النفسية بالانحطاط السلوكي ، كما شاعت فيهم من جراء ذلك كله
 قيم الرهبانية وازدراء الحياة ، وكبت الفطرة الإنسانية ، وتعطيل طاقتها

(١) - سورة النور : آية ، ٥٥ .

(٢) - سيد قطب : في ظلال القرآن ، م ٤ ، ص : ٢٥٢٩ .

في بناء الحياة وإعمار الأرض ، وقد كان هذا النوع من الدين المزيف في تاريخ الحضارات البشرية مقدمة أساسية لتلهور ازدراف الدين ، والفرار منه والتفكير في وضع بدائل عنه في مجال القيم والتصورات الكلية للحياة والوجود . كانت ثمرتها الحضارة الغربية المعاصرة التي أستعلى ذلك النهج المعادي للدين أي دين .

فيحدثنا التاريخ عن صلابة المعتقدات الدينية الخرافية لدى المسيحيين في أوروبا في العصر الوسيط ، وكذا عند اليابانيين البوذيين قبل نهضتهم الحديثة ، قد تزامن مع أشد أدوارهم التاريخية انحطاطا وتخلفا في كل مناحي الحياة ، ولما آل وضعهم الفكري والعلمي والمادي إلى الازدهار والتقدم أكثر في العهود الأخيرة ، ما عادوا مؤمنين بمعتقداتهم المسيحية أو البوذية إلا اسما . (١)

الصورة الثانية : حضارات الإيمان الدنيوي : عرف التاريخ البشري صورة متكاملة لنمط حضارة تقوم على الإيمان الدنيوي مع ظهور ونمو الحضارة الغربية المعاصرة على أساس الصراع بين الدين الذي عرفته أوروبا وهو المسيحية المعرفة وبين العقل الأوروبي المتمثل في التراث المادي الوثني للاغريق والرومان . والذي تم بعثه فيما يعرف في تاريخ أوروبا بعصر النهضة ابتداء من القرن السادس عشر الميلادي . وقد تشكلت في إطاره العقلية الغربية التي تعزل الدين عن الحياة الاجتماعية والحضارية وتكل أمر ذلك إلى العقل البشري . ويقوم الإيمان الدنيوي على آلهة^(٢) مزيفة ، تعد أركاناً له ، كما الإيمان الديني ، وهي كما حددها المودودي :

- القومية : اتخذت أوروبا بعد عصر النهضة من القومية قيمة مطلقة بديلاً عن الأمة المسيحية ، حتى أصبحت فكرة القوم معبوداً يتقرب إليه بإخلاص وصار الناس يؤمنون بإيماننا قاطعاً بأن الأمة بضمونها القومي الجديد هي مالكة أنفسهم وكل ما بحوزتهم من متاع الدنيا ، فيسترخصون من ثم الغالي والنفيس في إعلاء مجدها ، ورفع كلمتها بين القوميات الأخرى . ولها الحق في بسط

(١) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ٩٨ .

(٢) - نفس المصدر ، ص : ٩٨ .

نفوذها وسلطانها على الدنيا كلها بما يتيسر لها من الوسائل والامكانيات على قاعدة الغاية تبرر الوسيلة . (١)

- القانسون : وهو الإله الثاني ، أو المقوم الثاني للإيمان الديوي اتخذ الغرب معبودا من دون الله ، يحرم به الحلال ، ويحل به الحرام ويجعله فوق كل اعتبار . إذ يحتل فيه الإنسان مركز المشرع الموجه بعيدا عن هدي السماء ، وهذه هي اللا دينية ، أو العلمانية . (٢)

- الهوى : وهو الإله الثالث من آلهة الإيمان الديوي ، يحدد الإنسان الغربي بواسطته القيم ويضع موازين الخير والشر ، والحسن والقبح ، دون أن يرجع في ذلك إلى مصدر خارج نفس الإنسان وميولها . (٣)

- العقل : بعد أن نفضت القوميات الأوروبية يدها من الدين بعد الصراع المرير مع الكنيسة وترهاتها ، زحزح الدين في الغرب عن مكانته السابقة ، وأسبغ الإنسان الأوروبي سمة القداسة على العقل ، لما لهما من آثاره الإيجابية على الحياة المعنوية والفكرية والمادية بعيدا عن سلطان الكنيسة وهيمنتها . (٤)

ثانيا : أهمية الإيمان :

يحتل الإيمان من الإسلام منزلة أصل الأصول ، ومصدر كل شئ فيه ومكانة الروح من الجسد . وهو لب الدعوة الإسلامية ، ومنطلقها ومنتهىها . عليه توحدت كلمة أنبياء الله ورسله من لدن آدم إلى خاتم الأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وسلم . للإيمان

وقد قدم القرآن الكريم أوصافا وأسماء عديدة من بينها ، الحق ، وصدق ، والنور ، والعلم ، والهداية ، والبصيرة .

كما أطلق على نقيض الإيمان كلمة الكفر ، ونعتها بأسماء وأوصاف الباطل ، والكذب ، والجهل ، والظلام ، والضلال ، في العديد من آياته (٥)

(١) - المودودي : الإسلام والمدنية الحديثة ، ص : ٢٧ .

(٢) - نفس المصدر ، ص : ٣٣ .

(٣) - المصدر السابق ، ص : ١١ ، والحضارة الإسلامية ، ص : ٩٩ .

(٤) - نفس المصدر ، ص : ١٠ ، والحضارة الإسلامية ، ص : ١٠٠ .

(٥) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ١٢١ .

ومن هنا فالمعيار الذي يسنده الإسلام على أساسه الناس في هذه الدنيا إلى كفار ، ومؤمنين ، هو موقفهم الحاسم من أركان الإيمان بالتكذيب والجحود أو الشك ، أو بالتصديق واليقين الثابت الذي لا يخالطه أدنى ريب .

وشتان بين منزلة الفريقين عند الله بحكم العلاقة الإيجابية بالإيمان أو السلبية منه . قال تعالى : ((مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَسْمِعِ وَالْبَصِيرِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)) .^(١) قال قتادة : ((هذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن ، فأما الكافر فصم عن الحق فلا يسمعه ، وعمي عنه فلا يبصره ، وأما المؤمن فسمع الحق فانتفع به ، وأبصره فحفظه وعمل به^(٢)) ولقد فصل القرآن الكريم في بيان حقيقتي الإيمان والكفر بما لا يحتاج إلى مزيد من التفصيل ، ومن ذلك البيان ، يتجلى الفرق العظيم بين فريق الإيمان ، وفريق الكفر في الدنيا والآخرة .

وعلى ضوء ذلك تتحدد أهمية الإيمان في حياة الإنسان ، من أنها مسألة أكثر من ضرورة ، حيث يتعلق بها مصير الإنسان الأبدي في الآخرة ، إما إلى جنة عرضها عرض السموات والأرض ، ونعيم مقيم ، أو إلى جحيم ، وعذاب أليم فضلا عن أن سعادة الدنيا ، وشقاها مرتبطان بالإيمان والكفر كذلك . قال تعالى : ((لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ، قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ، فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) .^(٣) ومعنى الدين في هذه الآية تلك العقيدة الإسلامية التي تتكون من أركان الإيمان ، ونظام الحياة القائم على أساسها^(٤) وبحسب موقع الناس من دائرتي الإيمان والكفر بهذه العقيدة يتحدد نهجهم في

(١) - سورة هود : آية ، ٢٤ .

(٢) - الدكتور صالح أحمد رضا : مختصر تفسير الطبري ، م ١ ، ص : ٢٣٣ .

(٣) - سورة البقرة : الآيتان ، ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٤) - المودودي : تفهيم القرآن ، ج ١ ، مصدر سابق ، ص : ١٦٨ .

الحياة الدنيا ، وما لهم في الحياة الآخرة . وأن وزن أعمال الإنسان وقيمتها لا تتحدد إلا على أساس الإيمان ، فكل عمل لا يقوم على الإيمان مهما ظهر مالحا ونافعا للناس لا شأن له عند الله . قال تعالى : ((وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَرَابٍ يَاقِينَةٍ يَحْسَبُهُ الضَّالُّانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَيْئًا)) . (١)

جمعية الأمير عبد القادر للعطوم الإسلامية

الفصل الثاني

أركان الإيمان في الإسلام

1- أركان الإيمان في القرآن :

لقد ورد ذكر أركان الإيمان في الإسلام كلها في كتاب الله العزيز الحكيم ، مع بيان صلتها ببعضها ، وأثرها في حياة المؤمنین فرادى وجماعات في الدنيا والآخرة .

غير أن أسلوب القرآن في عرضه لهذه الأركان جاء مركزاً على ركن دون آخر لضرورات اقتضتها ملاسبات الواقع في التركيز على جانب دون غيره . وجمع هذه الأركان في آية واحدة ، كما فعل في بعض الآيات القرآنية .^(١) وقد اتبع الحديث الشريف الأسلوب ذاته ، فأحياناً يأتي بالأركان جميعها أو يفصلها أكثر ، كما في حديث جبريل إذ أضاف القدر كركن سادس من أركان الإيمان . وفي حالات أخرى يركز على ركن أو ركنين من الإيمان بحسب متطلبات الحاجة ومقتضيات الواقع . ومن مقاصد هذا الأسلوب الحكيم مراعاة التوجيه والتربية وغرس معاني الإيمان في القلوب والعقول والتذكير ببعضها حيناً وبها جميعاً أحياناً أخرى . وقد كان أسلوب طرح الأحكام العملية في الكتاب والسنة يسير في نفس الطريق أيضاً .

وهذا الفصل الذي اقتضاه الأسلوب فحسب، في عرض أحكام الاعتقاد، والعمل في الإسلام ، يتوجب على المؤمنین أن ينظروا إلى المسألة نظرة موضوعية تتجاوز الطرح المجزئ للأمور إلى الصورة الكاملة التي تشكل منظومة عقيدة أو تشريعية أو أخلاقية لمجموع البنية الإسلامية .^(٢)

وباستقراء أسلوب القرآن في عرض أركان العقيدة نجده مثلاً يركز على :
- تأكيد الإيمان بالله فقط ، كما في قوله تعالى : ((إِنْ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا

(١) - أبو الأعلى المودودي : مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة، ص ٣٩

(٢) - نفس المصدر ، ص : ٤١ • ٤٢ • ٤٣ .

اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا (((١)

- أو يقصر التأكيد على الإيمان بالآخرة فقط كما في قوله: ((قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ)) (٢)

- وأحياناً يؤكد على الإيمان بالله مع الإيمان باليوم الآخر كما قال تعالى: ((مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ)) (٣)
- أو يقرن الإيمان بالله مع الإيمان بالرسول، كما في قوله: ((فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ)) (٤)

- ويخص أحياناً القرآن الإيمان بالله مع الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم كما في الآية: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ)) (٥)

- وفي موضع آخر ذكر الإيمان بالله مع الإيمان بالكتب الإلهية والقرآن والسوم الآخر: ((وَالْمُؤْمِنُونَ يَوْمَئِذٍ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ .. وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)) (٦)

- وفي موضع آخر جاءت دعوة القرآن إلى أركان الإيمان الخمسة مجتمعة كما في قوله تعالى: ((... وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ... أُولَئِكَ الَّذِينَ مَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)) (٧)

- وقد عد القرآن الكريم أن التكذيب بركن واحد من أركان الإيمان أو ببعضها أو بها جميعاً محبط للأعمال مخلد أصحابه في جهنم. ((قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ عَنَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَسْوَمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا . ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا)) (٨)

(١) - سورة فصلت: آية ، ٢٦ .

(٢) - سورة الأنعام : آية ، ٣١ .

(٣) - سورة البقرة : آية ، ٦١ .

(٤) - سورة آل عمران : آية ، ١٧٩ .

(٥) - سورة النور : آية ، ٦٥ .

(٦) - سورة النساء : آية ، ١٣١ .

(٧) - سورة البقرة : آية ، ١٧٦ .

(٨) - سورة الكهف : الآيات ، ٩٩ - ١٠١ .

في هذه الآيات وغيرها تكرر ذكر الإيمان بالأنبياء والرسل والكتب التي أنزلها الله سبحانه وتعالى ، ولكن عدم الإيمان بالنبي الخاتم وبالقرآن الكريم ينفي صفة الإيمان عن هؤلاء المنكرين، بل ويحكم عليهم بالكفر .
يقول المودودي : ((وخلاصة ما استفاد من كل هذه الآيات أن أركان الإيمان في الإسلام خمسة)) (١):

- الإيمان بالله .
 - الإيمان بالملائكة .
 - الإيمان بالكتب الإلهية بما فيها القرآن الكريم .
 - الإيمان بالأنبياء بما فيهم محمد صلى الله عليه وسلم .
 - الإيمان باليوم الآخر ، أي القيامة .
- ثم بعد أن يؤكد من خلال القرآن الكريم أن أركان الإيمان خمسة ، يستدرك في الهامش من الصفحة ١١٠ من كتاب الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها . أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكر في أحاديثه ((القدر خيره وشره)) كما في حديث جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان والإحسان :
((ولكن الحقيقة أن الإيمان بالقدر هو جزء من أجزاء الإيمان بالله وعلى هذا قد ذكره القرآن في ضمن بيان التوحيد ، والسبب في ذكره في الحديث بصفة مستقلة أن هذا الجزء من الإيمان بالله مهم جدا ، ولكنه على أهميته قد يخفى على بعض الناس ، ولذا كانت الحاجة شديدة إلى ذكره بصفة مستقلة حتى يبقى الناس على ذكر منه ولا يتغافلوا عنه)) (٢).

ويعزز رأيه هذا الذي اعتبر فيه أن أركان الإيمان خمسة، ما جاء في قوله تعالى من أن الذي يذكر هذه العناصر الخمسة هو الكافر الخارج عن طريق الهدى . ((... وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا)) (٣).

كما ينهب كذلك إلى أن الحديث النبوي ، قد ذكر الجنة والنار والميزان وغيرها من تفاصيل تعتبر أجزاء للإيمان باليوم الآخر (٤).

(١) المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ١١٠ .

(٢) - المودودي : المصدر السابق ، ص ١١٠ .

(٣) - سورة النساء : آية ، ١٣٥ .

(٤) - المودودي : مبادئ الإسلام ، مصدر سابق ، ص ١٢٥ .

أولا : الإيمان بالله :

١ - وجود الله : لئن كانت قضية وجود الله من القضايا التي تنصدر بحوث علم العقائد ، في القديم والحديث ، والاستدلال عليها بالأدلة المختلفة ، من عقلية ، وكونية ، وفطرية ، إلا أن القرآن الكريم لم يقف عند هذه القضية كثيرا كما وقف عند قضايا توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية وأسمائه تعالى وصفاته ، وأفعاله . لأن الاعتقاد بوجود الله من الأمور المركوزة في الفطرة ، والتي تدرك بالحدس النفسي^(١) عند كل إنسان ، ومن ثمة فلا تحتاج إلى البرهان العقلي ما صفت النفوس ولم تتقدر بأقدار الشرك لسبب من الأسباب .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى : ((قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأِطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ))^(٢) . وقال كذلك : ((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ))^(٣) .

إن وجود الله تعالى لا يحتمل الشك لظهور الأدلة في كل المخلوقات على وجوده ووحدانيته ، لذلك اعتمد الأنبياء والرسل البرهان في قولهم (فَأِطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي خالقيهما ومبدعهما على غير مثال سابق^(٤) .

وما يعبر عن حضور هذه الفطرة مرارا وتكرارا في واقع التاريخ الانساني ما يؤكده الباحثون في تاريخ الأديان من أن جميع الأمم التي درسوا حياتها الاجتماعية والدينية ، كانت كلها تتخذ معبودات تعبدها وتتقرب إليها وتقدها^(٥) وعليه فثبوت وجود الله أمر لا ينفرد به الإسلام من دون الأديان ومنازل المذاهب الفكرية والفلسفية الأخرى ، ولو كان إثبات وجود الله لدى هذه الأديان والمذاهب على وجه غير الوجه الذي أثبتته عليه الإسلام ، فجاؤ الإسلام بعلم صحيح كامل واضح بصفات الله عز وجل ميزه عن غيره تمييزا كليا^(٦) .

(١) - علي الطنطاوي : تعريف عام بدين الاسلام ، ص : ٦٠ .

(٢) - سورة ابراهيم : آية ، ١٣ .

(٣) - سورة الروم : آية ، ٢٩ .

(٤) - محمد علي المايطوني : صفوة التفاسير ، م ٢ ، مرجع سابق ، ص : ٩٢ .

(٥) - عمر سليمان الأشقر : العقيدة في الله ، ص : ٦٥ .

(٦) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ١٣٦ .

- استدلال المودودي على وجود الله : وقد اقتفى الإمام المودودي في بحث هذه القضية أثر القرآن الكريم ، إذ اعتمد الكون متطلقا في استدلاله على وجود الله بمظاهره المختلفة :

أ - دليل العناية: يتجلى فيما يسود الكون من نظام محكم ، وانسجام تام في علاقات الموجودات ببعضها ، وما يحكمها من قانون عام يفضي إلى الإيمان بالخالق الواحد لهذا الكون الذي لاتغيب عنا يته عنه طرفة عين . ويضرب على ذلك مثلا بالإنسان من حيث تكوينه المادي الجسمي فيرى أن العلوم الطبيعية التي درست الإنسان من هذه الزاوية قدمت لنا حقائق علمية ناصعة خلاصتها أن جسم هذا الكائن الحي يتكون من نفس المواد المبتثثة في التراب وينسب محددة ، ففي هذا الجسم مقدار من الحديد ، ومقدار من الفحم ، وآخر من القلتران والفسفات ، ومقدار من الجير ، ومقدار من الأملاح والغازات . الخ

ب - دليل الحياة : فلو أخذنا متادير من هذه الأشياء مما يوجد في جسم أي إنسان على شكل مواد أولية ، ثم مزجناها بالكيفيات الممكنة في علم الكيمياء ، فالمحصلة المؤكدة أنه لن يتم خلق أي إنسان بأي تركيب أبدا بل ولو كانت المحاولة على أدنى مخلوق وأتفهه كالذباب مثلا لتعذر خلقه ، والتحدي قائم إلى يوم الدين . قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ لَّاسْتَمْعُوا لَهُ ، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمُطَّلِبِ)) (١) .

فأي عقل بشري راشد يمكنه أن يصدق أنه من الممكن أن يتكون بمجرد تجميع لمواد ميتة كائن متفرد كالإنسان يسمع ويبصر ، وينطق ، ويعي ، ويكتشف القوانين العلمية المختلفة التي تحكم حياة الكائنات ، ويطور وسائل التحكم في الطبيعة والتغلب على محدودية وسائله الفطرية فيصنع الطائرات ، وينزل المحيطات ، ويقرب المسافات بين القارات . فكيف يتصرف هذا الكائن في الكون الفسيح من حوله على هذا النحو المتفرد من غير حكمة خالق مدير عظيم أراد لهذا المخلوق الصغير الذي علمه الأسماء كلها أن يبسط سلطانه على المخلوقات الكثيرة ويسخرها ، ويتحكم فيها بما يملكه من أسباب القوة ، وعلى رأسها قوة العلم والمعرفة والإرادة ، فهي منحة من قدرة مطلقة وعلم محيط لا يعزب

عن علم صاحبه شيئاً في الأرض ولا في السماء . (١)
وفي مقابل ذلك لننظر كيف ينشأ الإنسان ويتكون في مصنع رحم الأم
الصغير؟!

بعيدا عن خبرة الأم والأب تبدأ العملية بانتقاء بويضة وحيوان منوي
في كيس صغير في رحم الأم ويحدث اللقاح بينهما في زمن لا يعلمه أحد ، ويتدرج
الجنين عبر مراحل تطوره من النطفة إلى العلقة إلى المضغة داخل بطن الأم
حتى يصير بشرا مكتملا في الخلقة خلال تسعة أشهر . ففي مرحلة المضغة
التي تشهد أولى عمليات التخلق ، تتكون فيها العينان حيث ينبغي أن تكونا
وتتكون الأذنان في مكانيهما ، وتتكون المخ في محله المخصوص ، وتتكون
القلب حيث ينبغي أن يكون ، وتتكون العظام حيث ينبغي أن تكون . الخ .
ثم تزرع الروح في هذا الكائن ، فيعقب بقوة النظر وقوة السمع وقوة
المذاق وقوة الشم وقوة الذوق ، والإدراك والتفكير والحركة . ولا يخرج من
رحم الأم إلى الدنيا حتى يجهز على أحسن ما يرام لاستقبال عالمه الجديد في
الدنيا .

وفي عالمه الجديد يستكمل نموه حتى يتأهل لممارسة الحياة من جميع جوانبها
ويتحمل مسؤوليته في العمارة ، والخلاقة عن الله تعالى في الأرض .
يحدث هذا في الدنيا كل يوم ، بل كل ساعة بالنسبة لمئات الآلاف من
البشر يولدون ، وكل واحد منهم يختلف عن الآخر في هيئته ولونه وملامحه
واستعداداته ، ومواهبه اختلافا بينا . حتى لا يتجانس في هذه الدنيا
شقيقان ما خرجا إلا من رحم واحد . وهذه في حد ذاتها أعجوبة لا يملك معها
العقل الإنساني إلا الدهشة والحيرة ، أمام القدرة المملقة للخالق عز وجل .
((أما الذي يشاهد هذه الأعجوبة بأمر عينه ثم يقول : إن كل هذا يتم
أو من الممكن أن يتم بغير إله لا نهاية لحكمته وقدرته وعلمه وكماله ، فما
من شك في أن هذا الرجل فقد عقله وما اعتباره بإنسان عاقل إلا إهانة للعقل
وحط من شأنه)) . (٢)

(١) - أبو الأعلى المودودي : بر الأمان ، ص ١٤ .

(٢) - المصدر السابق : ص ١٥ .

والكون المحيط بنا بمجراته وكواكبه وكائناته من أكبرها إلى أصغرهما ، كل منقاد لقانون خاص لا يتأخر عن الامتثال له في حركاته وسكناته . فحركة الأفلاك محكمة ومنبوتة كالساعة لا قبل لها في الخروج عما قدر لها من علاقات بين بعضها البعض ولو قيد شعرة . والماء والهواء والنور والحرارة كلها موزعة بنسب ومقادير محددة على ظهر كوكبنا الأرض إلى الحد الذي تتوافق معه حياة الكائنات المبتوثة على سطحها من إنسان وحيوان ونبات .

فلو أن عنصراً هاماً من عناصر الحياة على ظهر هذا الكوكب كالأكجين مثلاً ، يطرأ عليه تغيير فينزل بنسبته عن الـ ٢١٪ أو يرتفع بها إلى أكثر من ذلك لاختلت الحياة واضطربت ، وسادها انهيار كبير ، ولتعذرت الحياة على كثير من المخلوقات .

وهذا الإنسان لا ينفك يخضع في كل زمان ومكان لسنن الله في الخلق خضوعاً تاماً لا يملك الخروج عن قانون الفطرة المنظم لحياته قيد أنملة ((ولهذا القانون نفسه ينقاد قلب الإنسان في حركته ، ودمه في دورانه ونفسه في دخوله وخروجه ، وله تستلم جميع أعضاء جده كالدماع والمعدة والرئة والأعصاب ، والعضلات واليدين والرجلين ، واللسان والعينين والأنف والأذنين .

فليست الوظائف التي تؤديها هذه الأعضاء كلها إلا ما قدره الله لها وهي لا تقوم بها إلا حسب ما قررت لها من الطريق)) . (١)

وعليه فدلائل وجود الخالق عز وجل منبثة في كل شيء من هذا الكون ((فكلما تأمل العقل ، في هذا الكون الكبير المتدفق بحكمة وإبداعاً تجدد لهم في كل تأمل جديد برهان جديد يشير إلى الخالق العظيم)) . (٢) ويشترك في الوصول إلى هذه النتيجة الناس على اختلاف أديانهم إذا تأملوا في الكون تأملاً متحرراً من الأفكار المسبقة ، وتركوا الفطرة على سبيلها . فهذا على سبيل المثال لا الحصر عالم الطبيعة الكندي (فرانك آلن) يصل إلى الإيمان بوجود الله من خلال تأمله في حقيقة نشأة العالم ، بين القصد والمصادفة . يقول : ((كثيراً ما يقال :

(١) - المودودي : مبادئ الإسلام ، مصدر سابق ، ص : ٥٥ .

(٢) - عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : الوجيزة في العقيدة الإسلامية ، ص : ٣٧ .

إن هذا الكون العادي لا يحتاج إلى خالق ، ولكننا إذا سلمنا بأن هذا الكون موجود فكيف نفسر وجوده ونشأته ؟ هنالك احتمالات أربعة للإجابة عن هذا السؤال ((١)).

أ - فإما أن يكون هذا الكون مجرد وهم وخيال ، وهذا ما يتعارض مع ما سلمنا به من أنه موجود .

ب - وإما أن يكون هذا الكون قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم وهذا مرفوض بدهشة .

ج - وإما أن يكون هذا الكون أزلي الوجود ليس لنشأته بداية ، وهذا الاحتمال يساوي ما يقوله المؤمنون بالله بالنسبة لأزلية الخالق ، لكن قوانين الكون تدل على أن أصله وأساسه مرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة فهو إذن حدث من الأحداث . ولا يمكن إحالة وجود هذا الحدث المنظم البديع إلى المصادفة عقلا ، ولذلك فهذا الاحتمال باطل أيضا .

د - وإما أن يكون لهذا الكون خالق أزلي أبدعه ، وهذا الاحتمال المقبول عقلا دون اعتراض ، ومعنى ذلك أنه لا بد لأصل الكون من خالق أزلي ليس له بداية ، عليم محيط ، بكل شيء ، قوي ليس لقدرته حدود ، ولا بد أن يكون هذا الكون من صنع يديه .

وتشير ظاهرة التوافق التام بين عناصر هذا الكون القائم منذ عشرات الملايين من السنين ، أنه ما حدث قط أن سقط القمر على الأرض ، أو تصادمت الأرض مع الشمس ، أو طرأ تعديل على حساب الليل والنهار ، أو تعمد الماء على الحرارة والتراب ، فلماذا هذا التوافق التام والالتزام الشديد بين عناصر هذا الكون ؟ ولاي سبب هذا الانضباط والخضوع المعجز لقانون مطرد لا يتخلف ؟ (٢)

يجيب الإمام المودودي عن ذلك السؤال بتوجيه النظر والتأمل الداخلي للإنسان حتى يشهد قلبه بأن إلها واحدا هو مالك كل شيء بضابطة ونظام ولو كان لهذا الكون إلهان ، أو عدة آلهة لما سار نظامه بإحكام تام . ومن ثمة فلا مجال للشك في أن هذا الكون ما أخرجه إلى حيز الوجود

(١) - (٢) - الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان : الله يتجلى

في عصر العلم . ص : ٥ ، ٦ .

إلا خالق واحد مهيمن على كل شيء* ، بيده متاليد سلطات الحكم والنهي والأمر لا شريك له ولا منازع ، له ملك السماوات والأرض . فيترتب على ذلك أن الله هو الحاكم في هذا الوجود ولا يكون سواه إلا خاضعا ومحكوما بمقتضى فطرته التي فطره الله عليها . (١)

نلاحظ أن الإمام المودودي قد تجاوز في معرض استدلاله على وجود الله تعالى ما طرحه قديما علم الكلام من مقدمات طبيعية كمعطيات للاستدلال على مسائل العقيدة ، مثل ((الخلاء ، والمكان ، والجوهر الفرد ، والحركة ، والجوهر والعرض)) . (٢)

إدراكا منه أن العلم الحديث قد تجاوزها إلى حقائق علمية مشاهدة ومجربة في الواقع الملموس .

ولذلك نجد في كثير من محالات إثبات وجود الله عز وجل يتخذ من توانين العلم الحديث ونتائج المتكررة أدلة على العناية والنظام والقدرة والإرادة الإلهية المعبرة أصدق تعبير وأدق على وجود الباري جل وعلا . وقد تتبع آيات الأنفس والآفاق المبتوثة في هذا الكون ورصد ما بينها من علاقات وروابط تنبئ عن خنوعها واستسلامها لقاعدة مطردة ، وقانون خاص . هذا القانون الذي يسلكها جميعا ، هو قانون وحدة الخلق ، المعبر بدوره عن الخالق الواحد الأحد الفرد الصمد ، الذي خلق كل شيء* وقدره تقديرا . ومن ثمة فإن المودودي يلتقي في النهاية مع المنهج القرآني في هذا المجال الذي يستدل على وجود الخالق عز وجل بالكون وظواهره المختلفة المعبرة عن ظاهرة الحياة المعجزة التي تشمل كل الموجودات من أدقها وأصغرها إلى أكبرها وأضخمها في أرجاء الكون الفسيح .

٢ - مكانة الإيمان بالله في الإسلام : يعتبر الإيمان بالله تعالى أصل الأصول الاعتقادية والعملية في الإسلام ، وتعد باقي أركان الإيمان الأخرى فروعا لهذا الأصل . وأن كل القيم الخلقية ، وسائر الأحكام الشرعية تستمد حجيتها وقوة الإلزام فيها من نفس الأصل .
ولذلك كان القرآن الكريم كله حديثا عن الركن الأول من الإيمان إما

(١) - المودودي : بر الأمان ، مصدر سابق ، ص : ٢٠ .

(٢) - د . عبد المجيد النجار : فقه التدين فهما وتنزيلا ، ج ٢ ، ص : ٥٤ .

حديثاً مباشراً عن ذات الله ، وصفاته ، وأسمائه ، وأفعاله ، وإما حديثاً غير مباشر يتمثل في الدعوة لعبادته وحده لا شريك له بعد الإيمان به . فغاية القرآن القصوى هي التعريف بالله تعالى حق المعرفة بما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه . ومن ثم فإن ذكر الله قد تكرر في كتابه العزيز باسم من أسمائه أو صفة من صفاته ، ما يقرب من عشرين مرة في الصفحة الواحدة .^(١) ولم يحرز موضوع من موضوعات القرآن الكريم مثل هذا الاهتمام ، ذلك أن مبرر الإيمان بالملائكة لأنهم ملائكة الله ، والإيمان بالرسول والكتب لأنهم رسل الله وكتبه التي أنزلها عليهم ، والإيمان باليوم الآخر لأنه الموعد الذي يقضي فيه الله بين خلائقه بالحق ، ولا يظلم أحد في محكمته العادلة . وما اتباع المؤمنين لأوامر الرسالة الخاتمة ونواهيها إلا لأنها من عند الله^(٢)

وعلى هذا الأساس تتحدد مكانة الإيمان بالله في الإسلام ، إذ تمثل نقطة المركز من الدين ، والمحور الذي ترتبط به كل قضايا العقيدة ، والعمل والسلوك ، والتأثير في حياة المؤمنين كلما حصل العلم الصحيح بالتوحيد الحق ، واليقين الراسخ الذي لا تشوبه شائبة شك ، فيصح العزم وتحرك الهمم على خط الإيمان والعمل الصالح .

٣ - التعريف بالله : لقد تبين أن الأدلة على اختلافها من كونية وشرعية وعقلية تتضافر لإثبات وجود الله تعالى ، ولا يملك الجاحدون لوجود الله دليلاً من الواقع أو من المنطق العقلي ، أو من الفطرة الكونية يعضد دعواهم .

وقد جاء الإسلام كي يعرف بالمولى عز وجل حق المعرفة ، متجاوزاً قضية الوجود الصتيرة من أبواب كثيرة ، لي طرح علماً صحيحاً كاملاً بصفاته تعالى ، يتأسس على حقائقه الناصعة إيمان المؤمن ، وتزكو نفسه على هدايته وتسمو أخلاقه بتأثير منه - كما تنهض الحياة المدنية والاجتماعية على أصوله وتستمد منها النماء والاستمرار ما بقيت مرتبطة بالهدى الرباني على مر العصور .

- مرجع سابق
- (١) - عمر سليمان الأشقر ، العقيدة في الله ، ص : ٦٠ .
 (٢) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ١٣٥ .

ويستقى العلم بصفات الله تعالى من الوحي كتاباً سنة ، ومن خصائصه :

- أنه المعيار الرئيسي للتمييز بين الإيمان والكفر .
- وأن قاعدته ، لا إله إلا الله ، هي أصل أصول الإيمان .
- هذا العلم أرسل به الحق تعالى جميع أنبيائه ورسله من لدن آدم إلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم .

أ - حقيقة لا إله إلا الله : تعتبر لا إله إلا الله ، الصورة المجملة للإيمان بالله ، وهي المفتاح الذي يدخل به الإنسان رحاب الإيمان والإسلام ، فيصدق قلبه ، ويقول بلسانه ، وتتحرك جوارحه بالعمل الصالح .

ومن مقتضيات المعرفة بحقيقة التوحيد أن يستقر في وعي المؤمن وعقله أن لا أحد في الوجود أهلاً لصفة الألوهية ، وأن كل ما يتعلق بهذه الصفة من تصورات واعتقادات وعبادات وطاقات هي من حق ذات واحدة هي ذات الله سبحانه وتعالى . (١)

ويمكن تلخيص حقيقة كلمة التوحيد ، لا إله إلا الله ، في عناصر ثلاثة :

- على مستوى تصور الألوهية .
 - على مستوى نفي الألوهية عن كل كائنات الوجود .
 - على مستوى إثبات الألوهية لله وحده .
- وكل الذي جاء به القرآن الكريم عن ذات الله تعالى وصفاته ، ماهو إلا تفصيل وشرح لهذه العناصر أو المستويات الثلاثة لكلمة التوحيد لا غير .

٤ - تصور الألوهية في القرآن: أ - حقيقتها : جاء القرآن الكريم وهو الرسالة الخاتمة إلى البشر يحمل عقيدة التوحيد نقية صافية من أدراك الشرك ويقدم شريعة كاملة تستوعب كل أوضاع الإنسان على اختلاف المجتمعات إلى يوم الدين . وقد كان نصيب الألوهية من البيان في القرآن يشتت الألباب والطرق وإفراءً ، فلقد أعطى تصوراً واضحاً وصحيحاً لحقيقة الألوهية لا نظير له في أي دين أدركته الرسالة الخاتمة . ومع وجود تصور لدى كل أمة عن الله ، إلا أن ما يميز تلك التصورات هو ما يعترئها من نقص وخلط بين صفات الإله وصفات المخلوق ويعود ذلك إما إلى تحريف للعقائد التي جاء بها الأنبياء والرسل كما

هو الحال عند اليهود والنصارى الذين بدلوا عقيدة التوحيد وأشركوا بالله ظلما وعدوانا . ولما إلى الأوهام والتخرصات التي اعترت موضوع الألوهية من بداية الأمر كما هو لدى واضعي الأديان الوثنية ، والفلاييفة . ((فما الألوهية في بعض هذه الأمم والأديان إلا عبارة عن الأوليسة والواجبية ، وما أريد بها في بعضها إلا المبدئية ، وقد جعلت في بعضها مترادفة مع القوة ، وهي في بعضها أداة للترهيب والتخويف ، ومعناها في بعضها قضاء الحاجات ، وإجابة الدعوات ، وهي في بعضها قابلة للتجزئة والتفرقة ، وهي في بعضها متلوثة بالتجسيم والتشبيه والتنازل ، وهي في بعضها متمكنة في السماء ، وقد نزل بعضها إلى الأرض على صورة الأنبياء)) . (١)

وكان من حسن حظ الإنسانية أن وضع القرآن الكريم نهاية لفوضى التصورات حول أهم قضية في الوجود ، وهي قضية تصور الألوهية . فأعطى تصورا شاملا متكاملًا عن الألوهية الحققة ، فقدسها ومجدها ، وخلصها من ترهات وتخييلات البشر القاصرة . فأكد يقينًا أنه لا يجوز أن يكون إلها إلا من كان هو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية ، قال تعالى: ((هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) . (٢)

وهو الحي القيوم الصمد الذي لا يحتاج إلى أحد ، وكل المخلوقات محتاجة إليه ، ومفتقرة إلى فضله وعفوه ورحمته . ويكون واهبا للحياة ومهيئا لأسبابها ووسائلها . وهو القادر على كل شيء* والحاكم على الإطلاق ، بعلم وعدل ، والمالك لكل قوة من قوى النفع والضرر في هذا الوجود .

قال تعالى : ((اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)) . (٣)

(١) - المصدر السابق ، ص ، ١٣٧ .

(٢) - سورة الحديد : آية ، ٣ .

(٣) - سورة البقرة : الآيتان ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

وتعرفنا آية الكرسي بالله تعالى مسرفة لا نجد لها مثيلا في آية أخرى من القرآن الكريم . (١)

ب - خصائصها : إن حقيقة صفات الله تعالى الكاملة المطلقة لا تقبل التجزئة أو التوزيع ، فهي من خصائص ذاته تعالى وحده ، وقد بين القرآن الكريم استحالة تعدد الآلهة في هذا الوجود ، ومن ثم فلا مجال لتصور انتقال هذه الصفات كلها أو بعضها إلى غيره ، وأن كل مخلوق فيه نقص . قال تعالى : ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) . (٢)

ج - نفى الألوهية عن كل المخلوقات : نفى القرآن الكريم أن يكون مع الإله الحق في هذا الوجود إليها آخر ، ولا وجود لإلذات واحدة متفردة في كل شيء ، وهي المعروفة بالله . والإنسان مطالب بالإيمان بها وإطاعتها وعدم الإيثار بها اعتقادا أو خنوعا وسلوكا . وأن يستيقن من كل قلبه أنه لا محالة راجع إليه ومحاسبه على ما قدمت يدها ومجازيه على ذلك إن خيرا فخير أو شرا فشر . (٣) قال تعالى : ((لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسَبَّحَانَ اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)) . (٤)

وتعني الآية أنه لو كان في الوجود مع الله آلهة أخرى غير الله لفسد نظام الكون وتعطل لِمَا يحدث من نزاع واختلاف بين الآلهة . وقد استخلص الأصوليون من هذه الآية دليل التمانع الذي يعني : ((أنا لو فرضنا إلهين فأراد أحدهما شيئا وأراد الآخر نقيضه ، فإما أن تنفذ إرادة كل منهما وذلك محال لاستحالة اجتماع النقيضين ، وإما أن تنفذ إرادة واحد منهما دون الآخر فيكون الأول الذي تنفذ إرادته هو الإله ، والثاني عاجز فلا يصلح أن يكون إليها)) . (٥)

إن تعدد الآلهة يفترض القدرة المطلقة لكل منهم ، والقدرة المطلقة من أخص صفات الألوهية في القرآن ، فتكون الفرضية القرآنية على هذا

- (١) - المودودي : تفهيم القرآن ، ج ١ ، مصدر سابق ، ص : ١٦٢ .
 (٢) - سورة الشورى : آية ، ٩ .
 (٣) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ١٣٩ .
 (٤) - سورة الأنبياء : آية ، ٢٢ .
 (٥) - محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، م ٢ ، ص : ٢٥٨ .

الأساس هي تعارض إرادة الإلهيين فرضية صحيحة إذ يوئدي تنازعهما إلى الفساد في الكون . ولكن الواقع يرفض ذلك إذ لا فساد في نظام الكون أو في مسيرته ومن ثمة ففكرة التعدد باطلة لا أساس لها . (١)

د - إثبات الألوهية لله وحده : والمشركون الذين يدعون أن مع الله آلهة أخرى في هذا الوجود يفتقرون إلى إثبات دعواهم أو تقديم دليل واحد عليها . والقرآن الكريم ينفي كل مظهر من مظاهر الألوهية عن الكائنات كلها نفيًا مطلقًا ، انطلاقًا من دعاوى المشركين ذاتها . قال تعالى : ((قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ إِيْتُونِي بِكِتَابٍ مِمَّنْ قَبْلَ هَذَا أَوْ أَنارَةٌ مِنْ عِلْمٍ أَنْ كُنْتُمْ مَادِقِينَ)) . (٢) ويقول أيضا : ((قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ)) . (٣)

نلاحظ أن القرآن في هاتين الآيتين ، ينطلق في محاجة المشركين الذين يتخذون آلهة يعبدونها من دون الله ، من بديهيات تصور الألوهية ، ومن سماتها الأساسية التي تنفرد بها الذات الإلهية ، وهي أنه لا بد للإله الحق من القيام بعملية الخلق ، وإلا فما معنى أن يكون الإله إليها بدون أن يخلق شيئًا ، فأين مخلوقات آلهتكم في السماوات والأرض ، من إنسان ، أو حيوان أو جماد ، أيها المشركون ؟ فإذا كان الجواب سلبيًا فأين الدعوى ؟ وإذا كان بالإيجاب فأين الدليل من علم جاء به كتاب من الكتب المنزلة من عند الله قبل هذا القرآن يأمركم بعبادة الأضنام ؟ وهو أمر تعجيز لأنه ليس لهم كتابا يدعوهم إلى الإشراف بالله ، بل الكتب كلها ناطقة بالتوحيد . وأين الدليل من علوم الأولين الذي يشهد على هذا الانحراف العقائدي ؟ ولكن الواقع يكذب دعواهم ويردها ، فهم لا يستطيعون أن يقدموا لنا

- (١) - محمد حسين فضل الله : الحوار في القرآن ، ج ١ ، ص : ٣٠ .
 (٢) - سورة الأحقاف : آية ، ٤ .
 (٣) - سورة الأنعام : آية ، ١٤٩ .

كتابا أو إثارة من علم ، فما بقي لهم إذن إلا الظن الذي لا يغني عن الحق شيئا ، والتخرصات التي لا تقدم دليلا على شيء لأنها لا تستند إلى شيء^(١)

فما من شك بعد هذا البيان لحقيقة الألوهية التي يتفرد بها المولى عز وجل ، ونفيها عن الآلهة المزعومة بالدليل القاطع ، والبرهان الساطع وهي أن صفات الكمال المطلق لا تستحقها سوى ذات واحدة في هذا الوجود وهي ذات الله تعالى التي يصفها القرآن بقوله : ((هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))^(٢) وآيات سورة الحشر هذه تقرر أن الله جل وعلا هو المعبود بحق ولا رب سواه في هذا الوجود ، ويعلم السر والعلن مما خفي عن الناس وما علموه ، وهو تعالى وسعت رحمته كل شيء في الدنيا والآخرة . وتكرار كلمات ((هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)) في الآيات السابقة اعتناء بأمر التوحيد القاضي بألا رب ولا معبود سوى الله .

لأنه المالك لجميع المخلوقات المتمصر في شأنها بالإيجاد والإعدام ، والأمر والنهي ، وأنه تعالى منزّه عن صفات المخلوقات ، ومن ثم عن كل عيب أو نقص ، هو الذي أمّن الخلق من جوره ، وصدق رسوله بأجرام المعجزات على أيديهم . وهو الحافظ والشهيد على عباده بأعمالهم ، وهو العزيز الذي لا يغلب والقاهر فوق عباده . وهو الجبار العظيم الذي يذل له من دونه ، وله الكبرياء حقا ولا يليق إلا بجلاله وعظيم قدرته . وتقدس سبحانه في عظمته وشأنه عما يلحق به من الأنداد والشركاء الخالق الرازق لجميع ما في الكون ومن فيه من الكائنات ، والموجد لها من العدم^(٣)

(١) - محمد حسين فضل الله : الحوار في القرآن ، مرجع سابق ، ص : ٢٢ .

(٢) - سورة الحشر : الآيات من ، ٢٢ إلى ٢٤ .

(٣) - محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، م ٣ ، مرجع سابق ، ص: ٣٥٦، ٣٥٧

وعلى هذا النهج تكون المعرفة القرآنية بالله أتم معرفة ، وأكملها وأصحها عما تخيلته وتصورته العقول البشرية في كل العصور .
 عندما يكتمل التصور الصحيح الشامل للألوهية الذي جاء به القرآن في ذهن الإنسان ووعيه ، يصبح كل شيء أمامه في هذا الوجود من الكائنات المدركة بالحس أو بالعقل ، أو بوسيلة أخرى غير متصف بصفة من هذه الصفات في كمالها وتمامها ، لأن جميع المخلوقات خاضعة لغيرها مغلوبة على أمرها ذلك أنها لا توجد في الحياة الدنيا ، ولا تموت ، إلا وفق سنن الحياة الجارية عليها من أعلى منها ، والمتحكمة في أوضاعها كلها وجوداً وعدمًا ، فهي تشهد بلسان حالها أنها في مقام العبودية والخضوع في هذا الوجود ، وليس شيء منها بإله ، ولا سلطان لها على الألوهية الحقة في قليل أو كثير . ((فهذا هو معنى لا إله)) ، (١) أي نفي الألوهية عن كل مخلوق في هذا الكون ، وإثباتها للخالق جل وعلا وحده ، وذلك هو معنى الشطر الثاني لكلمة التوحيد (لا إله) (٢)

فهناك في هذا الوجود إذن حقيقتان : هناك ألوهية ، وهناك عبودية .
 والعلاقة التي تربطهما ببعضهما ، هي علاقة خالق بمخلوق ، أو علاقة إله بعبده .

٥ - تأييد الإيمان بالله في حياة الإنسان : إن معرفة حقيقة الألوهية ، وتوحيد المولى عز وجل في ^{الذات} الصفات والأفعال والأسماء ، الخطوة الأولى الهامة في حياة المؤمن يتلوها لا محالة تصديق جازم ، وإقرار بالألوهية وربوبية الإله وحده لا شريك له . يتبعها بعد ذلك ثمرة طيبة تتمثل في العمل الصالح الذي ينعكس على أفكار وتصورات وأعمال المؤمن .
 وستكون الفقرات التالية في مبحث الألوهية بيان لأثر الإيمان بالله في شخصية الإنسان المؤمن ، ولعلنا لا نجانب الصواب إذا ما قلنا أنه بعد تحصيل المعرفة الصحيحة بأركان الإيمان ، يأتي المقصد الثاني للإيمان ، هو ما تتركه تلك المعرفة في فكر المؤمن ، وسلوكه ، وعمله من أثر طيب وتوجيه سديد ، وشخصية سوية متزنة تشع بنور الإيمان ، وتتحقق بمؤثرات

(١) - المودودي : مبادئ الإسلام ، مصدر سابق ، ص : ٩٠ .

(٢) - نفس المصدر ، ص ٩١ .

الخلافة عن الله في الأرض ، قال تعالى : ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفْنَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)) . (١)

أ - النظرة الآفاقية : إن عقيدة التوحيد تجعل من المؤمن إنسانا كونيا آفاقيا ، يقيم علاقاته مع الله ربا ومعبودا ، ومع بني جنسه على الأخوة في الأصل الترابي الآدمي ، ومع المؤمننين بالله على وشيعة الإيمان ، ومع المخلوقات الكونية الأخرى التي هي في خدمته تحكمه بها علاقة التسخير . فهو مع الله عبد مطيع لأوامره ، ومجتنب لمعاصيه ، ومع أخيه الإنسان يشتركان في التكريم ، وتحمل الأمانة ، والمسؤولية الملقاة على عاتقه في الأرض ، وهي الخلافة وإعمار الحياة . وهو مع الكائنات الباقية في صلة انتفاع وتسخير لها في رحلته الدنيا ، كما تخضع لله وتسلم له قيادها على سجيتها ، وتسبحه كما أمرها ، وتنزهه جلاله وعظمته عن النقص . قال تعالى : ((تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ . وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيقًا عَفْوًا)) . (٢)

أي تنزهه السماوات والأرض عن الشريك في الملك وتقده ومن فيهن من المخلوقات ، ذلك أنه ما من شيء في هذا الوجود إلا ناطقا بعظمة الله شاهدا بوحدانيته .

يعلق سيد قطب في تفسيره على هذه الآية بقوله : ((وإنه لمشهد كوني فريد حين يتصور القلب كل حصة وكل حجر ، كل حبة وكل ورقة ، كل زهرة وكل ثمرة ، كل نبتة وكل شجرة ، كل حشرة وكل زاحفة ، كل حيوان وكل إنسان ، كل دابة على الأرض ، وكل سابحة في الماء والهواء ومعها سكان السماء ، كلها تسبح الله وتتوجه إليه في علاه ... وحين تشف الروح وتصفو تدرك من أسرار هذا الوجود ما لا يدركه الغافلون)) . (٣)

(١) - سورة النور : آية ، ٥٣ .

(٢) - سورة الاسراء : آية ، ٤٤ .

(٣) - سيد قطب : في ظلال القرآن ، م ٤ ، مرجع سابق ، ص : ٢٣٣٠ إلى ٢٣٣١ .

والمؤمن بالله تصفو عقيدته على هذا النحو من أضرار الشرك، وتتم نظرتة وتحرر من أسرته المحدودة بالفرائض والشهوات، والولا للقوم أو الرقعة الجغرافية المحدودة، لتنتقل إلى الدائرة الكونية الأوسع في فضاءها الرحب، تسيح في آلاء الله وتجول.

ومن ثم يكون لزاما على المؤمن بالله ألا يكون ضيق النظر محدودا للذكر أبدا، فهو من هذه الزاوية يتجاوز حتى مصطلح الدولية، لأنه أضيقت من نظرتة الكونية الأفاقية التي يتحرك في أرجائها عقيدة وفكرا وسلوكا. (١)

وهذا ما لا يمكن أن يكون في متناول إنسان يؤمن بألهة متعددة أو يعتقد في الله صفات الإنسان الناقصة المحدودة، أو بجهد الله أصلا ولا يؤمن به. (٢)

ب- عزة النفس: تورث كلمة التوحيد الأنفة وعزة النفس عند المؤمن لما يحصل لديه من المعاني السامية للألوهية في نفسه، فقولته تعالى: ((وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)) (٣) تفيد الصيغة الحصر كما قال القرطبي في تفسيره، أي أن العزة المتمثلة في القوة والغلبة هي لله وحده، ولمن أعزه وأيده، من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم. (٤)

وكل سبب يتخذ غير الإيمان بالله لا يعز صاحبه ولا ينفعه في الدنيا والآخرة، ذلك ((... أن القوة لله جميعا...)) أي أن القدرة كلها لله وحده (٥) ومن مظاهر عزة النفس عند المؤمن بالله: ارتفاع هاماتهم من حضيض الذل والهوان، إلى منزلة الأنفة والعزة في غير كبر، وابتعادهم عن إحناء رؤوسهم أمام أي مخلوق مهما عظمت قدرته وكثر نفعه، أو استطار

-
- (١) - المودودي: الحضارة الإسلامية، مصدر سابق، ص: ١٤١.
 - (٢) - المودودي: مبادئ الإسلام، مصدر سابق، ص: ٩٤.
 - (٣) - سورة المنافقون: آية ٨.
 - (٤) - محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، م ٣، مرجع سابق، ص: ٣٨٧.
 - (٥) - المرجع السابق: م ١، ص: ١١١.

شره وعم طغيانه . لأن الذي يعرف ربه حق المعرفة يعلم أن الذين يرجو منهم الخير ويستعينهم في قضاء حاجاته أو يخشاهم كما يخشى الله تعالى أو أشد إيماناً هم لا يقلون منه حاجة إلى معونة ربهم ، ولا يملكون الضراً أو النفع لأنفسهم فما بالك يملكونه لغيرهم . (١)

قال تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ)) . (٢)
 أي أن الذين تعبدونهم من دون الله تعالى من أصنام مخلوقون أمثالكم . (٣)
 وقال أيضاً : ((قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظَرُونَ إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ)) . وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ)) . (٤)

أي قل يا محمد للمشركين استعينوا بأصنامكم علي ، وابدلوا كل جهودكم في الكيد لي ولإلحاق المنرة بي ، ولا تتأخروا عن ذلك لمرفة عين ، فإنني لا أبالي لاعتمادي على الله الذي يتولى نصري وحفظي ويتولى كل الصالحين في الدنيا والآخرة . أما ما تعبدونه أنتم من آلهة مزيفة فلا يستطيعون نفعكم ولا نفع أنفسهم . (٥)

ومن العوامل التي تبعث في النفس المؤمنة الشجاعة والعزة يقينها الكامل في أن الموت والحياة بيد الله ، هو الذي يهب الحياة وهو الذي يميت ، ولا أحد يقدر أن يحيي ويميت مخلوقاته غيره .
 وكل نفس لا يدركها الموت مهما كانت الأسباب إلا بإذن ربها . قال تعالى : ((وَاللَّهُ يَحْيِي وَيُمِيتُ)) . (٦) وقال أيضاً : ((وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُوَجَّهًا)) . (٧)

- (١) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ١٩٧ .
- (٢) - سورة الأعراف : آية ، ١٩٤
- (٣) - محمد علي الصابوني : صفة التفاسير ، مرجع سابق ، م ١ ، ص : ٤٨٨
- (٤) - سورة الأعراف : الآيات ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ .
- (٥) - محمد علي الصابوني : صفة التفاسير ، مرجع سابق ، م ١ ، ص : ٤٨٨
- (٦) - سورة آل عمران : آية ، ١٥٦ .
- (٧) - سورة آل عمران : آية ، ١٤٥ .

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية ، أنها حث على الجهاد ، وأنها إخبار عن أن الموت لا بد منه ، أيا كانت الوسيلة التي يموت بها الإنسان إذا بلغ أجله المكتوب له ، لأن معنى (مؤجلاً) إلى أجل . ومعنى (بإذن الله) بقضاء الله وقدره . وأجل الموت هو الوقت الذي في معلومه سبحانه ، أن روح الحي تفارق جسده ، ومتى قتل العبد علمنا أن ذلك أجله . (١)

عندما تستقر حقائق الإيمان المتصلة بالذات الإلهية في وعي الإنسان المؤمن وقلبه : من قوة ، وعزة ، وغلبة ، وقدرة ، ومشيئة مطلقة . الخ يستغني عن كل قوة ، أو قدرة أخرى معه في العالم ، وحينئذ لا يخضع لشيء ولا يعبد إلا الله تعالى ، ولا يعد يده إلا له ، ولا يربط مصيره في الدنيا والآخرة إلا به .

ويتحرر من الخوف ، والجبن والهلع ، وتطمئن نفسه ، وتزكو سيرته فينعكس ذلك كله على فكره ، وسلوكه ، وعمله بالثبات والخير والصلاح .

ج - التواضع : تنشأ نعمة التواضع وتنمو باستمرار في نفس المؤمن بجانب عزة النفس التي تغرسها في أعماقه المعاني الجليلة لعقيدة التوحيد فالذي يؤمن بلا إله إلا الله ، وإيمان العارف الموقن ، يكون في جميع أحواله بعيداً عن كل مظاهر التكبر والخيلاء ، أو النعنة والسلبية . ذلك أنه يعلم أن ما به من نعمة في صحته ، أو في ماله وحياته عموماً هي منحة من العزيز الوهاب ، وهو على سلبها منه إذا يشاء قدير . فأنسى الإنسان يستيقن هذا في قرارة نفسه ، ولا يفارقه الشعور به طرفة عين أن يتطرق إلى نفسه الزهو والأنفة الزائفة مهما حاز في هذه الدنيا من أسباب القوة والجاه ، والمال ، والعلم ، والكفاة ، وما إلى ذلك من العوامل التي تجعل من الكافر يطغى في الأرض ويتكبر ويشمخ بأنفه إذا حصلت له نعمة عاجلة . (٢)

(١) - الشيخ محمد كريم راجح : مختصر تفسير القرطبي ، م ١ ، ص : ٢٥٥ .

(٢) - المودودي : مبادئ الإسلام ، مصدر سابق ، ص : ٩٣ .

إذ أنه يحسب أن ماله من خير قد أوتيته على علم أو تدبير منه ، وأن
لا فضل لأحد عليه . والله تعالى ينذره من هذا اللغيان ، والاستغناء الأجوف
بأن مصيره سيؤول إليه في نهاية المطاف .

قال تعالى : ((كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَبِطْلَىٰ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَىٰ ، وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّكَ الرَّجُعَىٰ)) . (١)

إن الإنسان يتجاوز حده ويتبع هوى نفسه ، ويستكبر على خالقه عز وجل
أو على عباده إذا ما أصبح ذا مال وبنين ، أو جاه وسلطان ، وكان جاهلاً
بمصدر تلك النعمة الحقيقي ، ألا فليعلم أن مصيره إلى الله ، وأنه محاسبه
على كل كبيرة وصغيرة من أعماله . (٢)

لأنه في حقيقة الأمر والواقع أن ما بيد الإنسان من خير هو من فضل
الله تعالى : ((وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ)) . (٣)

وأنه مهما ملك الإنسان من خير ، وحاز من ثروة ، فإن نسبتها إلى خزائن
الله وملكه قليل ، بل إن الكون كله فقير إلى الله بما فيه ومن فيه إلى
فضل الله ورحمته وعونه . قال تعالى : ((مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ)) (٤)
((وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ)) (٥)

لأنه سبحانه هو الصمد الذي لا يحتاج لأحد ، وغيره محتاج إليه في وجوده و
حياته ومماته .

د - إبطال الآمال الكاذبة : يكسب الإيمان بالله المؤمن الصادق
معرفة حقيقة العلاقة بين الخالق عز وجل والعبد على الوجه الأصح الأكمل
القائم على أن لا سبيل إلى النجاة والفلاح إلا بالاعتقاد الصحيح والعمل الصالح (٦)

(١) - سورة العلق : آيات ٦ ، ٧ ، ٨ .

(٢) - محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، م ٣ ، مرجع سابق ، ص : ٥٨٢ .

(٣) - سورة النحل : آية ٥٣ .

(٤) - سورة النحل : آية ٩٦ .

(٥) - سورة محمد : آية ٣٨ .

(٦) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ١٤٤ .

وأما الركون إلى الأمانى الواهية في تحصيل الفوز يوم القيامة على أساس عقائد باطلة ، كمن يعتقد أن هناك عدة آلهة يشاركون الله في أمره وأنه من الممكن أن يشفعوا له خطاياهم عند الله . قال تعالى : ((وَيَقُولُونَ هُوَ إِلَّا شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ)) . (١)

ومنهم من يعتقد أن لله ابنا قد حمل عنهم خطاياهم وأصبح كفارة عن ذنوبهم كما يعتقد النصارى . قال تعالى : ((لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ)) . (٢)

ومنهم من يعتقد أن لهم مكانة عند الله بمنزلة الأبناء من الآباء ما ليس لغيرهم . قال تعالى : ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قَالَ فَلَيْمَ يَعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ)) . (٣)

ويرد عليهم المولى عز وجل هذا الافتراء الكاذب : إن كنتم كما تدعون أبناء الله وأحبائه ، فلِمَ أعد لكم نار جهنم لعذابكم جزاء على كفركم وافتراءكم ، بل أنتم بشر كسائر الناس فحسب . (٤) وأن ليست هناك منزلة عند الله أو حظوة ينالها إلا على أساس ميزان التقوى . قال تعالى : ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)) . (٥)

والله سبحانه وتعالى منزّه عن كل هذه الترهات والأوهام ، فهو واحد أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . قال تعالى معرفاً بذاته القدسية : ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)) (٦) ((وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا)) (٧)

(١) - سورة يونس : آية ، ١٨ .

(٢) - سورة المائدة : آية ، ١٩ .

(٣) - سورة المائدة : آية ، ٢٥ .

(٤) - محمد على الصابوني : صفوة التفاسير ، م ١ ، مرجع سابق ، ص : ٣٢٥ .

(٥) - سورة الحجرات : آية ، ١٣ .

(٦) - سورة الاخلاص : آيات ، ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٧) - سورة الاسراء : آية ، ١١١ .

أي قل يا محمد : ((الثناء الكامل لله ، الذي لم يكن له ولد
فيكون عاجزا محتاجا إلى معين ، ولم يكن له خليفة ولا ناصر يحتاج إلى نصرته
فيكون ذلك مهينا ، وعظم ربك تعظيما يليق بجلاله)) . (١)

هل بعد هذا البيان القرآني والبرهان الحاسم المقنع ، يبقى إنسان
ذو عقل وبصيرة نيرة ، يحلم بتحقيق آماله الكاذبة ، على أساس الأوهام
الباطلة القائمة على الاعتقاد الساذج أن في هذا الكون من يشارك الله
في حكمه وسلطانه على خلقه . بل الحق الذي لا مرية فيه أن الله الغني
الحميد لا معقب لحكمه ، وما لأحد من خلقه دخل في شئ في ملكوته . (٢)

هـ - الرجائية وطمأنينة القلب : يقوم رجاء المؤمن وطمأنينة
قلبه في معترك الحياة الدنيا على قاعدة الإيمان السليم والعمل الصالح
قال تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا)) . (٣)

أي أنهم آمنوا بالله إيمانا صادقا وأخلصوا العمل له ، ثم استقاموا
على توحيد الله وطاقته ، وثبتوا على ذلك حتى أتاهم الموت فتتنزل عليهم
ملائكة الرحمة تطمئنهم عند الاحتضار بأن لا تخافوا مما تقدمون عليه من
أحوال القيامة ، ولا تحزنوا على ما تركتم وراءكم من مال وبنين فنحن
نخلفكم فيه . (٤)

ومن ثمة يربي الإيمان في نفس المؤمن من الثقة بالنفس على خوض معارك
الحياة جميعها مستشعرا معية الله ورعايته وحفظه وتأييده . فتكون حافزا
له ليتغلب على اليأس والقنوط مهما تقطعت به الأسباب الظاهرية لأن أمور
المؤمن كلها متعلقة بسلامة اعتقاده ، وصفا سريره ، وحسن توكله ، وما

(١) - د . أحمد صالح رضا : مختصر تفسير الطبري ، م ١ ، ص : ٤٩٠ .

(٢) - المودودي : مبادئ الإسلام ، مصدر سابق ، ص : ٩٤ .

(٣) - سورة فصلت : آية ، ٣٠ .

(٤) - محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، م ٣ ، ص ١٢٢ .

إلنصر إلا من عند الله . قال تعالى : ((وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)) (١) . ولا يتطرق اليأس لروح المؤمن أبدا ، لأن اليأس سمة من سمات الكفار التي تؤدي بهم في بعض الأحيان إلى الانتحار عندما تنقطع بهم

الأسباب وتضيق عليهم السبل .
قال تعالى : ((إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)) (٢)
وأن المؤمن ليس له بأي حال من الأحوال أن ييأس من روح الله لأن رحمته تعالى في اعتقاده وسعت كل شيء ، فلا يقطع الأمل في عفو الله ونصرته ، بل عليه أن يتوب ويستغفر ربه كلما وقع في ذنب أو زلت به قدمه ، فعمل سؤا وظلم نفسه (٣)
قال تعالى : ((وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَأَكْتَبَهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْمِنُونَ بِالرَّكَاةِ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يَوْمُونَ)) (٤)

قال القرطبي : ((قال بعض المفسرين طمع في هذه كل شيء حتى إبليس فقال : أنا شيء فقال الله تعالى " فأكتبها للذين يتقون " فقالست اليهود والنصارى : نحن متقون ، فقال الله تعالى : " الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ " الآية . فخرجت الآية عن العموم . عن ابن عباس قال : كتبها الله عز وجل لهذه الأمة)) (٥)

ويفسح المولى عز وجل المجال واسعا أمام عباده المذنبين أن يتوبوا فيقبل توبتهم وأوبتهم إليه . ((قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)) (٦)
وظاهر الآية أنها دعوة للمؤمنين إلى عدم اليأس من رحمته لقوله (قُلْ يَا عِبَادِيَ) ، وقال ابن كثير : ((هي دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة ، وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها مهما كثرت .)) (٧)

(١) - سورة العنكبوت : آية ، ٦٩ .

(٢) - سورة يوسف : آية ، ٨٧ .

(٣) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ١٤٢ .

(٤) - سورة الأعراف : آية ، ١٥٦ .

(٥) - مختصر تفسير القرطبي ، م ٢ ، ص : ٢١٤ .

(٦) - سورة الزمر : آية ، ٥٠ .

(٧) - مختصر ابن كثير ، م ٣ ، ص : ٢٢٧ .

وعليه فسمت الرجائية التي يورثها الإيمان بالله تعالى لا تقوم على السلبية والانتكال ، بل تقوم على الاعتقاد الراسخ والإيجابية في الفكر والسلوك والعمل الصالح .

قال تعالى : ((لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا . وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِيهَا)) . (١)

إن وعد المولى عز وجل لعباده بالنعيم المقيم ، ليس سببه مجسرد

أمانى المسلمين ولا أمانى أهل الكتاب ، وإنما يحصل ذلك الوعد الصادق بالإيمان والعمل الصالح ، قال الحسن البصري : ((ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، وإن قوما ألهمتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا نحسن الظن بالله ، وكذبوا لو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل)) . (٢) وأن حكم الله وقتائه نافذ ، من يعمل سوءًا يجز به إن أجلاً أو عاجلاً ، ولا يجد من يحفظه من عذاب الله . وأما من يعمل عملاً صالحاً من ذكر أو أنثى بشرط الإيمان فإن مأواه الجنة ولا ينقص من ثواب عمله شيئاً .

و - **الصبر والتوكل** : يرتكز صبر المؤمن وتوكله على ربه على قاعدة الثقة المطلقة بالله ، والرجاء في عفوه وكرمه ومدده ، الذي لا ينضب معينه ذلك أنه لما يظلم الإنسان بمسوءه ولياته في الدنيا ابتغاء مرضاة الله ، يكون على يقين جازم من أن قوة مالك السموات والأرض تدعمه وتشد أزره في كل آن وحين .

كما يعلم علماً قاطعاً أنه لا يصيبه شيء من خير الدنيا أو شرها إلا بعلم الله وإذنه (٣) لأن علم الله تعالى محيط بكل شيء ، وأن قدرته لا يعجزها شيء . قال تعالى : ((قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ، هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)) . (٤)

أي قل يا محمد لهؤلاء المنافقين : لن يصيبنا إلا ما كتبه الله وقضاه علينا في اللوح المحفوظ ، من خير أو شر ، أو خوف أو رجاء ، أو شدة أو رخاوة

(١) - سورة النساء : الآيتان ، ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٢) - محمد علي المابوني : صفوة التفاسير ، مرجع سابق ، م ١ ، ص : ٣٠٦

(٣) - المهودودي : المصدر السابق ، ص : ١٤٨ ، ١٤٩

(٤) - سورة التوبة : آية ، ٥١ .

وهو سبحانه الناصر والحافظ ، فليفتونا المؤمنون أمرهم كله إليه ، ولا يعتمدوا على أحد سواه . (١)

إن قوة الصبر والتوكل والاستقامة على أمر الله ونهجه هي القوة العظيمة التي اتخذ منها أولوا العزم من أنبياء الله ورسله زاد الطريق الذي واجهوا به نواصب الدهر ومصاعب المكابرة والمعاندة التي جابهتهم بها أممهم ، وعلية القوم فيهم لما دعوهم إلى الإيمان بالله وعبادته وحده . قال تعالى : ((فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرِّسَالِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ)) (٢)

ز - الشجاعة والجرأة : تنشأ مع الصبر والتوكل على الله ، في شخصية المؤمن من صفة خلقية عظيمة ، هي الشجاعة والإقدام في غير تهور ، فيتغلب بذلك على دواعي الوهن ، وعوامل النعف والخور ، لما لها من أصل في قلب الإنسان كحب النفس والمال والأهل ، أو اعتقاد باطل ينطوي عليه الإنسان عندما يعتقد أن هناك ذاتا غير ذات الله عز وجل تقدر على النفع والضرر في هذه الدنيا . (٣)

وقد عالج الإيمان بالله هذا النعف البشري في النفس والاعتقاد

من زاويتين :

الأولى : ترسيخ الاعتقاد عند المؤمن بأن الله أحق بالحب من غيره . قال تعالى : ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدَّ حُبًّا لِلَّهِ)) (٤)

فمن الناس من يضيء على آلهة باطلة يعبدها بعضا من صفات الله تعالى ثم يمعن في الضلالة فيحولها بعض حقوق الخالق عز وجل . والله سبحانه وحده له الحكم والخلق في هذا الوجود وله الأمر والنهي ، وله القدرة ^{علي} أرقايسة خلقه أجمعين ، ويعلم سر وجهه كل شئ .

ومع ذلك تجد المشركين والملحدين ومن سار على نهجهم من الكفرة

(١) - محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، م ١ ، مرجع سابق ، ص ٥٤١

(٢) - سورة الأحقاف : آية ٣٥ .

(٣) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ١٥١ .

(٤) - سورة البقرة : آية ، ١٦٥ .

يستعينون بخلق آخرين ويدعونهم ، وينسبون كل أو بعض صفات المولى عز وجل إليهم . وعلى هذا الأسس يتخذونهم أندادا لله ويعظمونهم كما يعظم المؤمنون رب العالمين .

ولذلك فحق الله تعالى على عباده أن يعترفوا به سلطانا أعلى ويحنوا رؤوسهم له خضوعا وخشوعا ، ويخشونه في السر والعلن . وأما من أعطى أيا من هذه الحقوق لغيره فقد جعله ندا لله وذلك عين الشرك والكفر .

ويقتضي الإيمان من صاحبه تفضيل أمر الله ومراده على رغبة نفسه ورغبات الآخرين ، وأن يكون ذلك هو عنوان حب المؤمن لله ، وبرهانه العملي عليه حتى يكون على استعداد للتضحية من أجله تعالى بكل عواطفه ومشاعره الأخرى^(١)

والثانية : يرسخ القرآن الكريم في قرارة نفس المؤمن أن لا يخاف أحدا من دون الله ، لأنه ليست لأحد من الخلق القدرة على نفعه أو ضره وهلاكه إلا بإذن الله : ((وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ))^(٢) وأن موت الإنسان متعلق بمشيئة الله وإرادته ، فلا أحد يستطيع أن يقدم الأجل أو يؤخره . قال تعالى : ((وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُوَجَّلًا))^(٣)

ومن ثم يصبح الفرار من الموت خوفا ، ضرب من العبث لأن الأجل محدود ومن ثم فواجب الإنسان المؤمن أن يشغل باله بما يقوم به من أعمال في حياته التي منحه الله أياها . فينظر في الغرض من سعيه وكده وجهده ، أيطلب به عرض الدنيا الزائل ، ويقصر همته عليه ، أم يتوق إلى ثواب الآخرة والنعيم المقيم؟

بمعنى آخر أي النتائج يصبو إليها المرء وهو يخوض معترك الحياة ويدكح بالليل والنهار ، أيريد كسبا زائلا في الحياة الدنيا ، أم يرغب فيما عند الله في الحياة بعد الموت؟

ويعطينا القرآن صورة عملية عن الجرأة والاقتران عند المؤمنين بالله وهم يتأهبون لدخول معركة مع العدو وكلهم ثبات وتوكل على الله وعزم لا يلبين .

(١) - المودودي : تفهيم القرآن ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص : ١١٨ .

(٢) - سورة البقرة : آية ، ١٠٣ .

(٣) - سورة آل عمران : آية ، ١٤٥ .

قال تعالى : ((الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَمَاخِشُوهُمْ فَأَظْهَرُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)) . (١) والله تعالى يحزر الإنسان المؤمن من من الخوف كله إلا منه : ((... فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِيَّانَا كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) . (٢)

وهكذا يربسي القرآن في الإنسان خصلة الشجاعة والجرأة على التوازن بين عاطفة الحب والخوف والرجاء ، حب الله الذي لا يعدله حب وهو طاعة أمر الله ونهيه ، والخوف منه وحده تعالى ، أي من الإشراك به ومعصيته ، والرجاء في عفوه ورحمته ، لأن كل خير عند الإنسان آيل إلى الزوال والذي يبقى ولا ينفد هو فضل الله وخيره في الدنيا والآخرة .

ح - القناعة والاستغناء : يعمل الإيمان بالله على استكمال الشخصية الإسلامية شيئاً فشيئاً خصالها الحميدة ، من قناعة بما يسر الله للإنسان من رزق أو جاه أو سلطان ، وتصريف ذلك وفق مرضاته سبحانه ، مع الاستغناء بالله عما في أيدي الناس ، والترفع عن الدناة وعن خصال الرذيلة ، كالطمع والجشع ، والبخل والحد والحقد والبغضاء وما إليها من الصفات الخسيسة التي تنقز الإيمان وتشوه معانيه السامية . (٣)

ولأن كل جاه أو سلطان أو مال يكسبه الإنسان في حياته قليلاً وكثيره من أمر الله سبحانه . قال تعالى : ((قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) . (٤)

والمؤمن بحسب ذلك كله يعلم أن شرفه في القناعة والاستغناء بما قسم الله له ، فلا يلجأ إلى طرق دنيئة في تحصيل الجاه أو المال أو السمعة

(١) - سورة آل عمران : آية ، ١٣٣ .

(٢) - سورة آل عمران : آية ، ١٧٥ .

(٣) - المودودي / الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ١٥٤ .

(٤) - سورة آل عمران : آية ، ٢٦ .

لأنه يعتقد أن الخير كله بيد الله . في حين ترى المشركون والملحدون وعبداء الدنيا يرتكسون في أخلاقهم إلى الحضيض ، لأن عقيدتهم في الحياة تزعم أن النجاح والخران في الدنيا متعلق بمساعدة القوى الدنيوية أو مخالفتها فحسب ، ولذا تراهم عبدة الأطماع والشهوات ، فلا يتخرجون من اتخاذ كل وسيلة شريفة أو وضيعة في تحصيل مآربهم ، كالرشوة والسرقة والتزوير والغدر والخيانة . الخ . (١)

ط - التقيد بشرع الله في الحياة الاجتماعية : يتضح مما سبق أن الإيمان بالله له أثر عميق في شخصية الإنسان المؤمن ، وأن درجة المعرفة بالله عز وجل تنعكس على تفكير الإنسان وسلوكه ، وتوجهه الوجهة السليمة في بناء علاقاته الاجتماعية المتينة . بالله وقد أقام الإسلام الحياة الاجتماعية على قاعدة الإيمان كذلك لما ألزم^{المؤمنين} بتشريعات تحكم علاقاتهم وتنبت سلوكهم في كل الاتجاهات على هدى الأحكام الشرعية تحليلاً وتحريماً .

ومن أبرز تجليات الإيمان^{بالله} في الحياة الاجتماعية للمؤمنين حصول الوحدة والتعاون وإقامة صلاتهم على أسس الأخوة والمساواة فيما بينهم واتخاذ معايير الصلاح والتقوى أبرز سمات من تسند إليه الجماعة قيادتها أو تأتمنه على أمر من أمورها . وبصير العدل والرحمة والانصاف من السمات الظاهرة للمجتمع الذي يتطابق مع شرع الله ، فيحقق الازدهار المعادي ، والمعنوي ، ويحقق العزة الإيمانية بين الأمم والشعوب الأخرى . ومن المعاني الاجتماعية للإيمان ما جاء به الخطاب القرآني في قوله عز وجل : ((وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَنَحْمُ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) (٢) ، ((أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) (٣) .

(١) - المودودي : مبادئ الإسلام ، مصدر سابق ، ص : ٩٧ ، ٩٨ .

(٢) - سورة البقرة : آية ، ١١٤ .

(٣) - سورة البقرة : آية ، ١٤٨ .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد ، أنه ليس في مقدور علم أو سلطة حاكمة في الدنيا تربية أو قانونية أن تؤثر بفعالية في حياة الأفراد والمجتمعات لاجتياها ، ذلك أن القوى الدنيوية مهما كانت سيطرتها على الإنسان واسعة لا تنفذ إلى روح الإنسان ، بل لا تتحكم في جسده في كل مكان أو زمان ، بخلاف سلطان الإيمان الذي يأخذ بتلابيب شخصية الإنسان عقلا وجسدا وروحا ، ويؤلف بينها في تناغم تام ، ويكون له من التأثير عليها ما لا يمكن لغيره ، في أوضاعها الفردية والاجتماعية وفي كل الأحوال . (١)

ومن ثم فالإيمان بالله هو العامل الحاسم الذي يستطيع التحكم في النفس الإنسانية تحكما كاملا ويوجه طاقاتها توجيها إيجابيا مؤثرا ويبغ الحياة كلها بالصيغة الإسلامية ، على كل صعيد .

(١) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ١٥٦ .

ثانيًا : الإيمان بالملائكة .

١ - الإيمان بالملائكة والتوحيد : يمثل الإيمان بالملائكة فسي العقيدة الإسلامية على النحو الذي أخبرنا به الوحي الإلهي عن وجودهم وصفاتهم ، ووظائفهم ، في الدنيا والآخرة ، فائدة عظيمة للإيمان تستبعد كل شوائب الشرك ومداخله المتعددة من هذا الباب على عقيدة التوحيد الخالصة . (١)

والإيمان بالملائكة لا يقتصر على مجرد الإيمان بوجودهم فحسب ، إذ لو كان ذلك هو المقصد الأول والأخير للإسلام لتساوى مع الأديان المحرفة والأديان الوثنية التي توجد الملائكة على نحو من الأنحاء ، وقد أبطل القرآن الكريم عقائد الأديان والمذاهب المحرفة في تصوراتها عن الملائكة ، وسفه أعلامها .

لقد اعتقد فريق من الجاهلين أن الملائكة إنانا ، فرد المولى عز وجل تخمينهم هذا بقوله : ((إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمَعُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى . وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ إِنْ الظَّنَّ لَا يَغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا)) . (٢)

واعتقد بعض مشركي مكة أن الملائكة بنات الله فسه الله تعالى ادعاهم بقوله : ((أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا)) . (٣) وهو خطاب على وجه التوبيخ للعرب الذين ادعوا أن الملائكة بنات الله ، وخصهم هم بالذكر ، فكيف يجعل لهم الأعلى من النسل ويختار لنفسه الأدنى ، إنه لقول شنيع وافتراء عظيم على الله حيث ينسبون إليه ما يكرهون . (٤)

(١) - المودودي : مبادئ الإسلام ، مصدر سابق ، ص ٩٩ .

(٢) - سورة النجم : الآيتان ، ٢٧ ، ٢٨ .

(٣) - سورة الإسراء : آية ، ٤٠ .

(٤) - محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، م ٢ ، مرجع سابق ، ص : ١٦٠ .

ومن الناس من عبد الجن في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم عبدوا
الملائكة ، ويوم القيامة يطلعهم المولى عز وجل على حقيقة ما فعلوا
قال تعالى : ((وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَأِكَةِ أَمْوَالَهُمْ آيَاكُمْ
كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ
الْحَيَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مَسْمُوعُونَ)) (١) أي يوم يحشر العابدين والمعبودين
للحساب فيويخ المشركين الذين عبدوا غير الله عز وجل ، ويتبرأ الملائكة
من عبادة المشركين لهم وأنهم كانوا يعبدون الجن والشياطين ويزعمون
أنهم ملائكة . (٢)

وقد قدم القرآن الكريم تسورا صحيحا عن الملائكة يجعله ينفرد
بالحقيقة كاملة في شأنهم من دون الأديان والمذاهب الأخرى .

٢ - منزلة الملائكة في الوجود : لقد كان هدف الرسالة الخامسة هو
الدعوة إلى التوحيد الخالص وترسيخ قواعده في الناس إلى يوم الدين ،
وغلق كل المنافذ التي يتسرب منها الشرك إلى العقيدة ، فجاءت عقيدة
توحيد الله تعالى كاملة ذاتا وصفاتا ، وأفعالا ، لا تقبل زيادة ولا نقصانا .
وفي نفس السياق عرض الوحي الإيمان بالملائكة ليدعم التوحيد ، ويبطل
تخرصات المشركين (٣)

أ - تعريف الملائكة : ((الملائكة : جمع ملاك ، نقلت حركة الهمزة فيه
إلى الساكن قبله ، ثم حذفت الألف تخفيفا فنصارت ملكا ، وهو مشتق من
كلمة الألوكة التي هي الرسالة ، والجمع ملائك وملائكة)) (٤)

وخلق المولى عز وجل الملائكة من نور ، وطبعهم على الخير والطاعة
المطلقة له ، فهم لا يعرفون الشر ولا يعصون له أمرا ، وعددهم لا يعلم إلا هو
قال صلى الله عليه وسلم : ((خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجن من
مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم)) (٥)

(١) - سورة سبأ : الآيةان ، ٤١ ، ٤٢ .

(٢) - محمد عبد الله سليمان ، الأئشر : زبدة التفسير في فتح القدير ، ص : ٥٦٨ .

(٣) - الهودودي ، الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ١٦٠ .

(٤) - أبو بكر جابر الجزائري : عقيدة المؤمن ، ص : ١٩١ .

(٥) - الإمام المنذري : مختصر صحيح مسلم ، كتاب التفسير ، حديث رقم ٢١٦٩ ، ص : ٥٧٨ .

وقال تعالى : ((وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ..)) . (١)

والملائكة ليست ذرية لله تعالى ، ولا تشرك به شيئا في هذا الوجود كما ادعى المشركون ، بل هم عباد الله المكرمون خاضعون لأمره ، وليس لهم حتى القدرة على مخالفة أمره أو معصيته . قال تعالى : ((وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ، بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ)) . (٢) ((لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)) . (٣) ((فَالْمُتَدَبِّرَاتِ أُمْرًا)) . (٤)

والمديرات هي الملائكة التي تدبر شؤون الكون بأمره تعالى فهي الرياح والأمطار والأرزاق ، والأعمار ، وكل أمور الدنيا . (٥) وليست في مقدور الملائكة الخروج عن أمر الله ولو قيد أنملة ، لأن من طبيعتهم وجبلتهم الطاعة وعدم العصيان .

وظيفتهم المخصوصة العبادة والتسبيح والتقديس لا يفترون عن ذلك بالليل والنهار ولو للحظة واحدة . قال تعالى : ((وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)) . (٦) وقال أيضا : ((وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْجِرُونَ يَسْبِحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ)) . (٧)

هكذا تتحدد منزلة الملائكة في هذا الوجود كما بينها القرآن الكريم إذ لم يترك للإنسان مجالاً للإشراك بالله وعبادة غيره . فالذين ظنهم الجهلة من الناس يملكون شيئا مع الله في هذا الوجود ، أو يتصلون به بنسب كالملائكة قد ثبت كما مر في الآيات السابقة أنهم مخلوقون أمثالهم ضعفاء

(١) - سورة المدثر : آية ٣٥٤ .

(٢) - سورة الأنبياء * : الآيتان ، ٢٦ ، ٢٧ .

(٣) - سورة التحريم : آية ٦ .

(٤) - سورة النازعات : آية ٥ .

(٥) - مختصر تفسير الطبري : م ٢ ، مرجع سابق ، ص : ٥١٥ .

(٦) - سورة النحل : الآيتان ، ٤٩ ، ٥٠ .

(٧) - سورة الأنبياء * : الآيتان ، ١٩ ، ٢٠ .

لا حول ولا قوة لهم إلا بالله ، يعبدون الله ولا يعصونه أبدا . (١)

٣ - مكانة الملائكة بالنسبة للإنسان : لقد اقترن تحديد مكانة الملائكة بالنسبة للإنسان في مواضع كثيرة من الذكر الحكيم بقصة خلق آدم عليه السلام ، فحيثما تعرض القرآن لحقيقة الإنسان ، وطبيعة تكوينه ودوره في هذا الوجود والغاية من خلقه ذكر موقف الملائكة منه قبل التعرف عليه . فأستكثروا على آدم منصب الخلافة في الأرض ، وظنوا أنفسهم أقدر منه على الإيفاء بحق هذه الأمانة لما يتمتعون به من طاعة كاملة للمولى عز وجل وتسيبهم بحده وتقديسهم له . غير أنهم وقفوا موقفا آخر مغايرا بعدما دخلوا في اختبار مع آدم وتبين أنهم لا يعلمون العلم الذي زوده الله به ، فأعترفوا بفنائه عليهم ، وأدركوا مكانتهم منه .

ولما طلب الله منهم السجود لآدم سجداً إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين . وعندها استحق آدم منزلته وتعينت أسباب قدرته على تحمل مهمة الخلافة ، وتبين في المقابل قصور الملائكة عزاء هذه المهمة لافتقارهم لخاصية العلم بالذات التي خص المولى عز وجل بها آدم وحده . وهذا الأمر كفيل بمنح الإنسان عزة النفس في غير غرور تجاه سائر المخلوقات قاطبة ويوجه ما فيه من نوازع الطاعة والانقياد والعبودية لخالقه عز وجل وحده . وهذا يجعله يحتل مكانته اللائقة به في الوجود فهو سيد على الكائنات كلها ، وعبد لله في أمره كله .

وهل يعقل بعد ذلك أن يسجد الإنسان للملائكة أو يعبد أحدا غير الله في هذا الوجود بعدما تبينت منزلة كل مخلوق من الآخر ، فالكل عبيد في جهة والله هو المعبود وحده في الجهة المقابلة . ومن نعمة فكلما كان إيمان بالله قائما على أسس علمية صحيحة بوجود الملائكة وبمنزلتهم في الوجود ، ومكانتهم من الإنسان وعلاقتهم به كان أدعى لقلب الإنسان وعقله أن يتخلصا من كل شائبة من شوائب الشرك

(١) - المودودي : الحنارة الاسلامية ، مصدر سابق ، ص : ١٦١ ، ١٦٢ .

وعبادة غير الله عز وجل . (١) قال تعالى : ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ
 إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ
 وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ
 كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
 قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . قَالَ يَا آدَمُ
 أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ . وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ
 اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)) . (٢)

٤ - وظائف الملائكة في الوجود : للملائكة وظائف مختلفة في الوجود

وقد ورد في القرآن الكريم أن من أهم وظائفهم أنهم :

أ - حملة الوحي الإلهي إلى البشر : فيبلغون رسالات الله وأحكامه إلى
 الأنبياء والمرسلين بظهور طاهرة لا يخالفها كدر ولا يلتباس دجيل ، ذلك أن هؤلاء
 الملائكة يتميزون في صفاتهم بطاعتهم المطلقة لله عز وجل ويخافونه حق
 الخوف ويتنزهون عن كل رذيلة أو غرض نفسي . وقد خلقهم الباري تعالى على
 نصيب وافر من العزة، والمنعة والقوة والعظمة ، بحيث يتعذر على قوى الشر
 الشيطانية أن تدخل شيئا من الاختلال أو التحريف بالزيادة أو النقصان
 على مضمون الوحي الإلهي الذي ينزلون به على أنبياء الله ورسوله . (٣)
 قال تعالى : ((إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ
 أَمِينٍ)) (٤) ((نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ)) . (٥) أي أن هذا
 القرآن كلام الله منزل بواسطة ملك عزيز على الله هو جبريل ، شديدا
 القوة أمين على وحي الله الذي نزل به على الرسول محمد صلى الله عليه
 وسلم . وذو مكانة رفيعة ، ومنزلة سامية عند الله جل وعلا ، ومطاع في

(١) - المصدر السابق ، ص : ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٢) - سورة البقرة : الآيات ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .

(٣) - التوراة في المصاحف : ص ١٦٤ .

(٤) - سورة التكويس : آية ، ٢٠ .

(٥) - سورة الشعراء : الآيات ، ١٩٣ ، ١٩٤ .

في المذة الأعلى من قبل المذة ثكة الأبرار . (١)
 ويجعل المولى سبحانه بين يدي الرسول ومن خلفه حرسا من الملائكة
 يحرسونه من تعرض الشياطين لما أطلعهم عليه من الغيب حتى لا تسترقه
 الشياطين وتلقى به إلى الكهنة . (٢)

يترتب عن هذه الحقائق إذن أننا لإيمان بالملائكة أمر لازم للإيمان
 بالأنبياء والرسل والكتب المنزلة عليهم ، ذلك أنهم هم الوساطة بين الله
 تعالى وبين أنبيائه ورسله .
 ومن هنا كانت ضرورة أن تكون الوسيلة التي نزل بها الوحي الإلهي
 - وهي الملائكة - وسيلة صحيحة جديرة بالثقة والاعتماد خالصة من كل خيانة
 أو تدخل خارجي . (٣)

ب- تدبير شؤون المخلوقات : يتألف الوجود من عالم الغيب والشهادة
 وأن كل ما يحدث في هذا الكون المشهود من وقائع وأحداث ، يكون ضمن
 مشيئة الله وعلمه وقدرته ، لا على قاعدة (كن فيكون) التي هي الأصل
 في فعل الله تعالى : ((إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)) (٤)
 وإنما تجري الحياة في الدنيا تغيرا وتباتا على سنن إلهية فسي
 الخلق تحجب عنا فعملية الله عز وجل وراء نوعين من العلل أو الأسباب :
 النوع الأول : السنن الطبيعية : أي القوانين التي تحكم نظام الأشياء
 في خلقها وتكوينها وحركتها في عالم الشهادة ، وسعي الإنسان للدائب فسي
 الكشف عنها وتسخيرها لعمارة الأرض وبناء الحضارة الإنسانية في التاريخ .
 فيستخدم الإنسان مثلا الدواء للشفاء والحرث للنماء على قاعدة لكل
 نتيجة سبب ، وإذا أراد الإنسان معلولا فعليه أن يحصل العلة أو لا وقبل كل
 شيء .

والنوع الثاني : العلل الغيبية : وتمثلها ملائكة الرحمن التي تقف
 وراء الأحداث والظواهر الكونية المختلفة مع العلل والسنن الطبيعية
 على قدم المساواة فلو نظرنا مثلا في أسباب ظواهر كونية مشهودة ، ومحسوسة

(١) محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، م ٣ ، مرجع سابق ، ص : ٥٢٥
 (٢) - محمد سليمان عبد الله الأشقر : زبدة التفاسير ، مرجع سابق ص : ٧٧٢
 (٣) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مدر سابق ، ص : ١٦٥ .
 (٤) - سورة يسر : آية ، ٨٢ .

كالأحياء والإماتة والرزق لجميع الكائنات المخلوقة ، لوجدنا أن وراء هذه اللواهر أسبابا مادية وأخرى غيبية على النحو الآتي :

فالأحياء يتم وفق أسبابه المادية ، وبالملائكة ، وكذلك الإماتة تكون نتيجة انفصال الأسباب المادية التي كانت علة في حياة الكائن ، وبمعية الملائكة الموكلين بقبض الأرواح . وكذلك الشأن لجميع الظواهر الطبيعية فهي خاضعة للعلل الطبيعية والغيبية في آن واحد . (١)

قال تعالى : ((وَالنَّازِعَاتُ غُرُقًا ، وَالنَّاسِطَاتُ نَسِطًا ، وَالسَّابِحَاتُ سَبْحًا . فَالسَّابِقَاتُ سَبْقًا . فَالْمُدَبِّرَاتُ أَمْرًا)) . (٢) يقسم المولى عز وجل هنا بالملائكة التي تنزع أرواح الكفار نزعا بالغا مداه في الشدة والعسر ، وبالناسطات التي تنزع روح المؤمنين بسهولة ويسر سلا رفيفا وبالسابحات التي تنزل بأمر الله ووحيه من السماء كالذي يسبح في الماء مرعين لتنفيذ أمر الله وحكمه ، وبالسابقات التي تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة ، وبالمدبرات التي تدبر شؤون الكون بأمره تعالى ، وتتصرف في الرياح ، والأمطار ، والأرزاق ، والأعمار ، وغير ذلك من أمور الحياة في الدنيا . (٣)

كما تتعدى وظيفة الملائكة عالم الشهادة إلى عالم الغيب ، فينبينا القرآن الكريم أن هنالك ملائكة للجنة وأخرى للنار أهمهم الخزنة . ففي خزنة النار : قال تعالى : ((وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ)) . (٤)

وعن خزنة الجنة من الملائكة قال : ((وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)) . (٥)

(١) = فاروق أحمد دسوقي : محاضرات في العقيدة الإلهية : ص : ١١٧ .

(٢) - سورة النازعات : الآيات ، ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .

(٣) - محمد على الصابوني : صفوة التفاسير ، م ٣ ، مرجع سابق ، ص : ٥١٣ .

(٤) - سورة الزمر : الآيات ، ٦٨ .

(٥) - سورة الزمر : الآية ، ٧٠ .

ومما هو جدير بلفت الانتباه إليه في شأن الملائكة هو أن ما يقومون به من أعمال ، وتدبير شؤون الكون ، لا يعد بأي حال من الأحوال من قبيل الإغراق مع الله في ملكه ، ذلك أن ليس لهم فعل مستقل عن مشيئة الله وأفعاله ، ولا يخلقون شيئاً وهم يخلقون .

ولذلك فليس للملائكة إرادة مستقلة تصدر عنها أفعال حرة بل كل ما يجترحونه من أفعال تكون بأمر الله وتفويض منه . ومن ثم فالله تعالى ينسب لنفسه أفعال الأحياء والإماتة ، وفعل كل شيء في الوجود . ومع هذا فهو يخبرنا أن إماتة الإنسان تكون على يد ملك الموت ، ولكنها لا تتم إلا بعلم الله وقنائه . وعليه فليس للملائكة فيما يفعلون مقوماً من مقومات الفعل يجعله منسوباً إليهم . (١)

وخلاصة القول في أمر الملائكة الكرام أنهم في مملكة الله بمثابة الموظفين الرسميين في دول الدنيا وممالكها . فالله ينزل بواسطتهم عذابه أو رحمته على من يشاء من خلقه ويمنح الحياة ، ويقبض الأرواح بواسطتهم ، وينزل الغيث ويمسكه بأمر منه على أيديهم ، كما يحيي على كل إنسان في حياته كلها ما يجترحه من أعمال وأقوال بواسطتهم ، وهم لا يفتررون عن مساعدة الإنسان في قيامه بوظيفة الاستخلاف عن الله في الأرض حتى ينتهي أجله .

وبالنظر إلى الحقائق الآتفة الذكر عن عالم الملائكة ، أنا الإيمان بهم بصير جزءاً لا يتجزأ من الإيمان بالله ، وبعبارة أخرى أن الإنسان ما عليه أن يؤمن بخالق هذا الكون وحاكمه فحسب ، ((بل عليه كذلك أن يعترف بعملائه وخدامه وموظفيه)) . (٢)

وفي هذا السياق سياق الأسباب المادية ، والغيبية التي تتحرك من خلالها دورة الحياة في الوجود كله يقدم لنا أحد جنود الإيمان المعاصرين

(١) - فاروق أحمد دسوقي : محاضرات في العقيدة الإسلامية ، مرجع سابق ص ١٢٦

(٢) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ١٦٦ .

في تركيا الحديثة العلمانية سورة شاعرية عن التوحيد الحقيقي مبرزا فيها مكانة الأسباب الطبيعية في العقيدة الإسلامية ومنزلة الملائكة منها . يقول : ((أيها الغافل الطارق في عبادة الأسباب ، اعلم أن الأسباب ليست إلا ستائر أمام تصرف القدرة الإلهية ، لأن العزة والعظمة تقتضيان الحجاب أما الفاعل الحقيقي فهو القدرة الصمدانية ، لأن التوحيد والجلال يتطلبان هذا ، ويقتضيان الاستقلال .

وأعلم أن مأموري السلطان الأزلي وموظفيه - الملائكة - ليسوا هم منفذين حقيقيين لأمر سلطنة الربوبية ، بل هم دالون على تلك العظمة والسلطان ، والداعون إليها ، ومشاهدوها المعجبون ، فما وجدوا إلا لإظهار عزة القدرة الربانية وهيبتها وعظمتها ... وهم ليسوا كموظفي السلطان البشري الذي لم يعينهم ولم يشركهم في سلطته إلا نتيجة عجزه وحاجته)) . (١)

لأن الله تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، لا يحتاج إلى شيء ، وكل شيء في الوجود محتاج إليه ومفتقر إلى مدده وعونه وفضله .

(١) - بديع الزمان سعيد النورسي : حقيقة التوحيد ، ص : ٥١٦٥٠ .

ثالثا : الإيمان بالرسول

- ١ - الوحي : تبين من المبحث السابق أن من الوظائف الأساسية للملائكة حمل الوحي إلى أنبياء الله ورسوله . قال تعالى : ((يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ)) (١) تؤكد الآية على أن الله ينزل الملائكة بالوحي والنبوة بإرادته وأمره على الأنبياء والمرسلين لتعريف العباد بالله وحده في ربوبيته وعبوديته ، وحق عليهم من ثم خشيته وطاعته طاعة كاملة في أمورهم كلها .
- أ - تعريف الوحي لغة : الوحي لغة : ((الكتاب ، وجمعه ، وُحْيٌ ، مثل خَلِيٍّ وَخَلِيٍّ . وهو أيضا الإثارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقته إلى غيرك يقال : وُحِيَ إِلَيْهِ الْكَلَامُ يَحِيهِ وَحْيًا وَأُوحِيَ أَيْضًا وهو أن يكلمه بكلام يخفيه . وَأُوحِيَ اللَّهُ إِلَى أَنْبِيَائِهِ وَأُوحِيَ آسَارُ)) (٢) قال الله تعالى : ((فَأُوحِيَ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا)) (٣)
- ب - تعريف الوحي اصطلاحا : ((هو ما يوحى به الله تعالى من كلماته الصادقة في أخبارها ، العادلة في أحكامها ، بطريقة من طرق الوحي إلى من يصطفى من الناس)) (٤) .
- وقد استعمل القرآن الكريم مصطلح الوحي بهذا المعنى وكذلك السنة النبوية الشريفة . قال تعالى : ((وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)) (٥) .
- يقطع هذا النص بأنه ليس من شأن إنسان أن يكلمه الله مواجهة . . . إنما يتم

(١) - سورة النحل : الآية ، ٢ .

(٢) - محمد بن أبي بكر الرازي : مختار الصحاح ، ص : ٤٥٠ .

(٣) - سورة مريم : آية ، ١٠ .

(٤) - أبو بكر جابر الجزائري : عقيدة المؤمن ، ص : ٢٥٣ .

(٥) - سورة الشورى : آية ، ٤٢ ، ٤٩ .

كلام الله للبشر بواحدة من ثلاث: (وحيًا) يلقي في النفس مباشرة فتعرف أنه من الله ، ((أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ)) كما كلم الله موسى - عليه السلام - وحينما طلب الرؤيا لم يجب إليها .. ((أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا)) وهو الملك ، وهذا خاص بالأنبياء * . (١)

٢ - تعريف النبوة والرسالة : أ - تعريف النبوة: ((مأخوذة من النبأ بمعنى الخبر ، ومعناها وصول خبر من الله بطريق الوحي إلى من أختره من عباده لتلقي ذلك . فالكلمة إذن تفسير للعلاقة التي بين النبي والخالق جل جلاله . وهي علاقة الوحي والانباء *)) . (٢)

ب - تعريف الرسالة : ((تعني تكليف الله أحد عباده بأبلاغ الآخرين بشرع أو حكم معين . فالكلمة إذن تفسير للعلاقة التي بين النبي وسائر الناس . وهي علاقة البعث والارسال)) . (٣)

والأنبياء والمرسلون بشر كغيرهم من حيث الخلق ، إلا أنهم يمتازون بصفات خلقية ونفسية عالية تسمو بهم عن عامة الناس وخاصتهم ، ففطرتهم سليمة ، وسيرهم مستقيمة ، ونفوسهم زاكية ، وتربيتهم حسنة ، أعددهم الله لحمل النبوات ، واختارهم لتبليغ الرسالات . (٤)

وقد زود المولى عز وجل الإنسان باستعداد فطري داخلي يتمثل في طبيعته المزدوجة من مادة وروح ، وهو من خلال هذه الجبلية ينزع إلى الخير تارة وإلى الشر أخرى . كما جعل فيه قوة عاقلة مدركة تميز الأفكار الباطلة من الصالحة والأعمال الحسنة من السيئة ، مع تفاوت بين الناس في هذا الإدراك قال تعالى : ((وَلَنْفَسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ نَسَاهَا)) . (٥)

- (١) - سيد قطيب : تفسير في ظلال القرآن ، ص ٥٠٠ ، ص ٣١٦٩ .
 (٢) - محمد سعيد رمضان البوطي : كبرى اليقينيات الكونية ، ص ٥١ .
 (٣) - المصدر السابق : ص ١٥١ .
 (٤) - محمد صالح علي مصطفي : أصول التوحيد في القرآن ، ص ٢٦ .
 (٥) - سورة الشمس : الآيات ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ .

ولكن لما لم يكن هذا الإلهام الداخلي في الإنسان وقواه الواعية كافية لجعل جميع الناس يدركون الخلل من الصواب والحق من الباطل على قدم المساواة في كل زمان ومكان ، فإن الحق سبحانه أدركهم برحمته وزودهم بمصدر معصوم للعلم والمعرفة يدعم استعدادهم لاستكمال أسباب الهداية فأرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين من لدن أبي البشرية آدم إلى خاتم الأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وسلم .^(١)

قال تعالى : ((قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هَدًى فَمَنْ تَبِعَ هَدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) .^(٢)

ومن ثم يتعين الهدف من الرسالة في الإسلام بوضوح وحسم ، وهو تمكين الإنسان من الهداية الكاملة في الاعتقاد ، والتشريع ، والأخلاق ، والأعمال في الحياة الدنيا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

٣ - الفرق بين الرسول والزعيم : لم يأت على الإنسان حين من الدهر ادعى فيه أن هدايته الداخلية تغنيه عن كل هاد خارجي ، وقد شهد التاريخ مرارا وتكرارا أنه فور أمر هدايته إلى الأنبياء والرسل ، وإلى كبار شيوخ القبيلة المحنكين ، وإلى الأخبار والرهبان والكهنة ، وإلى العلماء وإلى المرشدين وإلى رجال الفلسفة والفكر ، وإلى رجال السياسة والإصلاح والثورة ، ممن يحوزون في نظره المعارف والخبرة بشؤون الحياة ، فيلسفس قياده لهم ويلبغهم فيما يأمرون .

والذي يميز الرسول عن الزعماء فيما يقدمونه من هداية وتوجيه للناس هو العلم ، الذي يتلقاه الرسول من الله تعالى ، وبه يهدي الناس إلى صراطه المستقيم . في حين أن هؤلاء الزعماء الذين لا يكون عندهم من هذا العلم شيء ، يقيمون آراءهم على أساس الظن والوهم والتخمين ، وهوى النفس ، ولذلك فما يطرحونه من تصورات اعتقادية ، ويضعون من قوانين ومناهج عملية لضبط

١١١ - المودودي : الحضارة الإسلامية ، ص : ١٦٨ .

(٢) - سورة البقرة : الآيتان : ٣٧ ، ٣٨ .

سير حياة الناس وتوجيهها . لا يكون الحق فيها خالما نقياً وإنما يكون
مختلماً مع الباطل . (١)

وإلى ذلك نبه القرآن الكريم في كثير من آياته من بينها :
((آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ
وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا
وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)) (٢)

((أَجْتَنَّا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا)) (٣)
((إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ)) (٤)
((بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ)) (٥)
((اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ)) (٦)

في حين أن منهج النبي والرسول على العلم والحكمة والبصيرة في
هداية الناس إلى الحق بعيداً عن الظن والتخمين ، والخيال . لذلك فالله
تعالى ما ذكر أحداً من خلقه شرفه بمقام النبوة أو الرسالة إلا وذكر أنه
منحه علماً وحكمة فنلى سبيل المثال لا الحصر ، هذا الخليل إبراهيم عليه
السلام يعلن عن رسالته لأبيه قائلاً : ((يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعَلَمِ
مَا لَمْ يَأْتِكَ ، فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا)) (٧) وقال الله تعالى عن لوط :
((وَلَوْطَا أَتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا)) (٨)

وقال عن موسى عليه السلام : ((وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا)) (٩)
وعن داود وسليمان عليهما السلام قال : ((وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا)) (١٠)

(١) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢) - سورة البقرة : آية ٢٨٤ .

(٣) - سورة الأعراف : آية ٦٩ .

(٤) - سورة النجم : آية ٣٣ .

(٥) - سورة الروم : آية ٢٨ .

(٦) - سورة التوبة : آية ٣١ .

(٧) - سورة مريم : آية ٤٣ .

(٨) - سورة الأنبياء : آية ٣٣ .

(٩) - سورة القصص : آية ١٣ .

(١٠) - سورة الأنبياء : آية ٧٨ .

وعن خاتم الأنبياء والرسل عليه الصلاة والسلام قال: ((وَلَيْتِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)) (١)

هذه إذن هي الفروق الجوهرية بين مكانة الرسول القائمة على العلم والحكمة الربانية والنبوة ، في مقابل مكانة الزعماء الذين يتقلبون بين الظن والتخمين وأهواء النفس ونوازع الجسد ، فشتان بين الثرى والثريا (٢)

٤ - العلاقة بين الإيمان بالله والإيمان بالرسول ^{بمخزم المورد} كما أن العلاقة بين الإيمان بالله والإيمان بالرسول مسألة بديهية لا ريب فيها ، بحيث لا يمكننا أن نتصور رسولا جاء بالهدى ودين الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إلا من عند الله سبحانه ، وعن طريق الوحي المعصوم تحد يسدا . فما دام ذلك كذلك فإنه من اللازم أن لا يصح في حق الله تعالى اعتقاد إلا الذي قد بينه الرسول من العلم في رسالته ، وعرضه على الناس ليؤمنوا به . فأيا إنسان اعتقد في ذات الله وصفاته وأفعاله تصورا قائما على مجرد التأمل والتفكير الذاتي ، أو بناء على تعاليم الحكماء والفلاسفة ورؤاهم ، فان عقيدته باطلة ، لأن قنايا الغيب وما وراء الطبيعة ومسائل الدين الأساسية المتعلقة بالحل والحرمة هي وراء متناول العقل الإنساني العام .

وبعبارة أخرى أن جملة ما نعتقده من حقائق الإيمان والإسلام ، إنما هي متوقفة في صحتها على الإيمان بالرسول .

ومن المستحيل عقلا إذا أعتدنا وسيلة غيرها وقطعنا صلتنا بها من الأساس أن نقيم تصورا بشأنها على علم صحيح (٣)

وقد بين القرآن الكريم في عديد من الآيات تلك الحقيقة بقوله: ((إِنَّمَا الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ

(١) - سورة البقرة : آية ، ١١٩ .

(٢) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٣) - نفس المصدر ، ص : ١٧١ .

نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنُكْفِرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَمْ يَفْرَقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ((١)).

إن العلاقة بين الإيمان بالله والإيمان بالرسول علاقة لا تقبل القطع أو الفصل أبداً .

والآيات السابقة من سورة النساء نزلت في حق اليهود والنصارى الذين آمنوا بأنبيائهم وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم . فجعل المولى عز وجل كفرهم ببعض الرسل كفراً بجميع الرسل ، وكفرهم بالرسول كفراً بالله تعالى ، والتفريق بين الله ورسوله أن يؤمنوا بالله ويكفروا برسوله . وكذلك التفريق بين الرسل هو الكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم . (٢)

وعقيدة الإسلام في الأنبياء والرسل هي الإيمان بهم جميعاً إلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم دون تفريق بين أحد منهم .

وقد ورد في القرآن الكريم ذكر خمسة وعشرين نبياً مرسلًا . وهو :
 إبراهيم ، لوط ، إسماعيل ، إسحاق ، يعقوب ، يوسف ، شعيب ، أيوب ، ذوالكفل موسى ، هارون ، سليمان ، داود ، إلياس ، اليسع ، يونس ، زكريا ، يحيى ، عيسى ، محمد ، عليهم الصلاة والسلام .

وهناك عدد كبير من الأنبياء والرسل لم يتعرض القرآن لذكرهم تفصيلاً ولم يحدثنا بشيء عن أخبارهم ، ولكن أخبرنا عنهم جملة ، فوجب الإيمان بهم على نحو ذلك .

قال تعالى : ((وَرَسُولًا قَدْ قَصَّصْنَا هُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرَسُولًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)) (٣).

(١) - سورة النساء : الآيات ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ .

(٢) - محمد علي الصابوني : صفوة التفسير ، م ١ ، مرجع سابق ، ص : ٣١٥ .

(٣) - سورة النساء : آية ، ١٦٣ .

٥ - الفرق بين رسالة محمد صلى الله عليه وسلم والرسول السابقين: لا فرق بين الأنبياء والرسول وبين خاتمهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم من حيث أنهم جميعا صادقين أرسلهم الله بالعلم والحكمة لهداية الناس إلى صراطه المستقيم .

ولذلك نهى القرآن عن التفريق بينهم في الإيمان من حيث منصب الرسالة (١) قال تعالى : ((لَا تَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ...)) . (٢)

غير أن الفرق بينه وبينهم من جهة الرسالة يقتضي منا طرح المقدمات التالية :

أ - من المؤكد بنصوص الكتاب أن الله تعالى قد أرسل ما بين نبي ورسول عددا كبيرا إلى أجيال البشرية المتعاقبة . قال تعالى : ((وَإِنَّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)) . (٣)

وقال أيضا : ((وَمَا كَانَ رَبُّكَ مَهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مَهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ)) . (٤) إلا أن زوال تاريخ هذا العدد الكبير من الأنبياء والرسول ، وانقراض تعاليمهم دليل على محدودية رسالاتهم من حيث الزمان والأقوام الذين بعثوا فيهم . (٥)

ب - وأما ما نعرف من الأنبياء بأسمائهم ، فقد طمس تاريخهم ، وغشي تعاليمهم ركام هائل من الخرافة ، والاشاطير والتحريف . وإن أن أبسط محاكمة علمية في ميزان النقد التاريخي لتراث أقرب الرسالات من ختم النبوة كاللتوراة والإنجيل مثلا ، يصعب إثبات صلتها بالوحي النقي ، كما يتبر من ناحية أخرى معرفة الزيف البشري والإضافات التي لحقت منمونها دون عناء يذكر .

وهذا يكفي كدليل قاطع وحده على أن الأنبياء والرسول الذين جاؤا قبل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد انتهت رسالاتهم إلى التحريف وانقضى عهد زعامتهم وهدايتهم . (٦)

(١) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ١٨٣ .

(٢) - سورة البقرة : آية ، ٢٨٤ .

(٣) - سورة فاطر : آية ، ٢٤ .

(٤) - سورة القصص : آية ٥٩ .

(٥) - المودودي : مبادئ الإسلام ، ص : ١١٢ .

(٦) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ١٨٦ .

ج - جاءت تعاليم الإسلام قبل بعثة آخر الأنبياء والرسل مختصة بالقوم الذين بعث فيهم الرسول ، وما كانت هذه التعاليم نهائية وتامة ، ولذلك فما جاء نبي إلا وأصلح تعاليم الأنبياء الأقدمين ، وأحكامهم وقوانينهم ، وطرق هدايتهم ، وحذف منها وأضاف إليها . (١)

ومن ثمة لم تكن الحاجة ماسة إلى الحفاظ على تعاليم الرسول بعد مني زمانه وتعويضها برسالة أكمل ، وهكذا حتى جاءت الرسالة الخاتمة لكل زمان ومكان وللناس كافة ، التي أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وأما ما يتعلق بالرسالة الخاتمة ، صاحبها عليه الصلاة والسلام

فيلاحظ الآتي :

- أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو وحده من بين جميع الأنبياء والرسل الذي نملك معلومات يقينة عن سيرته ، من ميلاده حتى وفاته ، بتفاصيلها ودقائقها وكأن النبي صلى الله عليه وسلم حي يتحرك بين ظهرانينا .

وأنك لا تجد شخصية في التاريخ البشري من بين الأنبياء والرسل أو

عظماة الإنسانية وزعمائها على مر العصور حفظت سيرتها ودونت في كتب التاريخ ، وتناقلتها الأجيال وحفظتها في ذاكرتها صحيحة ، غير سيرة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام .

((وللدنيا اليوم أن تشاهد سيرته وأحوال حياته في كتب السيرة والأحاديث عن كتب كما كان لها أن تشاهدها في عهده . فيصبح القول على هذا أنه إذا كان من الممكن اتباع أحد من الأنبياء وهداة الأمم على أكمل وجه وأمثلة ، فانما هو محمد صلى الله عليه وسلم لا غير . (٢)

- وأما ما جاء به من تعاليم الهداية الكاملة ، فقد حفظ لنا كما نزل عليه فمن فضل الله فان القرآن لا يزال موجودا لم يتغير منه شيء ، وبنفس الكلمات التي عرضه بها على الناس في زمن نزول الوحي .

كما أن تعاليمه الأخرى المتضمنة في سنته الشريفة مدونة في كتب الحديث على صورتها الصحيحة الأصلية . (٣) وستبقى الرسالة الخاتمة

(١) - المودودي : مبادئ الإسلام ، ص : ١١٢ .

(٢) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ١٨٢ .

(٣) - المصدر السابق ، ص : ١٨٨ .

محفوظة من كل تزييف أو تحريف أبد الدهم لأن المولى عز وجل قد تكفل بحفظها :
قال تعالى : ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) . (١)
قال القرطبي : ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ)) يعني القرآن . ((وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ)) من أن يزداد فيه أو ينقص منه ، فتولى سبحانه حفظه فلم يسزل
محفوظا ، وقال في غيره : ((يَمَا اسْتَحْفِظُوا)) فوكل حفظه إليهم فبدلوا
وغيروا)) . (٢)

لهذا الغرض لا يمكن اتباع تعاليم نبي من أنبياء الله بعد الرسالة
الخاتمة التي نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم .
- ينفرد النبي الخاتم ^{بين} من الأنبياء * والرسول بدعوى أن رسالته لجميع الناس إلى
يوم الدين . وقد دعا إلى ذلك ، ونفذه في الواقع بنفسه ، فأرسل الرسل
إلى ملوك زمانه وعظما * الأمم يدعوهم إلى الإسلام وانتهت دعوته إلى كل
ناحية من نواحي الأرض ، وهي تضم إلى الآن كل يوم مؤمنين جددا في
مختلف أصقاع المعمورة . (٣)

يتضح مجعلا مما سبق عرضه من مقدمات أن الفرق الجوهرية بين خاتم
النبيين محمد صلى الله عليه وسلم وبين إخوانه من الأنبياء * والرسول
الذين سبقوه ينحصر في :

أ - تحريف تعاليمهم وانقراض سيرتهم *
ب - وبقا * تعاليم الرسالة الخاتمة على ما هي عليه كما أنزلت ، وحفظ سيرة
صاحبها عليه الصلاة والسلام ، في صورة حية ، تمكن المؤمنين من التماس
النموذج العملي ، والاقتداء بالرسول في كل مكان وزمان .

٦ - خصائص الرسالة الخاتمة : يتوقف إرسال الأنبياء * والرسول في
الدنيا على ثلاثة أسباب لارابع لها (٤) ، والمتمثلة في الآتي :
السبب الأول : أن لا يكون قد جاء في أمة رسول لتعليمها وهدايتها بموجب
عموم القاعدة المذكورة في قوله تعالى : ((ولكل قوم هاد)) (٥) ، يدعوهم
إلى الله تعالى .

والسبب الثاني : أن يكون قد جاءها رسول ولكن يد التحريف والتزييف

(١) - سورة الحجر : آية ٩ ، ٩ .
(٢) - مختصر تفسير القرطبي ، م ٣ ، ص : ٤٣ .
(٣) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، ص : ١٨٩ .
(٤) - المودودي : الحضارة الإسلامية مصدر سابق ، ص : ١٩٠ .
(٥) - سورة الزعد : آية ٨ .

مع مرور الزمن تلحق حقائق الرسالة فتبدلها وتغيرها ، وتطمس سيـرة صاحبها ، وتكون المحصلة في النهاية تعذر اتباع الرسالة والاقتداء بالرسول .

والسبب الثالث : أن يكون تعليم الرسول ، أو الرسل السابقين ناقصا وبحاجة الى التكميل والزيادة .

وأما الرسول الذي يرافقه في دعوته رسول ثان يعضده ويصدقه في دعوته ، فهو بمثابة وزير له ، يندأزره ويشاركه في أمره كما حصل لموسى الذي دعمه الله تعالى بأخيه هارون عليهما السلام .

ومع مجيئ الرسالة الخاتمة ترتفع هذه الأسباب جميعا إلى الأبد وقد بين القرآن الكريم خصائص الرسالة الخاتمة التي أدت إلى الاستغناء عن تلك الأسباب فيما يلي :

أ - الدعوة العامة: تعتبر خاصية العموم من سمات الرسالة الخاتمة

التي تميزها عن سائر الرسالات السماوية السابقة ، قال تعالى : ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)) (١)

((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)) (٢)

نستخلص من هذه الآيات الكريمة أن دعوة الرسالة الخاتمة تركز على الحقائق التالية :

- أنها غير محدودة بزمان أو مكان ، إلى يوم الدين .
- جميع البشر على اختلاف مللهم ونحلهم على ظهر الأرض مكلفين بالإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم واتباع هديها عقيدة وأخلاقا ، وتشريعا .

- لم يبق للإنسانية في الدنيا مصدر للهداية ، غير ما تحويه رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

ب- كمال الدين: كمال الدين وتمامه هو الخاصية الثانية التي بينها

(١) - سورة الاعراف : آية ، ١٥٨ .

(٢) - سورة سبأ : آية ، ٢٨ .

قوله تعالى بشأن الرسالة الخاتمة : ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)) . (١)

أي لم يعد الدين بعد نزول الرسالة الخاتمة موزعا بين رسالاتي بل انحصر في الرسالة الخاتمة ، لأن نعمة الهداية التي كانت تنزل مبرأة على الأنبياء والمرسل السابقين ، قد نزلت بجملتها ، وبلغت ذروة الكمال والتعام بنزولها على خاتم الانبياء والمرسل عليه الصلاة والسلام . قال تعالى : ((هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى ، وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)) . (٢)

وتكون النتيجة المصاحبة لتعام الدين وكماله مع الرسالة الخاتمة بالضرورة هي : انقطاع الإنسانية عن الرسالات السابقة طاعة واتباعا ، وتوقف النبوات والرسالات مستقبلا إلى الأبد . (٣)

ج - نسخ الأديان السابقة : لا شك أن إيمان بنبوة السابقين وصدق دعوتهم على وجه الإجمال من أمور الإيمان في الإسلام إلى قيام الساعة . ومع ذلك ينبغي أن نعلم أن البشرية انقلعت عن طاعتهم واتباعهم لتعام الرسالة الخاتمة وكمالها ، وهيمنتها على ما سبق من الرسالات ، فهم ليسوا بحاجة إلى الناقص بعد أن ظفروا بالكمال ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فإن التحريف الذي لحق رسالات الأنبياء السابقين وسيرهم لم يعد من الممكن أن تتبعهم الإنسانية من خلال ذلك التراث المشوه وتقتضي أثرهم . ومن ثم فكلما ورد في القرآن الكريم بطاعة الرسول واتباع أحكامه وأوامره لا يأتي بكلمتي الرسول أو النبي إلا معرفتين بالألف واللام لتكونا خاصتين بمحمد صلى الله عليه وسلم . (٤)

قال تعالى : ((أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)) . (٥)
((مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)) . (٦)

(١) - سورة المائدة : آية ، ٤ .

(٢) - سورة التوبة : آية ، ٣٣ .

(٣) - المودودي : الحنارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ١٩٤ .

(٤) - المصدر السابق ، ص : ١٩٥ .

(٥) - سورة النساء : آية ، ٥٨ .

(٦) - سورة النساء : آية ، ٧٩ .

ولذلك يأمر القرآن الكريم الأمم التي آمنت بالأنبياء السابقين أن يؤمنوا بخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم . قال تعالى :

((الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ بِأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) . (١)

ومن ثمة فنروية نسخ الرسالات السابقة بالرسالة الخاتمة قضية لها أثرها على الإنسان في الدنيا والآخرة ، وتتصل بنجاحه في الدنيا وفلاحه في الآخرة ، وأن نجاته من عقاب الله يقوم على الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وپاعته واتباع شريعته . لأن الرسالة الخاتمة ماهي في حقيقة أمرها إلا إصلاح وإكمال لنفس الدين الذي أرسل الله به الأنبياء والرسول إلى الأمم المؤمنة بالتوراة والإنجيل وغيرها . (٢)

د - ختم النبوة : ختم النبوة هي الخاصية الأخيرة لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهي النتيجة اللازمة منتقيا لكمال الدين وتمامه من جميع جوانبه ، وقد تكفل المولى عز وجل بحفظها إلى يوم الدين . قال تعالى : ((مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)) . (٣)

وقال أيضا : ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) . (٤)

وهذا خطاب جللي إذ ليس بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ، كما حفظ المولى عز وجل رسالة النبوة الخاتمة من كل سوء ، إيذانا بغلق باب النبوة أبد الأبد ، ولا يذكر في فتحه إلا من كان قلبه مريضا ، أو في عقله زيغ وضلال . (٥)

- (١) - سورة الأعراف : آية ، ١٥٢ .
- (٢) - المودودي الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ١٩٢ .
- (٣) - سورة الأحزاب : آية ، ٤٠ .
- (٤) - سورة الحجر : آية ، ٩ .
- (٥) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ١٩٢ .

وبهذا يمكننا تلخيص الرسالة الخاتمة في الآتي ، بناءً على ما سبق من الحقائق القرآنية :

- أنها رسالة عامة للناس كافة في كل زمان ومكان .
- وأنها رسالة كاملة لا تقبل الزيادة أو النقصان .
- وأنها مهيمنة على الرسائل السابقة وناخبة لها .
- وأنها رسالة خاتمة لكمثال مضمونها: وتعامه ، وحفظ المولى عز وجل لها أبد الأبديين .

عبد القادر للعطوم الإسلامية

رابعاً : الإيمان بالكتب :

١- تعريف الكتاب لغة واصطلاحاً : أ - لغة : الكتاب لغة : ((مصدر كَتَبَ يَكْتُبُ كِتَابًا وَكِتَابًا ، إذا جمع الحروف وألف بينها فكانت الكلمة ذات معان خاصة ، ثم كون من تلك الكلمات ذات المعاني جملاً مفيدة تسمى كلاماً)) .^(١)
 ((والكتاب أيضا الغرض والحكم والقدر)) .^(٢)

ب- تعريفه اصطلاحاً : يطلق لفظ الكتاب في المعنى الشرعي على كل :
 ((كلام من كلام الله تعالى ، فيه هدى ونور ، يوحي الله به الى رسول من رسله ليبلغه للناس)) .^(٣)

والكتاب بهذا المفهوم ، بلاغ رسمي ، وكلام رباني بالفاظه ومعانيه يرسل به الرسول إلى الناس في الدنيا ليبلغه ويبين حقائقه ، ثم يجسدها في الواقع المعيش للحياة ، في صور مختلفة ، من تغيير في أفكار الناس وعواظهم ، الى تربيتهم روحياً وعملياً ، وتركيب نفوسهم ، وبذلك يخرجون إلى الدنيا كمجتمع جديد بعقلية جديدة ، وأخلاق جديدة ، وقوانين جديدة ، من شأنها أن تفرز حياة اجتماعية جديدة ، ومدنية زاهرة ، وحضارة إنسانية تشع على الدنيا بقيم الإيمان والصلاح والرشد في كل أمورها .^(٤)

٢ - العلاقة بين الرسول والكتاب : تبين في مبحث الإيمان بالرسول أن الرسول هو من يوحي إليه المولى عز وجل وحياً ويكلفه بتبليغه للناس .
 وأن كتاب الله هو وحي من الله إلى رسوله ، يقوم بالدعوة إلى ما فيه من هداية ربانية ويعمل على تجسيده في حياتهم عقيدة وتشريعاً وخلقاً .
 من هذا المتعلق لا يمكن تصور الانفصال بين الأهرين عقلاً وواقعياً ، ذلك أن كليهما من مصدر واحد . فالرسول يصفه الله ويختاره لرسالته

-
- (١) - أبو بكر جابر الجزائري : عقيدة المؤمن ، مرجع سابق ، ص : ٢٢٥ .
 (٢) - الامام محمد بن أبي بكر الرازي : مختار الصحاح ، مرجع سابق ص ٣٥٨ .
 (٣) - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : العقيدة الاسلامية وأسسها ، مرجع سابق ، ص : ٥٣٧ .
 (٤) - المودودي : الحضارة الاسلامية ، مصدر سابق ، ص : ٢٠١ ، ٢٠٢ .

والكتاب علم الله وهدايته لخلق من الناس . وعلى هذه السنة الجامعة بين الرسول والكتاب في تاريخ البشرية قد بلغها وحي الله ودينه من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء * والرسول محمد صلى الله عليه وسلم مصداقا لوعده تعالى من يوم أن خلق آدم ، وأسكنه الأرض . قال تعالى : ((قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) . (١)

ولما كانت غاية الرسول والكتاب واحدة هي، الهداية ، فإن حكمة الله عز وجل اقتضت أن تكون سلسلة الرسالة والنبوة جنبا إلى جنب مع سلسلة التنزيل . وتكون بالتالي وظيفة كل من الرسول والكتاب متكاملة ولا تغني أحدهما عن الأخرى . (٢)

لقد خلق الله تعالى الناس على نحو لا يستطيع كل واحد منهم بمفرده أن يستفيد من علم مجرد في كتاب ، ولذلك تلحظ الميل في نفوس الناس دائما إلى الاقتداء * بالرسول والعلماء ، أو أتباع القادة والزعماء بسهولة ويسر حين تتحول دعواتهم وأفكارهم إلى عمل مجسد في الواقع . بينما لو طلب منهم تجسيد الأفكار المجردة ، دون توفر نموذج عملي للقدوة ، فإن الكثير منهم لا محالة عاجز ، ولذلك ترى أن الأنبياء * والرسول ، وقادة الحركات الاجتماعية والفكرية في تاريخ البشرية عددهم قليل بينما قدراتهم وصفاتهم ومؤهلاتهم تكاد تفوق القدرات الإنسانية ، أو تبلغ درجة من الكمال والعصمة من الخطأ في تبليغ وحي الله ، كما هو الشأن عند الأنبياء * والرسول . (٣)

أ - علاقة الرسول بالكتاب في القرآن : لقد بين القرآن الكريم علاقة الرسول بالكتاب في الإسلام بيانا لا يحتاج إلى مزيد إيضاح لتلك الرابطة التي لا تنفصم في كل الأحوال والظروف ، ومن ثم وصف الرسول في آيات كثيرة

(١) - سورة البقرة : الآيات ٣٢ ، ٣٨ .

(٢) - المودودي : الحنارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ٢٠٤ .

(٣) - نفس المصدر ، ص : ٢٠٥ .

بالإمام والهادي ، فوظيفته الأساسية إذن إرشاد الناس إلى الطريق السوي في هذه الحياة .

قال تعالى : ((وَجَعَلْنَاكُمْ آيَةً يُهَدُونَ بِأَمْرِنَا)) . (١)
 ((وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)) . (٢) ، ((فَاتَّبِعْنِي أَهْدِيَكِ صِرَاطًا سَوِيًّا)) . (٣)

وأما الكتاب فقد وصف بأوصاف كثيرة : كالنور ، والضياء ، والبرهان ، والفرقان ... الخ .

قال تعالى : ((وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ)) . (٤)
 ((وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً)) . (٥)
 ((قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ)) . (٦)
 ((قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ)) . (٧)

والكتاب في يد الرسول في هذه الأحوال المختلفة هو وسيلته في هداية الناس إلى الطريق المستقيم ، لأنه النور الذي يكتشف به الطريق ، ويعرف به مجاهل ، وأحراش غابات الجهل ، والشرك ، والطرقات المعوجة الكثيرة للندال والانحراف الموازية للضراط المستقيم .

وهذه العلاقة تشير إلى حقيقة في الفطرة الإنسانية وهي أن الإنسان لا يستغني عن الرسول بمجرد أنه يملك عقلا يميز به بين الخير والشر ، ويدرك به بعض الحقائق ، ولا يستكفي بالعلم الذي يحصله في الحياة عن هداية الله ونوره . وإنما يكمل ما عنده من عقل ومعرفة باتباع الرسول وما جاء به من عند الله من علم وسراج منير ينير له معالم الطريق ، ويأخذ به إلى بر الأمان . ((فالعلاقة التي بين الهادي والسراج في الليل المظلم هي عينها بين الرسول والكتاب)) . (٨)

- (١) - سورة الأنبياء : آية ، ٧٢ .
- (٢) - سورة الرعد : آية ، ٨ .
- (٣) - سورة مريم : آية ، ٤٣ .
- (٤) - سورة الأعراف : آية ، ١٥٧ .
- (٥) - سورة الأنبياء : آية ، ٤٨ .
- (٦) - سورة المائدة : آية ، ١٧ .
- (٧) - سورة النساء : آية ، ١٢٣ .
- (٨) - المودودي الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ٢٠٥ .

وقد جاء في بعض الآيات القرآنية أنهما شيء واحد وذلك تعبيراً عن الرابطة القوية بين الرسول والكتاب . ((ولذا فإن الله عز وجل إذا كان قد شبه الرسول بشيء في موضع من كتابه فقد شبه به القرآن في موضع آخر وبالعكس)) . (١)

قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ ^{بِأَذْنِهِ} وَمَسْرَاجًا مُنِيرًا)) . (٢)

ومن نعمة كان الإيمان بالرسول والكتب كركنين هاميين من أركان الإيمان في الإسلام ، وما الفصل بينهما إلا للمجرد تأكيد أهمية كل منهما ليس إلا ((لأن التصديق بالرسول هو متضمن للتصديق بالكتاب ، والتصديق بالكتاب هو متضمن للتصديق بالرسول)) . (٣)

٣ - الإيمان بالكتب السماوية : إن الإيمان الذي يقبله عز وجل من عباده ، هو الإيمان الذي يكون صاحبه قد آمن بكل كتاب أنزله الله على أحد من رسله بما في ذلك القرآن الكريم وهو الكتاب الأخير في سلسلة كتب الله إلى الناس . وأن الإيمان بالكتب من مقتضى الإيمان بالله ورسوله .

قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا)) . (٤)

ويكون الإيمان بالكتب التي أنزلها الله قبل القرآن الكريم إيمان مجمل سواء عُرف اسم الكتاب أم لم يعرف ، وإيمان مفصل يقتصر على ما ذكره القرآن من مضمونها ، ومن ذلك : (٥)

صحف إبراهيم التي أنزلت على إبراهيم عليه السلام ، والتوراة التي

(١) - نفس المصدر : ص ، ٣٠٢ .

(٢) - سورة الاحزاب : الآيات ٤٥ ، ٤٦ .

(٣) - المودودي ، الحضارة الإسلامية ، ص : ٢٠٨ .

(٤) - سورة النساء : آية ، ١٣٥ .

(٥) - المودودي : مبادئ الإسلام ، مصدر سابق ، ص : ١٠٣ .

أنزلت على موسى عليه السلام ، والزبور الذي جاء به داود عليه السلام
والانجيل الذي أوتيته عيسى بن مريم عليهما السلام . ويقتصر الإيمان
بهذه الكتب على ما كانت عليه يوم أنزلت فحسب ، لا على ما هي عليه الآن
من تحريف وتزييف . (١)

وقد سجل القرآن الكريم هذه المعاني في خطاب موجه إلى محمد صلى
الله عليه وسلم بشأن الكتب السابقة ومنزلتها من القرآن الكريم :
((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمَعِيْمًا
عَلَيْهِ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ)) . (٢)

ومعنى ذلك أن القرآن مهيم على ما قبله من الكتب السماوية وأمين
عليها . وقد جمع الله فيه محاسنها ، وفيه من الكمالات ما ليس في غيره
وهذا ما قال به ابن كثير في تفسيره . (٣)

٤ - الإيمان بالقرآن واتباعه وحده : إن الإيمان بالقرآن الكريم
مع الكتب الآتفة الذكر من حيث أن مصدرها واحد هو الله تعالى ، قضية
مبدئية لا تتغير إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهي المقصودة في
أركان الإيمان في الإسلام .
وأما التلقي للطاعة والتنفيذ في الاعتقاد والتشريع والأخلاق ، فلا
بد من الانقطاع عن كل الكتب السابقة ، والأخذ عن القرآن وحده . وذلك لجملة
الحقائق التابتة الآتية :

أ - فقدان النسخ الأصلية للكتب السماوية السابقة وما بقي بأيدي الناس
ما هي إلا تراجمها التي ما زالت عرضة للتغيير والتبديل والزيادة والنقصان
عن طريق المجامع الكنسية كما في العهد الجديد من أناجيل التمارى . ولم
ينج من هذه العملية سوى القرآن الكريم من بين الكتب السماوية إلى اليوم
قال تعالى : ((وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ)) . (٤)
والخطاب موجه إلى محمد صلى الله عليه وسلم بتلاوة ما يوحى إليه

(١) - عبد الرحمن حسن حبنكة: للميداني: الوجيز في العقيدة الإسلامية ص ١٣٤

(٢) - سورة المائدة : آية ، ٥٠ .

(٣) - ابن كثير : تفسير القرآن ، ج ٢ ، ص : ٥٨٩ .

(٤) - سورة الكهف : آية ، ٢٧ .

ربه من القرآن الذي لا يقدر أحد على تغييره أو تبديله. (١)
 وقال كذلك من العناية بالكتاب العزيز : ((وَأَنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ
 لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)). (٢)
 يقول في سورة الحجر بتأكيد جازم : ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
 لَحَافِظُونَ)). (٣)

واضح إذن أن العناية الربانية قد تكفلت بحفظ رسالة القرآن الخاتمة
 لكمال الدين وتعامه منها ، بصورة نهائية .

في حين تشهد الكتب السابقة التي بين أيدينا اليوم كالتوراة والانجيل
 في منمنونها على أنها خليط من أهوا* أصحابها وأهوامهم .

ففيها دعوة صريحة إلى الشرك بالله ، وفيها من الخرافات والأساطير
 المتعلقة بالكون والحياة الكثير الذي يتنزه عن أقل القليل منه دين الله
 الحق . وأصدق ما توصف به أنها كتب تُخرج من النور إلى الظلمات ، وتهدى
 إلى الضلال عقيدة وشريعة وأخلاقاً . (٤)

ب- اختلط كلام الله في الكتب السابقة بكلام البشر وصرّت لا تميز بينهما
 ففي الكتاب الواحد تجد سير عظماء القوم الذين نزلت فيهم هذه الرسالة
 وسير الأنبياء ، والتفسير والأحكام الفقهية ، التي استنبطها الرهبان
 والأخبار ، أي اختلط الوحي بالفكر البشري ، حتى صار لا يعرف كلام الله
 فيه من كلام غيره . بخلاف الأمر بالنسبة للقرآن فإننا نجده منذ أن نزل
 لم يختلط بشيء من أفكار المسلمين وعلومهم ، بل لم يختلط به ما هو
 أقرب إليه من ذلك وهو حديث الرسول صلى الله عليه وسلم . (٥)

ج- لا شك أن الباحث قد يعثر على بقايا قيم الحق والخير والأخلاق الطيبة
 في هذه الكتب ، ولكن في بحر لحي من ظلمات الشرك بالله ، والافتراء والكذب
 عليه تعالى بما لم ينزل به من سلطان . في حين أن القرآن الكريم قد سلم من

(١) - محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، م ٢ ، مرجع سابق ، ص : ١٨٩

(٢) - سورة فصلت : آية ، ٤٠ ، ٤١ .

(٣) - سورة الحجر : آية ، ٩ .

(٤) - المودودي : مبادئ الإسلام ، مصدر سابق ، ص : ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٥) - المصدر السابق : ص : ١٠٥ .

هذه النقائص كلها ، (١)

وما يزال إلى اليوم بعين الأحرف والكلمات التي أنزل بها على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، لفظا ومعنى .

وقد نزل هذا الكتاب بلسان عربي مبين ، ولغته حية ، وقد حفظ القرآن ألقاظها ومعانيها . ويكتب بها الملائكة من الناس ، ويتعبدون بتلاوة القرآن ليلا ونهارا جل مسلي المعمورة .

إن الخطاب القرآني موجه إلى النوع البشري دون تخصيص لزمان أو مكان ما ، أو أمة بعينها ، بل هو دعوة إلى العالمين كافة وإلى يوم الدين . اشتمل القرآن الكريم على عناصر الهداية الربانية كلها ، في العقيدة والعبادة ، والتشريع ، والأخلاق ، وهذه ميزته على ما سبق من الرسائل السماوية ، إذ جمع ما فيها من حق وصدق وتوحيد ، وزاد عليها ما لم تعرفه من تشريعات حتى اكتمل الدين الإلهي في صورته الخاتمة وتمت نعمته على البشرية إلى يوم القيامة .

من هذه المنطلقات وجب على الناس كافة اتباع القرآن وحده ممن دون الكتب السماوية الأخرى . لأن الدين السماوي الإلهي الحق لم يعرف صورته الكاملة إلا مع رسالة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

وقد حذر المولى عز وجل من مغبة البحث عن الهداية في غير القرآن الكريم : ((وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)) . (٢)

قال الإمام الشوكاني : ((فلا دين بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم إلا دينه ، ولا نجات يوم القيامة لأحد لم يدين بدين الإسلام)) . (٣)

(١) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٢) - سورة آل عمران : آية ، ٨٥ .

(٣) - محمد سليمان عبد الله الأشقر : زبدة التفسير من فتح القدير ص ٧٧

وقد خسر القرآن الكريم في خطابه كذلك أهل الكتاب ودعاهم إلى الإيمان
بالقرآن وأتباع أحكامه و تعاليمه .

قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا
لِّمَا مَعَكُمْ)) (١)

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ
مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ
اتَّبِع رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)) (٢)

وخلاصة الأمر في هذا المبحث الهام من مباحث الإيمان وهو القرآن
الكريم قد جمع كل ما يقوم عليه بناء الإسلام كله . فمن يؤمن
بالقرآن ، فكأنه قد آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .
لوجود هذه المسائل فيه مجعلة ومفصلة . وإلى جانب ذلك جاء القرآن
الكريم بالتشريع الذي أوضح النبي صلى الله عليه وسلم معانيه وجسدها
عمليا في الواقع بأقواله وأفعاله .

وعليه إذا جمع إنسان في حياته بين الإيمان الصادق وطاعة الله
ورسوله في كل أموره اعتمادا على كتاب الله وسنة نبيه ، اعتبر مسلما
عقيدة وسلوكا .

ذلك أن هذا الجمع بين الإيمان والاتباع العملي هو الإسلام .
((فحيث وجد الإيمان ووجد معه الاتباع العملي وجد الإسلام . وحيث لم
يوجد الإيمان أو لم يوجد معه الاتباع العملي ، لم يوجد الإسلام)) (٣)

(١) - سورة النساء : آية ٤٦ .

(٢) - سورة المائدة : الآيات ١٦ ، ١٧ ، ١٨ .

(٣) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ٢١٨ .

خامسا : الإيمان باليوم الآخر :

١- أهمية الإيمان باليوم الآخر : يعد الإيمان باليوم الآخر ، أو الحياة بعد الموت خامس ركن من أركان الإيمان في الإسلام . ويحتل المرتبة الثانية في الأهمية بعد الإيمان بالله عز وجل ، ويبدو ذلك واضحا من تركيز القرآن الكريم في دعوته إليه ، مبرزا أهمية هذا اليوم والأدلة المختلفة على صدقه ، والحكمة من بعث الخلائق فيه و محاسبتهم على كل كبيرة وصغيرة ، أتوها في حياتهم الدنيا ، ومجازاتهم بعدل وإنصاف في محكمة العدل الإلهية . ثم يكون مآلهم ، إما إلى جنة ونعيم مقيم أو إلى عذاب جهنم وبئس المصير . (١)

وقد علق الاسلام إيمان المؤمن بهذا اليوم والتصديق الجازم به بدون أدنى ريب ، وأما من كفر به فلا معنى لإيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وأن أعماله ستذهب هباء منثورا مهما كانت صالحة ونافعة . قال تعالى : ((وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ)) . (٢)

لقد فطر الخالق عز وجل الإنسان على قانون الجزاء .

فالإنسان مثلا إذا طلب منه في هذه الحياة أن يقوم بعمل ما ، فإن أول ما يتبادر إلى ذهنه سوء الان :
آية فائدة عاجلة أو آجلة يجنيها الإنسان إذا قام بالعمل ؟ وآية مضرة تلحق به إن عاجلا أو آجلا إذا لم يقم بها ؟
ويكون الإقبال على العمل أو العزوف عنه تبعا لتقدير الإنسان للنفع أو الضرر الذي سيلحقه في الحالتين في العاجل والآجل .
ولذلك فإن سلوك الإنسان ، ومواقفه العملية تتأثر كثيرا ، سلبا وإيجابا وفي جميع الاتجاهات ، بنوع الاعتقاد الذي هو عليه في شأن الحياة بعد الموت (٣)

(١) - المودودي : مبادئ الإسلام ، مصدر سابق ، ص : ١١٣ ، ١١٤ .

(٢) - سورة الاعراف : آية ، ١٤٢ .

(٣) - المودودي : المصدر السابق ، ص : ١١٦ .

ويمكننا تفسير الأهمية التي أعطاها القرآن الكريم لمألة الإيمان باليوم الآخر من زاويتين: الأولى: تتعلق بلبية ما سيحدث للإنسانية جمعاء من حساب وجزاء لم تعرف له مثيلاً من قبل، وفيه يتقرر مصير المحسنين المتقين إلى الجنة، ومصير الميئين الضالين إلى عذاب السعير. والثانية أن في أصل الفطرة الإنسانية شعوراً ينبعث من نفس الإنسان ويفصح عن حقيقته في أسئلة تبحث عن جواب شاف يروي غليله.

ومن المواقف الاعتيادية للإنسان أن شعوره بالحزن في هذه الحياة يفوق شعوره بالفرح والمرة، فهو إذا حصل على شيء ينفعه قلما يهتم بمصدره، والكيفية التي وصل بها إليه، إنما يهمه ما سيحققه ذلك الكسب من متاع ولذة.

ولكن حين يفقده فجأة فسرعان ما يكتئب وتظلم الدنيا أمام عينيه ويلرح على نفسه أسئلة عديدة: كيف ناع منه؟ وأين هو الآن؟ وهل بالامكان استرجاعه ١٠٠٠ الخ؟ هذا بالنسبة للأشياء المختلفة التي يحقق الإنسان بها وجوده واستمراره في الحياة الدنيا ومعظمها متعلق بالأمور المادية، وأما إذا طرحت نفس الأسئلة، وهو يطرحها لا ريب على مستوى الوجود عن مبدأ الحياة، ومنتهاها، وهما حقيقتان ماثلتان أمامه كل حين. وأغلب الناس لا يفكر كثيراً في كيفية مجيئه إلى الحياة، بخدر ما يفكر ماذا ينتظره بعد الموت؟ خاصة وهو يرى الناس من أقربهم إليه، إلى أبعدهم عنه يموتون كل يوم وفي أصقاع الدنيا كلها ومن كل الفئات والطبقات والأعمار.

ألا تحدث كل إنسان نفسه أمام هذه الحقيقة الصارخة؟ ما هذا الموت؟ وأين يذهب الإنسان بعد عبوره عالم الدنيا؟ وأين سيستقر به المقام؟ قبل الحساب وبعده؟ كيف هي حياته الآن؟

وهناك صنف آخر من الأسئلة يراود كل إنسان في حياته القصيرة هذه فهو يعمل ويتحرك كغيره من الناس، ويرى أن كل عمل خيراً كان أم شراً يتقاضى صاحبه ثمرته من جنس العمل، فجزاء الحسنة حسنة، وجزاء السيئة سيئة مثلها.

ولكن هب أن رجلاً موثقاً منّا صالحاً قنى حياته كلها في البر والإحسان ومع ذلك كانت حياته في الدنيا تعباً ومشقة كلها ، وغادر الحياة ، فأين عاقبة أعماله ونتائجها حسب قانون الجزاء ؟

وآخر كان كافراً وفاسقاً سيئاً الأعمال ، قضى حياته كلها في الطغيان والتجبر ، وسفك الدماء وهتك الأعراس ، ومع ذلك عاش عيشة رغيدة ولم يستطع أحد في الدنيا أن يجازيه على أعماله تلك حتى جاءه الموت ؟

وإذا كان ذلك كذلك ، فهل تضيع ثمرات المحسن ؟ وتذهب أعمال الظالم دونما نتيجة بسبب انقضاء أجلهما في هذه الدنيا ؟ (١)
هذا على مستوى الأفراد والأشخاص .

وهناك أسئلة تتلحح على مستوى أعلى تتعلق بمصير هذا العالم ونهاية كل ما فيه من الكائنات على اختلاف أجناسها وأنواعها من إنسان ، وحيوان ، ونبات ، وجماد . فالظاهر للعيان أن الحياة تتجدد في كل يوم وكل فصل ، وكائنات تذهب وأخرى تأتي ، فهل سلسلة الموت والحياة هذه تبقى جارية مطردة دونما نهاية ؟

وهل عناصر الحياة في هذا الكون العظيم من ماء وهواء وحرارة ونور كلها خالدة لا يعترىها الزوال أو الفناء أبداً ؟ أليس لها أجل محدود ؟

الحقيقة أن الإجابة الشافية الكافية على هذه الأسئلة وغيرها لا توجد إلا في عقيدة الإيمان باليوم الآخر التي تضمنتها الرسالة الخاتمة . (٢)
ولكن قبل التعرض بشيء من التفصيل لعقيدة الآخرة في الإسلام يحسن بنا أن نتلحح لوجهات نظر أخرى حول المسألة ، عرفت البشرية جنباً إلى جنب مع التصور الإسلامي لعقيدة اليوم الآخر . وقد عرفت البشرية ثلاثة عقائد أساسية عن الحياة بعد الموت بما فيها عقيدة اليوم الآخر الإسلامية ، وهي :

أولاً : عقيدة إنكار الآخرة :

١- أصحاب هذا الاتجاه قديماً وحديثاً : يزعم أصحاب هذا الاعتقاد أن لا

(١) - المودودي : الحنارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢١

(٢) - نفس المصدر : ص : ٢٢٢ .

حياة بعد الموت ، ويستندون في ذلك إلى النظرية القائلة بأزلية العالم وأبديته ، وهي نظرية قديمة لدى الفلاسفة والمفكرين تقوم على الافتراض المحض . ومن الاتجاهات الفكرية الحديثة التي أخذت بهذا التصور النظرية الماركسية في أساسها الفلسفي المعروف بالمادية الجدلية ، والذي يقدم تصورا ماديا للحياة يقوم على أن المادة أزلية بلا بداية ولا نهاية، وأنها محكومة في حركتها وثباتها بمجرد قوانين تنتظم صور الحياة فيها على أساس جدلي محض .

ويترتب عن ذلك أن ليس هنالك حياة أو عالم آخر وراء الكون المادي ولا نذهب كثيرا في الجدل مع هذا الاتجاه ، إذ أن تطور العلوم الطبيعية والكونية ذاتها أبطلت التصور المادي للوجود المبني على الحقائق العلمية القديمة التي عرضت بحقائق جديدة بعد عصر الذرة والنسبية بحيث صار الاعتقاد السائد اليوم أن المادة ليست أزلية ، بل لها بداية ولا بد أن تكون لها نهاية : ((لأن قوانين الكون تدل على أن أصله وأساسه مرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة ، فهو إذن حدث من الأحداث)) . (١)

وقد يستند أصحاب هذه العقيدة في إنكار الحياة بعد الموت إلى استدلال عقلي عار من الحقيقة منطقياً . فيحتجون مثلا قائلين أنهم ما رأوا إنسانا مات وأوتي الحياة بعد موته ، بل الفناء هو قدره ومصيره ، ومن ثم فلا حاجة لنا أن نفترض حياة بعد الموت . ولكن هل هذه الحجة مقبولة عقلا وتسندها قواعد المنطق البشري ؟ نقول فالذي يستيفه العقل الإنساني بدهيا ويسير معه إلى نهايته ، هو أن الذي ليس لديه علما يقينيا بالحياة بعد الموت ، ما عليه إلا أن يقول لا أعرف ماذا بعد الموت

أما أن يدعي أنه يعرف أن لا حياة بعد الموت ، ولا يملك على ذلك دليلا واحدا ، فذاك عين الجهل ، والبلاهة ، وفقدان العقل . فلو أن رجلا قرويا

(١) - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : الوجيزة في العقيدة الإسلامية

لم يناهد في حياته نائثة بعينه وحده النار عنها فحب ، فاذا سئل قال :
لا أدري ما هي الطائفة ، ((ولكنه اذا قال أنه يعرف أن ليس في هذه
الدنيا شئ يعرف بالطائفة ، أحقه الجميع ، فانه ليس معنى عدم
روية شئ أنه لا وجود له)) .(١)

٢ - أثر اعتقاد إنكار الآخرة على أخلاق الناس وسلوكهم : إن المنكر
للحياة بعد الموت من الناس تضيق به الدنيا بما رحبت ، وتسوء أخلاقه
الى أبعد الحدود فتصير أخلاقا أنانية نفعية ، فلا يعمل عملا ، ولا يرى منه
سلوكا إلا وهو مصطبغ بروح الشر ، والمصلحة الشخصية ، وهذا الصنف من
الناس إذا وجد نفسه في حالة عسر أو ضيق ذات اليد ، ما ينفك يسقط تحت
ضربات اليأس والقنوط ، فتخور عزيمته ، ويستسلم كلية لكل عوادي الزمن
وصروفه ، ويصبح يرى بمنظار أسود كل شئ . وأن الشر في هذه الدنيا
لا فكاك منه ، وأن الخير فيها لا يكون إلا مغلوبا على أمره . وأما إذا
واتته الظروف وابيضت في وجهه الأيام ، فانه يقبل على الملذات والشهوات
يعب منها عبا بلا حذر ولا وجل .

ولا يثني إرادته عنها إلا قوة أكثر منها . كما لا يضيره إن هو ظلم
غيره أو هضم حقوقهم ليصل إلى مبتغاه ، ولا تجده يبتعد عن خلق ذميم أو
عمل شير إلا إذا خشي أن يعودا عليه بالوبال والخسران في العاجلة .

وأما العمل الصالح ، والخلق الطيب ، اللذان لا يعودان عليه بنفع مادي
مباشر فلا يقربهما ، ويعتبرهما مضيعة للوقت ، وصرف للجهد والمال فيما لا
طائل من ورائه .

وأما الأعمال السيئة والأخلاق المستقبحة التي تدر عليه نفعاً
مادياً مباشراً ، فهي في عرفه وحسبانته عين الحق والصواب .

(١) - المودودي : مبادئ الاسلام ، مصدر سابق ، ص : ١٢٠ .

تصور أن مجتمعا تسوده هذه العقيدة وتحكمه علاقات الأثرة والأنايية فان من سماته التي تبرز على طحها علاقات الصراع والتنافس المحموم على ملذات الدنيا ، فتضيع الفضيلة وتهنم الحقوق بلا أدنى ريب . والأخطر من ذلك أن معايير الخير والشر ، والحق ، والباطل ، تنقلب رأسا على عقب فيصير الخير شرا ، والشر خيرا ، والحق باطلا ، والباطل حقا ، تدور هذه القيم مع المصلحة العاجلة الآتية دورة كاملة من النقيض الى النقيض ومن نمة فلا يعد في هذه الأجواء العكر والخداع ، والمراوغة ، والكذب في عرف الناس إنما ، إلا إذا سببت للإنسان نوعا من الخسارة في ماله أو ألحقت به أضرارا جسدية . وتنقلب نفس الأخلاق إلى حق أو صواب متى ما حققت نفعا ماديا معتبرا .

في حين أن قيم الحق ، والصدق ، والاخلاص الفعلية ، اذا ما حققت لهذا الصنف من البشر بعنر المنفعة أو الخير العادي فهي مقبولة ولا مبرر للقيام للقيام بها الا على هذا الأساس ، أما اذا أصابه منها ضرر أو مجرد احتمال أن يلحقه ضرر ، فلا شأن لها عنده . أما إذا طلب منه أن يضحي بماله أو بنفسه ابتغاء مرضاة الله في الدنيا والآخرة ، فان هذا ما لا يمكنه تصوره أو قبوله .

هذه هي أخلاق إنسان وذاك هو سلوك من ينكر الآخرة ولا يرجو لقاء ربه ، ويستبعد كل نتيجة حسنة أو سيئة تترتب عن أعماله وراء هذه الحياة الدنيا . (١) وقد حدثنا القرآن الكريم عن هذه الطائفة في قوله تعالى : ((إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ)) . (٢) وقال أيضا : ((وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّمَرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ)) . (٣)

(١) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٢) - سورة المدخلان : آية ، ٢٣ .

(٣) - سورة الجاثية : آية ، ٣٣ .

ثانيا : عقيدة تناسخ الأرواح :

١ - حقيقتها وأصلها : عقيدة تناسخ الأرواح ، عقيدة تبطل الإيمان بالحياة الآخرة ، وهي تعني أن الانسان تتعاقب عليه الحياة والموت في شكل حلقة دائرية لا تنتهي في الدنيا . ومن جراثيم هذا التعاقب ينال جزاءه ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر . وهكذا فالإنسان الذي يكون عمله سيئا عندما يموت تعود روحه إلى الحياة لتحل في جسم حيوان كالقرد ، أو الكلب ، أو الهر ، أو نسي شجرة من الأشجار ، أو في صورة رجل من أخط الناس .
واما إن كانت أعماله سالحة ، ارتفعت منزلته ، وعادت روحه إلى طبقة عليا . ((وجملته القول أن ليس الجزاء ولا العقاب بموجب هذه العقيدة إلا في هذه الدنيا وفي عالم الأجداد هذا ، كأن الأرواح إنما تأتي إلى هذه الدنيا مرة بعد مرة بقوالب متغيرة لتنال الجزاء أو العقاب على أعمالها السابقة)) . (١)

وقد قال بهذه العقيدة قديما من فلاسفة اليونان (فيثاغورس) و (انبا زقلس) ، وتبعهم في ذلك كثير من فلاسفة الرومان ، ومصر القديمة قبل ميلاد المسيح عليه السلام . وتأثر بها اليهود فيما بعد . وأما بقايا هذه العقيدة فينحصر في عصرنا في ديانات الهند الأصلية كالبرهمانية والبوذية والجينية ، وفي القبائل البدائية التي تقطن غرب أفريقيا وجنوبها وأستراليا الوسطى واندونيسيا وشمال أمريكا وجنوبها عند السكان الأصليين .

٢- عقيدة التناسخ في ميزان العقل : إن كل ما تقول به هذه العقيدة ينافي حقائق العلم ، ويصادم بدهيات العقل البشري ، وببساطة يمكن محاكمة مزاعمها إلى ما يلي :

أ - ان انتقال روح الإنسان إلى الحيوان والنبات ، ثم عودتها ثانية من الحيوان أو النبات إلى الإنسان ، هكذا في حلقة دائرية مفرغة . ذلك أن

(١) - المودودي : الحنارة الاسلامية ، مصدر سابق ، ص : ٢٢٨ .

كون الإنسان إنسانا بموجب هذه العقيدة يستلزم أن يكون في حياته الماضية حيوانا أو نباتا ، والحيوان أو النبات يستلزم بدوره أن يكون في حياته السابقة إنسانا إلى ما لا نهاية له من الافتراضات ، وهذه سلسلة واهية وانح بطلانها بالبداهة العقلية .

لأنه يصعب حسب هذا الادعاء تحديد نقطة بداية الخلق ، أمن الإنسان تبدأ أم من الحيوان ، أم من النباتات ؟ ومهما كانت الإجابة من نوع معين فإن المسألة تبقى بدون حل إذ لا بد أن يكون ذلك النوع مسبقا بنوع آخر يكون نتيجة لأعماله السابقة وهكذا .. وهذا مما يخالف العقل ويناقضه (١) بـ . وأما إذا نظرنا إلى دورة التناسخ من زاوية العلوم الكونية فنجدها تبطل مزاعم هذه العقيدة المتعلقة بفكرة أزلية الدورة .

فالعقيدة التناسخ تدعي أن دورة الأرواح أبدية ومن ثمة فإن القوالب والأجساد التي تتقمصها - هذه الأرواح - من باب أولى أن تكون أزلية أبدية والنتيجة أن يكون كل شئ في هذا الكون أزليا أبديا من بحار وأنهار وشمس وقمر ... الخ .

غير أن نتشج البحث العلمي لم تدع مجالا للشك في أن هذا الكون بما فيه ومن فيه من الموجودات حادث له بداية ، وعليه فلا محالة أن تكون له في يوم من الأيام نهاية* .

ج - من الملاحظة البسيطة التي يدركها الإنسان دونما عناء أن ما يشترك فيه الإنسان مع الحيوان أو من النباتات هي الخواص المادية الجديسة لالنفسية العقلية .

ولإلماذا النفس التي كانت تدرك في الإنسان وتعقل لما حلت في الحيوان أصبحت لا تعقل ولا تعي ، بل سلبت القدرة على الحركة لما حلت في النبات .

د - إن حكم القيمة على الأعمال بالحسن أو القبح ، يفترض فيمن توصف أعماله بذلك أن يكون عمله مبنيا على الوعي والقصد والتفكير والاختيار ،

(١) - المودودي : مبادئ الإسلام ، مصدر سابق ، ص : ١٢١ .

* - انظر بحث وجود الله في صدر الرسالة ، ص ١١٩ وما بعدها .

والتمييز بين حسن الأعمال وقبيحها والقدرة على إتيان هذا العمل أو ذاك وهذه الأعمال هي التي من الممكن تصنيفها إما في جانب الحسنات أو في جانب السيئات ، ومن ثم تترتب عليها نتائج إما جزاءً وإما عقاباً . ولكن لا يمكننا أن نطلق على أعمال الحيوان أو النبات كلمة صلاح أو سوء ولا مبرر إطلاقاً أن يترتب عليها جزاء أو عقاب . ما عدا في عقيدة تناسخ الأرواح فإن للحيوان والنبات قدرة على العمل بترؤ ، وقصد وتدبير . (١)

بموجب هذه الحجج العقلية ، والعلمية لا يمكن اعتبار عقيدة تناسخ الأرواح إلا جملة من الأوهام ، والخرافات التي لا تستند إلى أدنى حقيقة كونية تدعمها فيما تزعمه من ترهات الأديان الوثنية المنحلة فكرياً .

٣ - الآثار الأخلاقية والمدنية لعقيدة التناسخ : كلما ارتقى الإنسان معرفياً وعلمياً أدرك ببداهة العقل والمنطق السوي أن عقيدة تناسخ الأرواح تمثل أدنى مرتبة من مراتب التفكير البشري ، ووجدتها عارية من كل حجة أو دليل مقنع . ولذلك تتبع علماء تاريخ الأديان مسيرتها في التاريخ فألفوها تنحسر شيئاً فشيئاً في الشعوب التي لم تدركها الحضارة والعلوم والمدنية . ولا أدل على ذلك من أن الأقوام التي ما تزال تعتنق هذه العقيدة إلى الآن ، وهي القبائل الوثنية الموعلة في الهمجية والسذاجة البعيدة عن كل أثار من أثار التعقل والتمدن ، والتي تعيش على الطبيعة في أحراش الغابات ، وتخضع في حياتها منذ القديم إلى طقوس الأديان الوثنية وأوهامها وتصوراتها الاعتقادية .

وتتميز صور الحياة لدى أصحاب هذه العقيدة بالرتابة والثبات على أنماط بدائية لقرون متتالية ، كما أنها تُميت في أتباعها همهم ، وتقتل فيهم روح التقدم ونشدان التفسير .

(١) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ٣٣١ ، ٣٣٢ .

فهذه عقيدة برهمية تدعي (أهنا) من عقائد تناسخ الأرواح ترى أن
أيذاء أي جسد ذي روح بإثم وسيئة ، ومن آثارها المدمرة في حياة أتباعها
من الهنود فقدان روح الإقدام والجنسية والشجاعة من جهة ، وحرمانها
جديداً من كل ما يغذي فيها القوى الجسمية . وينعكس ذلك على صحة أفرادها
وعلى قواهم الذهنية والفكرية ، ويكون من نتيجة هذا الضعف المضاعف أن
تضرب عليها الذلة والمسكنة ولا تحيا في الدنيا إلا مغلوبة على أمرها
وأخيراً إما أن تنقرض عن صفحة الوجود ، أو تنضوي تحت أمم غالبية قوية أخرى^(١)

وهكذا تتضافر الأوهام العقيدية وما ينتج عنها من خراب أخلاقي
وانهيار في العزائم لدى أتباع عقيدة التناسخ آثار سلبية على المدنية
والحضارة ، إذ ترتكس بكيان الإنسان كله في وحل الرهبانية والعزلة عن
الحياة ، فينعدم تأثيره في إعمار الأرض والاستفادة من السنن الكونية وتسخيرها .

ومن ثم فأصحاب عقيدة التناسخ لا يرون غناضة في الإقلاع عن الأضرار
التي يلحقونها بأجسادهم وأرواحهم من جراء اتباع هذه الأوهام كنظام لحياتهم
لأنهم قد علموا مسبقاً مصير أرواحهم التي ستحل في جسد حيوان أو نبات لا
محالة ، فيوجه هذا الاعتقاد صاحبه إلى التماهي في السفالة ، والتردي في
اليأس والانكار الروحي حتى يدركه الموت .^(٢)

ثالثاً : عقيدة الحياة الآخرة :

لقد تبين من العرض الوجيز لعقيدة إنكار الحياة الآخرة ، وعقيدة
تناسخ الأرواح ، أنهما عقيدتان لا سند لهما من المنطق العقلي ، ولا حجة
لديهما من حقائق العلم الطبيعي وأدلته . بل تضافت الأدلة العقلية
والعلمية على إبطال مزاعمهما ، كما نجل عجزهما المطلق عن الإجابة على
أسئلة الإنسان الفطرية التي تطرح عليه كل يوم ، وهو يحيا حياته التي

(١) - نفس المصدر ، ص : ٢٣٤ .

(٢) - المودودي : المصدر السابق ، ص : ٢٣٦ .

يرى فيها الكثير من صروف الزمان وتغلباته بين أقدار الخير والشر ، والحياة والموت . فيسائل نفسه كيف بدأت الحياة ؟ وما السبيل إلى سعادة أبدية ؟ وإلى أين سينتهي مصير الانسان بعد الموت؟ إلى حياة أخرى أم إلى فناء وعدم؟ كما اتضح أثر العقيدتين السيئ على أخلاق الناس وسلوكهم من أنانية أو سلبية ، الأمر الذي انعكس على المدنيات والحضارات التي دانت بهما .

فإما إلى تطور مادي قاد الإنسانية إلى مصير رهيب بفعل تطويع وسائل الدمار ، كما هو شأن الحضارة الغربية المعاصرة ، أو إلى جمود وخمول وتعطيل للطاقت الإنسانية حتى انعدم كل أثر للمدنية والحضارة وتكلمت مظاهر الحياة في صور بدائية كما هو الحال مع القبائل المنتشرة في بقاع مختلفة من العالم في أدغال الغابات منذ آلاف السنين .

ويقدم الإسلام نموذجاً ثالثاً للاعتقاد باليوم الآخر ، هو الاعتقاد الصحيح الذي يستند إلى العلم في كلياته وجزئياته ، كما يؤثر على أخلاق الناس وسلوكهم الفردي والاجتماعي تأثيراً إيجابياً ، وينعكس على المدنية والحضارة بالنماء والإعمار النافع لجميع الخلائق . حدث هذا في التاريخ أن أخرج الإيمان للناس خير أمة عرفت بالاستقامة والفعالية في دروب الحياة كلها .

١ - حقيقة عقيدة الايمان باليوم الآخر : وتقوم عقيدة الحياة بعد الموت التي دعا إليها الإسلام على حقائق بينها بطرق عديدة وأقام عليها أدلة وبراهين مختلفة وتنحصر في أن لكل مخلوق من كائنات هذا الكون أجلاً ينتهي إليه لا محالة وأن العالم بأأكمله سيدركه الزوال والفناء ، وأن الخالق عز وجل سيعوضه بنظام آخر يختلف عن سابقه في قوانينه ، وفيه سيقوم لعباده محكمة عادلة ، وسيمثل فيها كل فرد أمام ربه ليحاسبه عن أعماله التي كسبها في حياته الأولى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا عدّها عليه ثم يجزيه بذلك جزاءً أوفى ، إن خيراً فخير ، أو شراً فشر . وبالتالي يكون مصيره إما نعيماً في الجنة أو عذاباً في النار .

وجاء الإيمان في الإسلام بالحياة بعد الموت ليعقد موازنة بين حياة

الإنسان الدنيوية وحياته الأخرية موضحاً أن الآخرة خير من الأولى ، بحكم أن الحياة الأولى مؤقتة والأخرى سرمدية ، وهذه كاملة والأولى ناقصة ، وأن ما يترتب من نتائج ناقصة عن أعمال الإنسان في الدنيا لا ينسيه أنها ستتم على أكمل وجه في الحياة الآخرة . (١)

٢ - صدق عقيدة اليوم الآخر : لقد أثبت القرآن الكريم صدق عقيدة الحياة بعد الموت بأساليب مختلفة ، من الأسلوب المعتمد على الحجج العقلية إلى الأسلوب الحسي ، وإمكان ذلك في إطار القدرة الإلهية ، حتى يقيم الحجة على المفكرين ، ولا يترك لهم فرصة للتعنت والجحود والتعمادي في النلال اعتماداً على مجرد أوهام وتخربات ، لا وزن لها عند من يحكم عقله ، ويستجيب لنداء الفطرة ودلائلها المباشرة في الأنفس والآفاق .
قال تعالى : ((سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنََّّهُ الْحَقُّ)) . (٢)

أ - الأسلوب العقلي : واجه القرآن الكريم المنكرين بالحجاج العقلي كما في قوله تعالى : ((وَضَرَبْنَا لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ، أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ ، بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ، إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)) . (٣)
((وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا لَمْ نَحْنُ أَخْرَجْ حَيًّا . أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا)) . (٤)

يدعو القرآن الإنسان إلى التفكير والتأمل انطلاقاً من الآثار الكونية الماثلة بين يديه في كل لحظة ، والخاضعة لحسه وقياسه العقلي كل حين - فإذا تعذر عليه تصور البعث لما ينحل جسد الإنسان في التراب بعد الموت

(١) - المودودي : المصدر السابق ، ص : ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

(٢) - سورة فصلت : آية ، ٥٣ .

(٣) - سورة يس : آيات ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ .

(٤) - سورة مريم : الآيات ، ٦٦ ، ٦٧ .

هكذا بدون تفكير وغفلة ، فان إمكان البعث عند الله تعالى من أيسر الأمور . (١)

قال تعالى : ((وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْنَا)) . (٢)
 ((أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ)) . (٣)
 تلزم هذه الآيات العقل الإنساني بأن قدرة الخالق عز وجل التي انتقلت بهذه الكائنات من العدم إلى الوجود في البداية ، تستلزم القدرة على ذلك في النهاية . لأن أساس الإمكان والاستحالة فيهما واحد لا يختلف ولا يتعدد (٤) ويكثر القرآن الكريم من استعمال الأسلوب العقلي في اثبات مسائل العقيدة المختلفة ، ويعرف هذا الأسلوب لدى علماء السلف (قياس الأولى) وهو قياس عقلي يتم فيه ((إثبات الحكم للشيء بنا * على ثبوته لنظيره ، أو لما الشيء * أولى بالحكم منه)) . (٥)
 ومن ثمة كان استدلال القرآن على النشأة الأخرى بالنشأة الأولى أحد أدلته الكبرى على قضية إمكان الحياة بعد الموت .

ب- الأسلوب الحسي : تعرض القرآن الكريم لإمكان الحياة بعد الموت من زاوية المشاهدة الحسية لظواهر الحياة المختلفة التي تتكرر تحت سمع الإنسان وبصره في هذه الدنيا كل حين ، فيصير المعاد حقيقة عليها أكثر من دليل ونظاما للحياة يتحكم في سيرورة الكائن الحي عبر مراحل تدرجه في الوجود من المرحلة الترابية إلى أن يكون في صورة جماد أو حيوان أو نبات أو إنسان . ثم يعود إلى الحالة الترابية ثانية ويخرج منها تارة أخرى وهكذا . فهذه صورة البعث في عالم النبات تحدث كل سنة مع تعاقب الفصول ويشاهدها الإنسان في حياته مرات عديدة ، وما موت الإنسان وبعثه إلا على نفس الأسلوب ، قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ

(١) - العمودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ٢٤٣ .

(٢) - سورة الروم : آية ، ٣٦ .

(٣) - سورة ق : آية ، ١٥ .

(٤) - محمد حسين فضل الله : الحوار في القرآن ، مرجع سابق ، ص : ٩٠ .

(٥) - محمد السيد الجليند : منهج القرآن في تأسيس اليقين ، ص : ٢٦ .

لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرَّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ لِغَلَاظِمٍ لِّتَبْلُغُوا
 أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَمُوتُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ
 عِلْمِ نَحْنًا • وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ رَزْبًا وَانْبَعَثَ مِنْ
 كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٌ • ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّبُ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ • وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ)) (١)

إن خلق الإنسان من التراب وتطوره عبر مراحل تكوينه إلى أن يستوي
 بشرا واعيا مدركا لنفسه ولحقائق الوجود من حوله • وانبعثت الحياة من
 الأرض بعد الهمود ، أمور مشاهدة ومحسوسة من الإنسان في كل العصور
 على وجه الأرض • فتلك سنة تحكم الحياة باستمرار وتدل على ارادة الخالق
 عز وجل وسننه التي لا تتخلف •

((فدلالة هذه الأشوار على البعث دلالة مزدوجة •• فهي تدل على
 البعث من ناحية أن القادر على الإنشاء قادر على الإعادة ، وهي تدل على
 البعث لأن الارادة المدبرة تكمل تطوير الإنسان في الدار الآخرة •• وهكذا
 تلتقي نوااميس الخلق والإعادة ، ونوااميس الحياة والبعث ، ونوااميس الحساب
 والجزاء • وتشهد كلها بوجود الخالق المدبر القادر الذي ليس في وجوده جدال)) (٢)
 إلى هذا الحد يكون القرآن الكريم قد سار في حوار مع منكري البعث
 يستخدم الحجج العقلية تارة ، والحسية تارة أخرى في اتجاه إزالة استبعاد
 الحياة بعد الموت ، وهي نتيجة مؤكدة وملزمة لكل نبي عقل رشيد وحس سليم •
 ذلك أن حجج المنكرين واهية لا تعدو أن تكون خلاصة لقلّة النظر وقصور العقل
 وغارية من كل دليل عقلي أو حسي •

وتدل التجربة الإنسانية قديما وحديثا أن كثيرا من المخترعات أو
 المكتشفات كانت بعيدة عن تصور العقل البشري ، وقياساته ، ثم بعد ذلك ظهرت
 إلى الوجود وأصبحت حقائق في الواقع يدركها الحس والعقل معا •

(١) - سورة الحج : الآيات ، ٥ ، ٦ ، ٧ •

(٢) - سيد قلب : في ظلال القرآن ، م ٤ ، مرجع سابق ، ص : ٣٤١١ •

ولسان حال هذه المخترعات يفسح عن كونها لم تكن مستحيلة ولا غير ممكنة ، ومن ثم فليس من المعقول الحكم على شيء أنه مستحيل أو غير ممكن لمجرد أن عقل الإنسان المحدود لا يدركه . وعليه ((فإن أول خطوة لاثبات شيء إذا كان خافيا على النظر وكان وراء حدود الحواس ، أن يثبت إمكانه فالقرآن الكريم بإزالة استبعاد الحياة الآخرة بأسلوبه البليغ ، قد أثبتنا أمرا ممكنا)) . (١)

٣ - حاجة الإنسان إلى الإيمان باليوم الآخر : يرى المودودي أن التوقف عند اثبات إمكان الحياة بعد الموت ليس هو المقصد الوحيد الذي جاءت به العقيدة الإسلامية ، بل تجاوزت ذلك إلى بيان حقيقة حاجة الإنسان إلى الإيمان بهذا الركن الهام الذي له تأثير بليغ في شعور الإنسان المؤمن وسلوكه . فهو من الضوابط النفسية والروحية في بنيته الشخصية المتكاملة وتتأكد حاجة الإنسان للإيمان باليوم الآخر من عرض الحقائق التالية :

أ - نشأة نظام الكون بمقتضى الحكمة : لو لم تكن هناك حاجة ماسة في حياة الإنسان للإيمان باليوم الآخر في نظام الإسلام العقائدي لما كان لذلك مسوغ إلى إقناعه بأساليب عديدة بأهمية الإيمان بالآخرة ، وخطورة الكفر بها على مصيره الأبدي . ويتعين تحديد حاجة الإنسان للإيمان بالحياة بعد الموت الإجابة على السؤال الآتي :

هل من صانع حكيم مدبر لهذا الكون الفسيح الجميل المحكم الصنع والحركة ، أم أنه وجد لمجرد الصدفة من تلقاء نفسه ؟ دون حكمة ولا تدبير؟ إن من القائلين بوجود الكون بمحض الصدفة قديما وحديثا هم أصحاب التصور المادي للوجود ، وفي نظرهم أن هذا الكون ما صنعه حكيم مدبر ، وأن كل ما فيه من حوادث ومظاهر للحياة ستنتهي بانتهاء العلاقة القائمة على التعاون بين المادة والطاقة فحسب . (٢)

(١) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ٢٥٠ .

(٢) - المودودي : المصدر السابق ، ص : ٢٥١ .

وأن ليس لكائن كان غاية أو هدفاً من وجوده ، فالعين ليست غايتها
النظر وإنما ترتيب معين في المادة نتج عنه الإبصار ، ولا المخ وسيلة
للتفكير والتأمل ، وإنما المادة تفرز الأفكار والتأملات كما تفرز
الصقرا من الكبد .. الخ .

وحري بأصحاب هذه النظرية الكونية المادية أن لا يشعروا بأية ضرورة
أو حاجة ما إلى الحياة بعد الموت . فكل شيء جاء إلى الوجود صدفة
وعبثا ومسير كل شيء إلى الفناء .

ويمكن الحكم على هذه النظرية السانحة إلى الكون على أنها
تصورات لطفولية لا تستند إلى دليل واحد من العلم أو العقل . غير أن أصحاب
هذه الدعوى يقولون أنهم ما رأوا أحداً قد خلق هذا الكون ، وواصل تدبير
أموره ورعايتها .

ويرى المودودي أن ليس لهذا الاتجاه من دليل غير الجهل فيما يدعيه
المنكرون لخالق الكون ومدبره . وأنى للجهل أن يكون حجة لأحد فيما يزعم
((فليس الجهل بالعلة الفاعلية أو العلة الغائية في شيء بدليل كاف على
أن ليست فيه - الكون - علة فاعلية ولا علة غائية أصلاً)) (١)

فلو أخذنا آلة بسيطة الصنع كالآلة الحاسبة اليدوية ، لوجدنا أن
جملة من العلوم النظرية والتقنيات التطبيقية ، تساهم في إخراجها إلى
الوجود ، من علم المعادن إلى علوم الرياضيات ، إلى الميكانيكا ، كلها
تسهم بطريقة أو أخرى في تكوين هذا الجهاز ، المعد لإنجاز أكثر العمليات
الحسابية تعقيدا لمجرد استخدام أزراره بكل دقة وسرعة من قبل الإنسان
فإذا قال لنا إنسان ما أن هذه الحاسبة قد تكونت من تلقاء نفسها باجتماع
أجزائها صدفة من دون صانع حكيم مدبر لغير قصد ولا حكمة ولا ارادة لا ترتبنا
بلاجدال في سلامة عقله ، ولحكمتنا عليه أنه فاقد العقل بلاشك . فإذا كان
ذلك كذلك بالنسبة لآلة بسيطة ، فما قولنا في إنساناً وطائفة من الناس
يدعون أن لا خالق لهذا الكون العجيب من حولنا الذي تتعاقب فيه الشهور

والأيام والليل والنهار والفصول والسنوات بميزان دقيق وأن الحياة تنسل
الجميع في نظام محكم وفي حلته بهيئة من الرونق والجمال .
فالذي ينفي الغائبة والتدبير والقدرة الإلهية عن هذا الكون
ليس في عقله أدنى مسكة من رشد أو إدراك سليم ، والحكم عليه أنه
مختل العقل أقرب إلى الصواب والجزم بجهله أولى من الجدل معه في شيء* .

وقد أقاض القرآن الكريم في بيان صدق الحياة بعد الموت اعتمادا
على أدلة الخلق والحكمة ، والقصد ، والإرادة ، والتدبير الإلهي ، التي
تنتفي معها كل صدفة ، أو عبث في نظام هذا الكون من أصغر ذرة رمل فيه إلى
أكبر مجراته .

قال تعالى : ((أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ)) (١)
إن حكمة البعث من حكمة الخلق ، محسوب حسابها ، ومقدر وقوعها ... ولا يغفل
عن ذلك إلا من طمس بصره وغشيتته ظلمات الغفلة ، فلم يتدبر حكمة الله
الكبرى المتجلية في خلقه المبعوث في صفحات الكون وأطوار الوجود. (٢)
وقد أخبرنا القرآن الكريم أن المنكرين للبعث إن هم إلا بظنون
ولا يملكون شيئا من الحق يعضد تخرماتهم وأباطيلهم فيما يدعون قال تعالى:
((وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا
لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ، وَإِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ
حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) (٣)
ففي ظنهم أن لا حياة لهم بعد الموت ، يموتون هم ويحيا أبناؤهم
من بعدهم وهكذا. (٤) وأن مصير هذا الكون حتما سيؤول إلى زوال وأن عمره
محدود إلى أجل مسمى في علم الله جل وعلا . قال تعالى : ((مَا خَلَقْنَا

(١) - سورة المؤمنون : آية ، ١١٦ .

(٢) - سيد قطب : تفسير في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، م ٤ ، ص : ٢٤٨٢

(٣) - سورة الجاثية : الآيتان ، ٣٣ ، ٢٤ .

(٤) - محمد علي الصابوني والدكتور أحمد صالح رضا : مختصر تفسير

التبسي ، م ٢ ، ص : ٢٤٢ .

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ((١)).
 ((إِذَا السَّمَاءُ كُوِّرَتْ • وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ • وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ • وَإِذَا
 الْعِبَارُ عَطَلَتْ • وَإِذَا الْوُحُوشُ حُيِّرَتْ • وَإِذَا الْبِحَارُ سَجَرَتْ • وَإِذَا الْعُرُودُ
 سُيِّسَتْ • بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ • وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ • وَإِذَا السَّمَاءُ كُفِطَتْ)) (٢).

لقد رسم سيد قلب صورة فنية معبرة عن انهيار الكون واضطراب نظامه
 في مقدمة تفسيره لسورة التكوير بقوله :

((وهذه الأحداث الكونية النخام تشير بجملتها إلى أن هذا الكون
 الذي نعده • الكون المنسق الجميل ، الموزون الحركة ، المضبوط النسبة
 المتين الصنعة ، المبني بأيد وإحكام • إن هذا الكون سينفطر عقده
 وتتناثر أجزاؤه ، وتنهب عنه صفاته هذه التي يقوم بها ، وينتهي إلى أجله
 المقدر ، حيث تنتهي الخلائق إلى صورة أخرى من الكون ومن الحياة ومن
 الحقائق غير ما عهدت نهائيا في هذا الكون المعهود)) (٣).

أي أن هذا الزوال لا إلى العدم وإنما إلى نظام آخر ، وهذا ما يشير
 إليه قوله تعالى : ((يَتَّوَمَّ تَبَدُّلُ الْأَرْضِ غَيْرِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ
 الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)) (٤).

من هذه الحقائق تتأكد لدى الإنسان حاجته الضرورية إلى الإيمان
 بالحياة بعد الموت وأنها ألمقشبي بمصيره ولا مفزله من العثول بين يدي
 المولى عز وجل في يوم لا ريب فيه وهو مصير كل الخلائق •

ويضيف القرآن الكريم إلى وعي المؤمن وعقله حقائق أخرى تتعلق
 بطبيعة نظام الحياة الآخرة ، من شأنها أن تدعم حاجة الإنسان أكثر إلى
 الإيمان باليوم الآخر إلى جانب ما سبق من حقائق عن إمكانات هذه الحياة
 وحتميتها •

(١) - سورة الأحقاف : آية ، ٢ •

(٢) - سورة التكوير : الآيات ، من ١ إلى ١١ •

(٣) - سيد قطب : في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، م ٦ ، ص : ٣٨٣٧ •

(٤) - سورة إبراهيم : آية ، ٥٠ •

ب- نوع نظام الحياة بعد الموت: يرى المودودي من خلال استقراره لنوع نظام الحياة بعد الموت الذي يسهه القرآن الكريم بدقة متناهية في صور حية ، على أنه حالة ارتقائية لنظام الدنيا ، وتكملة لنقصها ففي نظام الحياة الآخرة يوجد المكيال والمقياس والميزان كما في الدنيا ولكن لقياس المعاني المجردة لا الأشياء المادية ، توزن فيه أعمال الانسان من خير وشر ، وإيمان وكفر ، وستقاس فيه النيات والإرادات وسائر أحوال القلوب . لا يحاسب إلا نسان على كمية الدراهم التي تصدق بها ، أو وزن الخبز الذي أعطاه للفقراء* والمساكين انما يحاسب على النية التي حملته على فعل المعروف ، (١) وهكذا .

قال تعالى : ((وَنَسِئًا لِمَوَازِينٍ لَقِيسٍ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَلَّمْنَا بِهَا حَاسِبِينَ)) . (٢)
 ((يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)) . (٣)

وهناك ستترتب على الأفعال نتائجها الحقيقية كاملة كما يقضي بها العدل والعقل ، ولا دخل للأسباب المادية في تعطيل تلك النتائج كما يحصل في الحياة الدنيا من تعطيل للجزء المكافي* للأفعال . فمثلا جناح الإنسان وقوته وسلطانه ، وعصبته ومكانته الاجتماعية ، وكل إمكانياته المادية قد تنقذه من كثير من أعماله المنافية للعدل والحق والعقل ، في هذه الدنيا . ولكن تأثيرها سينعدم مفعوله في نظام الحياة الآخرة ، فلا يترتب عن كل فعل أو قول إلا النتيجة التي تناسبه بمقتضى العدل الإلهي والحق والسواب . (٤)

قال تعالى : ((يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)) (٥)

(١) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ٢٦٠ .

(٢) - سورة الأنبياء : آية ، ٤٧ .

(٣) - سورة الزلزلة : الآيات ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ .

(٤) - المودودي : المصدر السابق ، ص : ٢٦٢ .

(٥) - سورة الشعراء : الآيات ، ٨٨ ، ٨٩ .

((وَوَقَّيْتُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)) (١).

ولا ينال كل شخص جزاءه في نظام الآخرة إلا عن عمله تبعا لحسنه أو قبحه

الذاتي .

قال تعالى : ((أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ)) (٢).

((أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)) (٣).

((وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ)) (٤).

((وَأَزَلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَافِلِينَ)) (٥).

هذا هو نظام الآخرة الذي دعا إليه جميع أنبياء الله ورسله من لدن

آدم إلى آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم . وهو نظام تقبله فطـرة

الإنسان السليمة بلا التواء ولا تمحل ، لأنه عين العدل والقسط والحكمة

والصواب .

٤ - الأثر التربوي للإيمان بالحياة بعد الموت : تفصي المودودي

الأثار المباشرة وغير المباشرة لعقيدة الإيمان بالحياة بعد الموت على

شخصية المؤمن من خلال ما يعرضه القرآن الكريم من أحوال المؤمنيين ،

مبرزاً ذلك في الآتي :

أ - إثارة الحياة الآخرة : من الحقائق الأولى الاعتقادية التي يرسخها

الإيمان في قلب المسلم ووعيه ، هي بيان منزلة الحياة الدنيا المؤقتة

الفانية من الحياة الآخرة الباقية . ومنافع هذه الأخيرة أعظم المنافع

ومضارها أشد وأبقى . (٦)

(١) - سورة آل عمران : آية ، ٢٥ .

(٢) - سورة ص : آية ، ٢٧ .

(٣) - سورة الباقية : آية ، ٢٠ .

(٤) - سورة الأنعام : آية ، ١٣٣ .

(٥) - سورة الشعراء : الآيتان ، ٩٠ ، ٩١ .

(٦) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ٢٧٥ .

وكل الذين يؤمنون الدنيا على الآخرة وينحرفون مع لذاتها ومباهجها وشهواتها يعبون منها عبا ، هم أحد السنقين من الناس :

الصنف الأول : مؤمن بالآخرة لكنه غافل ، وسادر في غيه ، يتبع هوى نفسه وغواية الشيطان ، ويتمنى على الله أن يغفر له خطاياہ وينجيه من عذابه ولو صحت عزيمته وحسنت نيته لقدم للآخرة زادا من دنياه .

والصنف الثاني : كافر بالله وباليوم الآخر ، اتخذ من الدنيا كل همه ومبلغ علمه ، لا يرى خسارة إلا إذا حرم لذة من لذات النفس أو الجسد ، ولا يقر نجاحا إلا إذا أصاب من الخيرات العادية قسطا كبيرا .

وكل من سلك هذا السبيل ، سبيل الغفلة ، أو سبيل الغواية ، وفضل الدنيا على الآخرة عد في ميزان القرآن خاسرا خسرانا مبينا .

وأبي علم هذا أو رجحان عقل يفضل معهما الإنسان ما هو زائل على ما هو باق .

وهناك صنف ثالث من المؤمنين باليوم الآخر ، يخافون يوما تتقلب فيه الأبصار ، يسارعون في الخيرات ، ابتغاء مرضاة الله ، وامتنالا لأمره يسخرون كل طاقتهم ، وما يملكون ، من جاه أو سلطان ، أو مال في سبيل الله ، يريدون ما عنده لأنهم يعلمون أن ما عندهم ينفد ، وما عند الله باق .

ومع تفضيل القرآن الكريم للحياة الآخرة على الأولى ، فإن ذلك لا يعني ازدراء الدنيا وجعلها غير ذات جدوى ، وإنما بين مكائنتها ، ومنزلتها من أنها زائلة بما فيها ومن فيها إلى دار الخلد والبقاء . ومع ذلك فهي مزرعة الإنسان وموطن ابتلائه ، بالشر والخير ، والفرصة السانحة أمامه لكسب العمل الخير في هذه الحياة لكي يجني ثمار أعماله ان خيرا فخير ، أو شرا فشر ، في الدار الثانية .

وهكذا فبيان منزلة الدنيا من الآخرة للمؤمن إقرار لحقيقة لامرئية فيها ، وأن أثر ذلك سينعكس لا محالة على فكر الإنسان المؤمن ، وسلوكه في الحياة ، وأن اليقين بحقيقة اليوم الآخر سينمي الجوانب الإيجابية ، والطيبة في المؤمن فتظهر في أقواله وأفعاله وحركته الإيجابية آثار ذلك واضحة جلية .

ومن كان مؤمناً ببقاء الله وإيماناً صادقاً فإن من ثمرات ذلك ففي حياته الدنيا أن يأتي الأعمال الصالحة في معظم أحواله وأن يجعل عقيدة توحيد الله وعبادته أموراً لا تتخلف لديه في كل شؤونه وأوضاعه .
قال تعالى : ((فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)) . (١)

ب- الحساب والجزاء * على الأعمال : إنها الحقيقة الثانية التي ركز القرآن على إبرازها في آيات عديدة وبأساليب مختلفة هي أن كل انسان تحصى عليه أعماله في هذه الدنيا كبيرا وصغيرا ، جليلا وحقييرا ، من الحسنات والسيئات على السواء . ويوم القيامة يجدها أمامه في كتاب لا يفاد صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها . (٢)

قال تعالى : ((وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا . اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا)) (٣)
ويوم يعرض الإنسان على محكمة العدل الإلهية ، تشهد عليه أعضاءه من لسان ويد ورجل بما اجترحت من عمل .

قال تعالى : ((يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) . (٤)

ثم توزن على الإنسان أعماله في ميزان القسط والعدل المطلق ، فتوضع حسناته في كفة ، وسيئاته في كفة ، فإن رجحت كفة الحسنات أدخل الجنة ، وإن رجحت كفة السيئات ألقي في النار .

قال تعالى : ((وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ)) . (٥)

- (١) - سورة الكهف : آية ، ١٠٥ .
(٢) - المودودي : مبادئ الاسلام ، مصدر سابق ، ص : ١٢٢ .
(٣) - سورة الاسراء : الآيات ، ١٣ ، ١٤ .
(٤) - سورة النور : آية ، ٢٤ .
(٥) - سورة الانبياء : آية ، ٤٧ .

وقال كذلك : ((فَأَمَّا مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمَّهُ هَارِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ نَارٍ حَامِيَّةٍ)) . (١)

ويكون ثواب الإنسان أو عقابه على قدر عمله .

قال تعالى : ((الْيَتِيمَ تَجْزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)) . (٢)
 ((وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلْتُمْ)) . (٣)

هذه بعض مناهد محكمة العدل الإلهي وما يجري فيها يوم يجمع الله الخلائق ويقيم الميزان بالقسط ، لا يظلم أحدا ، ويعطي كل ذي حق حقه ، فلا إمكان أن يظلم فيها الميبي من عقاب الله ولا المحسن من ثوابه . (٤)

على هذه الأسر يبذر الإيمان نبال يوم الآخر في روع المؤمن من حقائقه ، ويرعاها بالنماء ، ترهيبا وترغيبا حتى تلسس النفس قيادها لضوابط الشرع في أوامره ونواهيه ، فيستقيم حال الإنسان على جميع المستويات الفردية والاجتماعية على نهج الله ورسوله وتنمو الحياة ، وتزدهر في ظل ذلك عمارته للأرض ، ويتحقق بالخلافة عنه في إدارة شؤون الدنيا وفق مرضاته عز وجل .

يوم الإسلام

-
- (١) - سورة القارعة : الآيات ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ .
 (٢) - سورة الجاثية : آية ، ٢٧ .
 (٣) - سورة الأنعام : آية ، ١٣٣ .
 (٤) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ٢٨١ .

الفصل الثالث

النظرية السياسية في فكر المودودي

أولاً : مؤثرات في فكره السياسي :

١ - المؤثرات التاريخية : احتلت المألة السياسية حيزاً كبيراً من فكر الأستاذ المودودي لأسباب تاريخية تتعلق بانهيار كيان المسلمين السياسي على المستوى العالمي، ولأسباب مهنية تتعلق به كخص مارس من منذ نعومة أظفاره مهنة الصحافة وانفتح وعيه مبكراً على هموم الأمة المتضغفة من قبل الغرب، وشارك في معظم تحركاتها السياسية في الإبان بغية رفع التحدي التغريبي والتفسيخي الذي قضى على الخلافة العثمانية وأمعن في تمزيق المسلمين وتجزئتهم إلى كيانات كثيرة .

٢ - المؤثرات الفكرية : كما عمقت في وعيه القراءة الجديدة للإسلام وأوضاع المسلمين المتردية الروية الحقيقية لحجم الهوة التي تفصل الإسلام عن المسلمين مما جعلته يندّر نفسه إلى ضرورة القيام بواجب الدعوة الإسلامية وإعادة الصلات التي فقدت بين حياة المسلمين ورسالة الإسلام مركزاً على قراءة للعقيدة الإسلامية تبرز مكانة الإنسان المسلم في الحياة وغايتها التي يكدح للوصول إليها ، مع ربط ذلك بالتوحيد الذي هو جوهر الإسلام ومركز حركة الإنسان المؤمن في التاريخ .

٣ - المؤثرات السياسية : وقد تغلن المودودي إلى شرور الاستعمار الانجليزي وحاربها بكل ما يملك من قواه الفكرية والعملية ، كما لم تفتسه نذر الحركة الهندكية التي كانت تقود حركة الاستقلال في الهند بزعامة حزب المؤتمر ذي الأغلبية الهندوكية على الأقلية الإسلامية مستقبلاً .^(١) وقد كان طموح الحركة السياسي يهدف إلى بناء هند مستقلة واحدة على أساس الديمقراطية الغربية العلمانية ، انطلاقاً من أنوحدة الأرض تكفي.

(١) انظر الفصل الثاني من الباب الأول من هذه الرسالة .

في إقامة قومية واحدة لعموم سكان الهند ، بغض النظر عن اختلافاً دينية واللغوية ، والثقافية .^(١)

وقد كانت الحركة الوطنية الهندية أكثر نشاطاً وحيوية من غيرها من الجماعات الأخرى مما جعلها تؤثر في الناس إلى حد أن رأى فيها الجميع المخلص الوحيد للهند من الاستعمار الانجليزي ، ولذا يجب دعمها والاضواء تحت لوائها . وقد ذهب إلى هذا الرأي كثير من خاصة المسلمين وعامتهم . ((وكان هذا هو السبب الذي دفع جماعة كبيرة مخلصاً لعقيدها ودينها من علماء الهند وقادتها السياسيين للانضمام أيضاً إلى حزب المؤتمر .))^(٢)

وأمام هذا التحدي الخليلي نظر الإمام المودودي ملياً في مآلات هذا القرار السياسي وآثاره الوخيمة على مستقبل المسلمين في الهند بعد الاستقلال ، ووصل إلى قناعة مؤكدة بأكثر من دليل أن مستقبل الإسلام في الهند تحفه أخطار أكبر من التي تعرض إليها على عهد الاحتلال الانجليزي . وذلك لأن حزب المؤتمر الهندي حزب علماني يتبنى النظريات الغربية والأفكار الملحدة . فبأي أسلوب يتقبل المسلمون داخله ما يتناقض صراحة من مبادئه مع عقائد الإسلام وقيمه وشريعته ؟ وكيف يمكن كذلك إسناد مهمة وضع قوانين تنظم حياة المسلمين على أساس وضعي بحت وبمشاركة الهنادكة في مؤسسات دولة الوحدة الوطنية؟ أيعقل بعد هذا كله أنه من الممكن المحافظة على بقاء عامة المسلمين داخل حدود الثقافة الإسلامية بمرور أجيال متعددة ؟ وهل ستبقى لخاصتهم في هذا المحيط وظيفية غير تضييع دينهم ودنياهم معا بهذا الاجراء الأحمق ؟ ومن ثم فإذا كان واجب المسلمين هو تحليم السيطرة الانجليزية ، فإنه لا يجوز بالمقابل المساهمة في إقامة حكومة وطنية تقوم على نفس الأسس التي وضعها الانجليز للحكم . بمعنى آخر تقضي على باطل ثم تقيم مكانه باطلاً أسوأ منه .^(٣)

وفي تلك الاثناء كان حزب الرابطة الإسلامية بقيادة محمد علي جناح

(١) - د . محمد عمارة : المودودي والصحة الإسلامية ، ص : ٢٦ .

(٢) - المودودي : المسلمون والصراع السياسي الراهن ، ص : ٣٢ .

(٣) - نفس المصدر ، ص : ٣٣ .

ينم كذلك أغلبية سكان الهند من المسلمين وكانت دعوة هذا الحزب تقسوم على شعار القومية المسلمة لا القومية الهندية التي رفع لواءها حزب المؤتمر . وكانت الرابطة تطالب بإنشاء دولة باكستان في المناطق التي تقطنها الأغلبية المسلمة . وكان الامام المودودي على رأي الرابطة في ضرورة تقسيم البلاد بعد الاستقلال ، وتكوين دولة منفصلة عن الهند غير أنه لم يكن مرتاحاً لقيادة الرابطة لأن مشروعها السياسي يتبنسى التقسيم على أساس القومية المسلمة لا على أساس الإسلام . (١)

وقد صدق حدس المودودي فيما ظنه بهؤلاء القادة بعد تأسيس دولة باكستان عام ١٩٤٧ ، وقد عرضت وقائع الصراع بينه وبينهم على نموذج النظام الواجب أن يحكم الشعب الباكستاني المسلم به في ثنايا الفصول السابقة للباب الأول من هذا البحث .

وقد أفرزت التحديات السياسية في شبه القارة الهندية قبل الاستقلال وبعده وكذلك متطلبات الدعوة الإسلامية التي خاض غمارها الامام المودودي نظريته السياسية التي نهجت سبل التأصيل إلى حد بعيد . وتجددت هذه النظرية في باكورة إنتاجه الفكري في نهاية الثلاثينات من القرن الميلادي الحالي في عدة عناوين من بينها :

كتاب الحكومة الإسلامية .

وكتاب نظرية الإسلام وهدية في السياسة والقانون والدستور .

ومفاهيم إسلامية حول الدين والدولة .

وكتاب الخلافة والملك .

ولما كانت الحياة السياسية - في الأصل - جزءاً من الحياة العامة التي تستلزم بظل الإسلام ، وتقوم على أسس المتينة ، بذل المودودي جهدها معتبرة في ربط نظم الحياة بالأسس العقدية للإسلام ، من خلال بيان عقيدة التوحيد ومعاني الألوهية والربوبية والعبادة والدين .

(١) - حمد بن صادق الجمال : أبو الأعلى المودودي حياته وفكره العقدي ص ١٣٧

ثانيا : الأسس العقدية للنظرية السياسية الإسلامية :

تقوم النظرية السياسية الإسلامية في فكر المودودي ، وما ينبثق عنها من نظم فرعية على ثلاثة أسس :

١ - التوحيد .

٢ - الرسالة .

٣ - الخلافة .

١ - التوحيد : إن مفهوم التوحيد المتعلق بحقيقة الألوهية والربوبية الذي سبق عرضه في الباب الثاني من هذا البحث هو ذاته الأساس الذي يتحكم في الرؤية السياسية التي كونها المودودي عن هذا الجانب الهام من الحياة الاجتماعية للمجتمع المسلم .
هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد رب العالمين ليس كمثله شيء*
وهو السميع البصير . خالق هذا الكون وما فيه ومن فيه من مخلوقات عاقلة وغير عاقلة .

ومن ثم فلا يستحق الطاعة والحكم والعبودية أحد سواه في هذا الوجود وكل طاعة لغيره مشروطة بتفويض ورضا منه تعالى ، فالتوحيد يقتضي أن تكون هناك ألوهية في جانب وعبودية في جانب آخر . . ألوهية يختص بها الله عز وجل وحده ، وعبودية تشترك فيها جميع المخلوقات بلوعا وكرها . (١)
والإنسان الذي يتصرف في الكون بما لديه من قدرات عقلية ومعرفية وإرادية وإمكانات مادية لتسخير طاقاته وخبراته في خدمة وجوده ومنفعته ليس ذلك من كسبه أو ملكه في شيء* ، أو أوتي به على علم من عنده .
بل الإنسان وما يملك لله تعالى الذي منحه الجسد والروح والعقل وسائر الإمكانيات التي تخوله القدرة على تحقيق وظيفة الخلافة والعمارة في الأرض .

وعلى هذا الأساس لا يجوز للإنسان أن يستقل بأمره وينفرد بتحديد غايته في الحياة ، وسبل الهداية في مسائل الاعتقاد والتشريع والأخلاق ،

(١) - سيد قطب : خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، ص : ٢١٥ .

بعيدا عن الوحي الإلهي ، لأن المولى تعالى هو الذي فطر الناس وزودهم
بشتى الغرائز والمؤهلات التي تمكنهم من التصرف في كثير مما خلق
في هذه الدنيا .

ومن ثمة فإن أبرز سمة من سمات التوحيد تلك التي تتعلق بالحاكمة
الإلهية المهيمنة على أوضاع المخلوقات كلها تكويننا وتشريعنا وهي تعني
أن لا حاكم في هذا الوجود إلا الله ، ولا قانون إلا قانونه . (١)

٢ - الرسالة : وهي الوسيلة التي يبلغنا الله تعالى فيها على
حقائق الوجود الكبرى ، وعلى منهجه التشريعي وقانونه الذي يحدد نظم
الاعتقاد والأخلاق ، ويضع كليات ومبادئ سائر أنظمة الحياة الاجتماعية
والسياسية والاقتصادية والثقافية وما يتفرع عنها .
وتتكون الرسالة من كتاب الله وسنة نبيه الشارحة للكتاب والمبيننة
له بأقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله من باب أنه رسول الله ونائب
عنه وخليفته في هذه الدنيا . (٢)

٣ - الخلافة : يقوم التصور السياسي الإسلامي على أساس طبيعة
الإنسان التي فطر عليها ، وعلى المنزلة التي يتبوأها في هذه الحياة
بحكم استعداداته ووظيفته التي كلفه الله تعالى بها . وقد تبين في
الفصول السابقة تحديد هذه الجوانب كلها المعبر عنها في القرآن الكريم
بمصطلح خلافة .

ومن منظور الوظيفة السياسية للإنسان ، فإن خلافته عن الله في
أرضه تخضع لعقد يقوم على شروط أربعة : (٣)
الأول : المستخلف - بكر اللام - سيبقى هو صاحب ما استخلف فيه الإنسان
وما لكه الأملي . كاستخلاف الله تعالى للإنسان في الأرض .
والثاني : وعليه لا يجوز للمستخلف - بفتح اللام - التصرف في ملك الله
بالأرض - إلا حسب أوامر الله وتوجيهاته .

(١) - المودودي : نظام الحياة في الإسلام ، مصدر سابق ، ص : ٢٢ .

(٢) - المصدر السابق ، ص : ٣٣ .

(٣) - نفس المصدر ، ص : ٢٤ .

والثالث : لا ينبغي للمتخلف - بفتح الهمزة - أن يتجاوز الحدود التي أقامها له صاحب الملك .

والرابع : من واجب المتخلف - بفتح اللام - أن يقضي منها ما يريد صاحب الملك قضاءه لا ما يريد هو نفسه .

بهذه الشروط الأربعة يتشكل مفهوم الخلافة أو النيابة في أي مجال من مجالات الحياة المختلفة . ومن ثم فكل نظام حكم يقوم في هذه الدنيا على أساس مفهوم الخلافة لا يكون إلا خلافة إنسانية تحت السلطان الإلهي تكون غايته المنشودة دوماً تحقيق منيعة الله وإرادته في ملكه وفق شرعه .

ويهدف مبحث الخلافة في هذا السياق إلى تجلية معناها السياسي في صورته المبدئية بمقتضى الشروط السابقة ، مع تجاوز المدلول التاريخي للكلمة الذي يحصرها في وظيفة الحاكم الفرد وخصائصه المتعارف عليها ، أو في نظام الحكم الإسلامي في التاريخ من نموذج الخلافة الراشدة إلى خلافة بني عثمان آخر نظم الحكم الإسلامي في العصر الحديث .

ولهذا فالخلافة بمعناها القرآني ووظيفة جماعية تعني كل فرد من أفراد المجتمع الإسلامي ، وهي من حيث الممارسة السياسية كذلك لا يحق فيها لأي فرد أو أسرة أو فئة اجتماعية أو طبقة ، احتكار أمرها كله ، بل تسند إلى الفرد والمجموع فيها مهام على قدر المسؤولية والأهلية على أساس الإيمان والعمل الصالح .

قال تعالى : ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ، وَلَيُبَيِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ)) . (١)

تَمَّا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

وفي ظل هذا المفهوم الجماعي لكلمة خلافة تنشأ فكرة الجمهورية في الإسلام التي تختلف عن المفهوم الغربي للجمهورية حيث ((أن نظرية الغرب السياسية تقول بحاكمية الجمهور ، والإسلام يقول بخلافة الجمهور)) . (٢)

(١) - سورة النور : آية ، ٥٣ .

(٢) - المودودي : المصدر السابق ، ص : ٢٦ .

وتفصيل ذلك أن مهمة التشريع والتنفيذ موكولة في الجمهورية الغربية بصورة مطلقة إلى الجمهور أو من ينوب عنهم في ذلك .
 في حين أن الحكم والأمر في الجمهورية الإسلامية لله وحده وما الحاكم والمحكومين فيها إلا بمنزلة الخلفاء الذين يلتزمون شرع الله وحدوده في كافة شؤونهم تشريعا وتنفيذا .
 ومن ثمة فالحياة السياسية في الجمهورية الإسلامية من هذا المنظور هي عبودية اجتماعية لله تبارك وتعالى . (١)

عبد القادر للعطوم الإسلامية

(١) - نفس المصدر ، ص : ٢٢ .

ثالثا : الحاكمية الإلهية :

١ - المفهوم العقدي للحاكمية : يعد مصطلح الحاكمية الإلهية النقطة المركزية في فكر المودودي العقدي ، والسياسي ، والدعوي العام . ولذلك فالحاكمية هي مفتاح فهم أغلب ما كتب الرجل وروح أعماله الدعوية التي جسدها في واقع الحياة .^(١)

وقد ارتبط مفهوم الحاكمية عند المودودي بتصوره لحقيقة التوحيد وأعتبر أن من منطلقات التوحيد الأساسية أن يكون الحكم لله وحده غير أن قرون الضعف والاحتلال شوهدت تسور المسلمين لعقيدة التوحيد وصاروا يسرون أنه يشمل توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية فحسب ، مع أن كثيرا من آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تؤكد توحيد الحاكمية قال تعالى : ((إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا آيَاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ))^(٢) وقوله سبحانه : ((وَمَنْ لَمْ يَخُذْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ))^(٣) وغيرها من الآيات القرآنية الكثيرة .

ويرى الباحث أليف الدين الترابي أن عقيدة التوحيد في فكر المودودي لن تكتمل إلا إذا أشتملت على توحيد الحاكمية . ومن ثم جعلها المودودي عقيدة لجماعته كما نص على ذلك دستور الجماعة الإسلامية : ((ألا يسلم لغير الله بأنه ملك أو مالك الملك ، أو مصدر السلطة العليا ولا يعترف لأحد غير الله بحقه في الأمر والنهي بنا . على سلطته الذاتية ، وكذلك لا يدين يدين الله شارعا ومقننا مستقلا بذاته ، ويرفض كل طاعة لا تتبع طاعة الله ولا تلتزم بأحكام الله ، فالله وحده هو مالك حقيقي لملكه وخالق لمخلوقه وليس لغيره أبدا حق الملكية والحاكمية بصفة مطلقة))^(٤)

(١) - د . محمد عمارة : أبو الأعلى المودودي والصحة الإسلامية ص : ١٨٢

(٢) - سورة يوسف : آية ، ٤٠ .

(٣) - سورة المائدة : آية ، ٤٤ .

(٤) - دستور الجماعة الإسلامية بباكستان ، المادة الثالثة ، نقل عن

أليف الدين الترابي : أبو الأعلى المودودي حياته ودعوته ، ص : ٢٦٣ .

وقد حدد المودودي مصطلح الحاكمية عقدياً ، وأسقطه سياسياً ، وقانونياً في العديد من كتبه . فيقول عن الحاكمية : ((تطلق هذه الكلمة على السلطة العليا أو السلطة المنلقة على حسب ما يصلح عليه اليوم في علم السياسة)) (١) واللاهوية والسلطة تستلزم كل منهما الأخرى ، وهما شئى واحد من حيث المعنى والروح : ((فالذي لا سلطة له لا يمكن أن يكون لها ولا ينبغي أن يتخذ لها . وأما من يملك السلطة فهو الذي يجوز أن يكون لها وهو وحده ينبغي أن يتخذ لها)) (٢).

والحاكمية الإلهية تهيمن على الكون بأكمه بما في ذلك الإنسان غير أن مجال عمل الحاكمية يتجلى في مستويين مختلفين : أولهما : حاكمية الله في نظام الكون - في مجال السنن الكونية - وهي قائمة بقدرة الله وإرادته النافذة على كل الكائنات من غير ما حاجة لاعتراف أحد بما فيها الإنسان في جانبه الجسدي اللاإرادي . فهو يخضع لسنن الإحياء والإماتة شأنه شأن جميع المخلوقات العاقلة وغير العاقلة خضوعاً تاماً . قال تعالى : ((سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى)) (٣) ((وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ)) (٤) وثانيهما : الحاكمية التشريعية أو القانونية ، وهي لا تقوم مثل الأولى على القوة والجبر ، وإنما تقوم على الاختيار الحر بعد البلاغ المبين لرسالات الله إلى الناس قصد تسليمهم بحاكمية الله ولإعته بمحض إرادتهم واختيارهم (٥).

٢ - المفهوم القانوني للحاكمية : لما كان الخالق عز وجل لهذا الكون بما فيه ومن فيه بلا منازع ولا شريك . فانه يترتب على ذلك أن تكون طاعة

(١) - المودودي : نظام الحياة في الاسلام ، مصدر سابق ، ص : ٢٧ .

(٢) - المودودي : تدوين الدستور الاسلامي ، ص : ٢٥١ .

(٣) - سورة الأعلى : آيات ، ١ ، ٢ ، ٣ .

(٤) - سورة الأنعام : آية ، ٧٣ .

(٥) - المودودي : الخلافة والملك ، ص : ١٣ .

الإِنسان لله خالصة ، وأنه لا بد من أن يتبع نهجه وقانونه وحده في جميع شؤونه الفردية والاجتماعية على حد سواء ، وأن لا يتبع قوانين غيره أو شرعة ذاته ونزوات نفسه .

قال تعالى : ((إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلِلِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ)) . (١)

وقال كذلك : ((ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)) . (٢)

ويؤكد القرآن ويجزم بأن كل حكم يتخذه الإنسان في حياته خلاف حكم الله بإرادته واختياره ، لا يعد خطأ أو حراما فحسب ، بل ذلك كفر وضلال وظلم وفسق .

قال تعالى : ((وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)) . (٣)

((وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)) . (٤)

((وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)) . (٥)

ويلحق بحكم الله حكم الرسول لأن طاعته فيما يأمر وينهى من طاعة الله ، لأن الرسول : ((ممثل حاكمية الله القانونية في حياة البشر)) . (٦)

قال تعالى : ((فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلَمُوا تَسْلِيمًا)) . (٧)

((وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)) . (٨)

(١) - سورة الزمر : آياتان ، ٢ ، ٣ .

(٢) - سورة الجاثية : آية ، ١٧ .

(٣) - سورة المائدة : آية ، ٤٦ .

(٤) - سورة المائدة : آية ، ٤٧ .

(٥) - سورة المائدة : آية ، ٤٩ .

(٦) - المجدودي : المصدر السابق ، ص : ١٧ .

(٧) - سورة النساء : آية ، ٦٤ .

(٨) - سورة الحشر : آية ، ٧ .

ويكون الرسول من ثم هو الوسيلة الوحيدة لتبليغ أمر الله و قانونه إلى الناس ، وهو الذي يفسر حكم الله بأقواله وأفعاله . ولذلك يصير كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم هما القانون الأعلى الذي يحكم حياة المسلمين ، ولا يملكون معه إصدار حكم أو أمر في شأن أصدر الله ورسوله فيه حكما ، ومخالفة أمر الله والرسول في كل ذلك زيف وضلال ومروق من الدين واضح .

قال تعالى : ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مِؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا)) (١) إن القاعدة الثابتة في هذا الأمر في الإسلام والتي لا محيد عنها أن تجعل الحاكمية القانونية لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم دون ريب . (٢)

٣ - المفهوم السياسي للحاكمية : إذا كانت الحاكمية الإلهية على المستويين العقدي والقانوني لله تعالى كما تبين ، لا يجوز بأي حال من الأحوال أن تكونا لغيره في هذه الأرض . فلمن الحاكمية السياسية في مجتمع عقيدته إسلامية ويحتكم إلى قانون الله وشريعته ؟ ((فالجواب الوحيد الصريح لهذا السؤال أنها لله تعالى)) . (٣) وأما القوة التي يسند إليها المجتمع تنفيذ حاكمية الله تعالى فيه بالقوة السياسية فمنزلتها محددة وهي النيابة ، أو الوكالة ، أو الخلافة . ولذلك فهي في لغة القانون أو السياسة لا يمكن اعتبارها حاملة للحاكمية لأنها محدودة الصلاحيات بقانون أعلى لا قبل لها بتغييره .

وقد عبر القرآن الكريم عن السلطة السياسية البشرية بكلمة الخلافة وهذا المصطلح يحمل في منمونه منزلة هذه القوة ، وكونها غير الحاكم الأعلى وإنما هي نائبة عن الحاكم الأعلى وهو الله عز وجل . (٤)

(١) - سورة الأحزاب : آية ، ٣٦ .

(٢) - المودودي : تدوين الدستور الاسلامي ، مصدر سابق ، ص : ٢٥٨ .

(٣) - المودودي : المصدر السابق ، ص : ٢٥٨ .

(٤) - المودودي : الخلافة والملك ، مصدر سابق ، ص : ١٩ .

ويقوم نظام الحكم الذي يحمل مفهوم الخلافة القرآني على الأسس

التالية :

أ - الإيمان بسيادة الله ورسوله القانونية

ب - التنازل عن صفة الحاكمية لله تعالى .

ج - الإيمان بأن منزلة الخلافة هي النيابة عن الحاكم الحقيقي جل وعلا

وعلى هذا فكل نظام حكم بشري يقوم على تلك الأسس يتعين عليه أن

سلطات الحكم فيه من تشريعية ، وقضائية ، وتنفيذية ، محدودة بتلك الحدود

لا غير .

عبد القادر للعطوم الإسلامية

رابعاً : مبادئ الحكم الإسلامي :

١- أسس تنظيم مبادئ الدولة الإسلامية : لقد تعرض المودودي في المبحث السابق من نظريته إلى التعاليم السياسية العامة التي جاء بها القرآن الكريم ، والتي نفذها الرسول صلى الله عليه وسلم في الواقع العملي في المدينة المنورة بعد الهجرة إليها وقيام الدولة الإسلامية بها . ويعتبر أن قيم تلك الدولة هي معيار التفرقة بين نظام دولة إسلامية حقيقية وأخرى قريبة منها أو مفارقة لها في الكثير أو القليل . وقد كان الباعث على تنظيم مبادئ الحكم الإسلامي من الوحي مباشرة وتطبيق ذلك على دولتي المدينة المنورة ، والخلافة الراشدة من الخصائص المميزة للفكر السياسي عند المودودي الذي يهدف من ورائه إلى تجاوز التجارب التاريخية المختلفة في الحكم على ضوء النموذج الذي يقدمه الوحي في كلياته الصالحة لكل زمان ومكان ، وحتى يتمكن المسلمون في كل عصر ومصر من التحقق بالعبودية الاجتماعية لله تعالى من خلال الممارسة السياسية الرشيدة لتعاليم القرآن السياسية .

ويؤدي الالتزام بتلك المبادئ والقيم إلى إضفاء طبيعة مميزة على الدولة الإسلامية تصير تعرف بالدولة الفكرية ، ذلك أن العناصر الجغرافية ، والعرقية ، والطبقية والعائلية ، أمور ثانوية لاحظ لها في وجود الدولة الإسلامية الحقيقية ، بمفردها ، لأنها دولة موهبة على مبادئ وغايات معينة . (١)

وهذا النموذج من الدول لم تعرفه البشرية مثيلاً إلا مع التجربة الإسلامية الأولى في عهدي دولة المدينة المنورة ودولة الخلافة الراشدة . وقد عرفت الإنسانية في ظل سيطرة الكنيسة في أوروبا إبان العصور الوسطى لونا مبهما من الدولة الفكرية ، يفتقر إلى الأسس الواضحة

(١) - المودودي : منهاج الانقلاب الإسلامي ، ص : ٧١ .

المطلبية التي تسع الناس جميعاً على اختلاف مللهم ونحلهم وأعرافهم . كما ظهرت لبعض الوقت، الدواة الفكرية في النظام الذي قام على مبادئ الثورة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر . وكذلك الأمر بالنسبة للدولة الفكرية التي قامت عقب الثورة الشيوعية في روسيا بعد ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ . وأمتدت إلى مناطق كبيرة من العالم غير أن الواقع العملي والمحاكمة العقلية سرعانما كشفنا عن خلل كبير في الأساس الفكري لهذه التجارب ، ومحدودية القيم التي قامت عليها . ولا إنسانيتها في الأغلب الأعم .

وتجلى ذلك في طغيان مبادئ القومية العرقية ، والوطنية الضيقة على سلوك هذه الدول وعلاقاتها بغيرها من الدول ، وتحكم المصلحة المادية النفعية في شؤنها كلها .

والإسلام وحده من بين الأديان والمذاهب والأفكار قد برهن عملياً على قدرته أن يقيم دولة على أساس المبدأ أو الفكرة فحسب غير مقيدة بجنس أو قومية أو مصلحة أنانية .^(١)

٢ - مبادئ الدولة الإسلامية :

المبدأ الأول : لقد أسست الدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة على قاعدة أن الله تعالى هو الحاكم الأعلى والسيد المطاع والملك ، وأن شريعته هي التي تضبط سلوك الناس ، والقانون الحاكم للدولة والمنظم لسائر العلاقات في المجتمع .^(٢)

وقد نص القرآن الكريم على هذا المبدأ في آيات عديدة منها :
 قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا . أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَزَعْتُمْ

(١) - المودودي : المصدر السابق ، ص : ٣٠ .

(٢) - المودودي : الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة ، ص : ٣٦٠ .

أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْزِتَاحَكُمْوَا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُبْغِضَهُمْ صَلاً لَا بَعِيدًا)) (١)
 وقال أيننا : ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمَهْمِئْنَا عَلَيْهِ فَا حَكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)) (٢)

كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم صراحة على سيادة القانون الرباني في حياة المسلمين ووجوب الأخذ به ، قال : ((عليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه)) (٣)

عن مالك ، أنه بلغه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة نبيه)) (٤)

المبدأ الثاني : العدل بين الناس : هذه هي القاعدة الثانية التي أسس عليها نظام الدولة الإسلامية ، وقهاها أن الناس جميعا متساوون أمام حكم الله وقانونه دون تمييز بين حاكمهم ومحكومهم ، أو بين غنيهم وفقيرهم ، فالكل سواسية كأسنان المشط أمام العدل الرباني كما جاء في قوله تعالى يأمر نبيه أن يعلن في العالمين : ((وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ)) (٥)

ويتألف العدل في الإسلام من حقيقتين متلازمتين :

أولاهما : أن يتحقق التناسب والتوازن في الحقوق بين الناس .

وثانيهما : أن ينال كل ذي حق حقه بطريقة عادلة منصفة .

ومن هنا فإن العدل لا يعني المساواة المطلقة في كل الحقوق بين الناس ، إذ لو حدث ذلك في مجتمع ما لكان مجافيا للفطرة ومخالفا للصواب

(١) - سورة النساء : الآيتان : ٥٨ ، ٥٩ .

(٢) - سورة المائدة : آية ، ٥٠ .

(٣) - كنز العمال عن الطبراني ومسنده أحمد ، ج ١ ، حديث رقم : ٩٦٦٤٩٠٧ .

(٤) - موطأ الامام مالك : كتاب الجامع ، حديث رقم : ١٦١٩ ، ص : ٦٤٨ .

(٥) - سورة الشورى : آية : ١٣ .

ومن ثمة فحقيقة العدل تسير مع التناسب والتوازن لا المساواة الكاملة في كل شيء* . فالقرآن يطرح المساواة التامة في الانسانية بين الأعراف من حيث وحدة الأصل والمبدأ ، غير أن التفاضل بين الناس يكون على أساس كسبي قائم على الإيمان والعمل الصالح والتقوى . وتلك هي صورة العدل الحقنة .

قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)) . (١)

كما يأمر القرآن الكريم المؤمنين أن يعدلوا في كل الأحوال حتى مع الأعداء ، فمن الخطأ إنصاف الأصدقاء ، والحيف مع الأعداء . (٢)

قال تعالى : ((لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ)) . (٣)

غير أنه يجب التنبيه إلى أن بعض الحالات في المجتمع لا تتطلب المساواة كما هو الشأن بين الوالدين والأولاد ، أو المساواة في الأجور بين الموظفين وصغارهم ، لأن المساواة في هذه الجوانب وما يعاثلها تخالف العدل وتجا فيه . (٤)

وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف على أن العدل في دين الله لا يستثنى أحدا ، وأشار إلى أن من علل الأمم الهالكة فقد هذه السنة الاجتماعية الحميدة فيهم .

عن عائشة أن أسامة كلم النبي صلى الله عليه وسلم في امرأة فقال : ((إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع ويتركون الشريف ، والذي نفسي بيده لو فاطمة فعلت ذلك لقطعتم يدها)) . (٥)

-
- (١) - سورة الحجرات : آية ، ١٣ .
 (٢) - المودودي : الحكومة الاسلامية ، ص : ٣٤٠ .
 (٣) - سورة المائدة : آية : ٩ .
 (٤) - المودودي : المصدر السابق ، ص : ١٧٨ .
 (٥) - صحيح البخاري : ج ٨ ، كتاب الحدود ، رقم : ١١ .

المبدأ الثالث : المساواة بين المسلمين : يتفرع هذا المبدأ عن المبدأ السابق ويدعمه في بناء الدولة الإسلامية ، ويعني أن جميع المسلمين متساوون في الحقوق دون النظر إلى ألوانهم ولغاتهم وأوطانهم وجماعاتهم أو طبقاتهم وشعوبهم ، فلا تمايز بينهم في الحقوق واختلاف في المنزلة إلا بالتقوى والعمل السالح . (١)

قال تعالى : ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)) . (٢)

وتقترب المساواة في الحقوق بالمساواة في الواجبات بين المسلمين في الدولة الإسلامية لقوله عليه الصلاة والسلام : ((من شهد أن لا اله الا الله واستقبل قبلتنا وولى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم)) . (٣)

المبدأ الرابع : مسؤولية الحكومة : يجعل هذا المبدأ الرابع الذي قامت على أساسه الدولة الإسلامية الحكومة مسؤولة مسؤولية كاملة عما بحوزتها من صلاحيات وسلطات مادية ومعنوية أمام الله والمجتمع بحكم أن ما بحوزة الحكومة من مهام وأمانات استخفظت عليها ، ومن ثم فلا يجوز لها أن تتصرف فيها بطرق غير مشروعة ، وأن لا تسخر للأغراض الشخصية والأدلة على هذا المبدأ كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . قال تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)) . (٤)

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته)) . (٥)

-
- (١) - العمودوي : الخلافة والملك ، ص : ٣٩ .
 (٢) - سورة الحجرات : آية ، ١٠ .
 (٣) - صحيح البخاري : ج ١ ، كتاب الصلاة ، باب فضل استقبال القبلة ص : ١٠٩ .
 (٤) - سورة النساء : آية : ٥٧ .
 (٥) - صحيح البخاري : كتاب الأحكام ، ج ٨ ، باب ١ ، ص : ٧٧ .

عن معقل بن يسار قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:
 ((ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاشر لهم إلا حرم الله
 عليه الجنة)) (١).

المبدأ الخامس: الشورى: تقوم الدولة الإسلامية على مبدأ الشورى، التي جعلها المولى عز وجل من أفضل صفات الحياة السياسية لدى المؤمنين حين يقول: ((وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ)) (٢) ولذلك أمر الله تعالى بالشورى كي تصبح دعامة أساسية في مجتمع النبي صلى الله عليه وسلم ولمن سيأتي بعده من المسلمين . قال تعالى: ((وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)) (٣) ومن ثمة يكون فقدان مبدأ الشورى في تسيير أمور المجتمع الإسلامي ، أمراً بالغ الخطورة على دين الناس وديارهم ، ومخالفة صريحة لقاعدة وقانون قرره الله وشرعه . (٤) ولهذا السبب لم يغب هذا المبدأ عن حياة المجتمع الأول في صدر الإسلام حتى نهاية الخلافة الراشدة .
 وقد تم تحول النظام السياسي في تاريخنا من خلافة راشدة إلى ملك عضوض مع تغييب الشورى ، حيث انتقلت فيه السلطة من جماعة المسلمين إلى عائلة واحدة تتوارث أمور الناس أبا عن جد كما يورث المتاع وتقضي في شؤونه بحرية مطلقة دون رقيب أو حسيب .

المبدأ السادس: الطاعة في المعروف: هي القاعدة السادسة من قواعد الدولة الإسلامية ، وتعني أن طاعة أو أمرها مشروطة بعدم تجاوز الدولة ما شرعه الله ورسوله . فيجب على المحكومين أن يطيعوا الأحكام فسي المعروف فحسب ، إذ الأصل أن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . وقد انطبق هذا حتى على بيعة محمد صلى الله عليه وسلم ، لقد وردت فسي القرآن مشروطة بالطاعة في المعروف على الرغم من عدم الشك في صدور معصية

-
- (١) - صحيح البخاري : كتاب الأحكام ، ج ٨ ، ص : ٨٠ .
 (٢) - سورة الشورى : آية : ٣٥ .
 (٣) - سورة آل عمران : آية ، ١٥٩ .
 (٤) - المودودي : الخلافة والملك ، مصدر سابق ، ص : ٤١ .

من قبله صلى الله عليه وسلم فنذرا عن أن يأمر غيره بها . (١)
قال تعالى : ((وَ لَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ)) . (٢)

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((السمع والطاعة على
المسلم المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر
بمعصية فلا سمع ولا طاعة)) . (٣) وهذا الخليفة الأول للمسلمين أبو بكر
الصديق يقف خطيبا في المسلمين بعد توليه الخلافة يؤكد على نفس المبدأ
بقوله : ((أطيعوني ما أطيع الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله
فلا طاعة لي عليكم)) . (٤)

ويقول سيدنا علي كرم الله وجهه : ((حق على الامام أن يحكم بما
بما أنزل الله وأن يؤتي الأمانة فان فعل ذلك فحق على الناس أن يسمعوا
له وأن يطيعوا وأن يجيبوا إذا دعوا)) . (٥)

المبدأ السابع : عدم جواز طلب السلطة : هذه القاعدة من الثوابت
التي تسند على أساسها المسؤولية والقيادة في الدولة الإسلامية ، ذلك
أنها تكليف ثقيل ، وليست وسيلة للمغانم وحب الظهور واشباع النزوات
النفسية وإنما هي أمانة استودعها الله والمؤمنون في يد رجال مؤمنين
أمناء أكفاء وأقوياء .

وأن من يلتزم المناصب القيادية في الدولة الإسلامية ، في
الحكومة بوجه عام ، والخلافة بوجه خاص ، ويجتهد بكل الوسائل في
الوصول إلى ذلك هو أقل الناس كفاءة وصلاحيات ، ومن شدة فلا تعطى له . (٦)
قال تعالى : ((تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي
الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا)) . (٧)

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : دخلت على النبي صلى الله عليه
وسلم أنا ورجلان من قومي فقال أحد الرجلين : أمّرتنا يا رسول الله

(١) - المودودي : الحكومة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

(٢) - سورة الممتحنة : آية ، ١٢ .

(٣) - صحيح البخاري : كتاب الأحكام ، ج ٨ ، باب ٤ ، ص : ٧٨ .

(٤) - المودودي : الخلافة والملك ، مصدر سابق ، ص : ٤٤ .

(٥) - نفس المصدر ، ص : ٤٣ .

(٦) - المودودي : الحكومة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ٣٨٧ .

(٧) - سورة القصص : آية ، ٨٣ .

وقال الآخر مثله فقال : ((إنا والله لا نولي هذا من سأله ولا ممن حرص عليه)) . (١)

المبدأ الثامن : غاية الدولة الإسلامية : أوجب المولى عز وجل على الدولة الإسلامية من خلال هذا المبدأ إقامة نظام الحياة الإسلامي بحذا فبره لتحقيق غاية العدل والقسط بين الناس . قال تعالى : ((لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ)) . (٢)

حددت الآية ما لأجله تبعث الرسل وهو إقامة العدل والقسط بين الناس جميعا على أساس ما أنزل الله من الهدى والبيّنات وما أنعم عليهم فهي كتابه من الميزان والنظام العادل للحياة الإنسانية بواسطة القسوة السياسية . وقد بين الله تعالى أن الوصول إلى هذه الغاية بعد التمكين للمؤمنين يتجلى في صورة إقامة الفروض التي أوجبها الله على المؤمنين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإشاعة الخير ومحاربة أسباب الشر ومظاهره في مجتمع المسلمين . (٣) ويقول في ذلك عز وجل : ((الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ)) . (٤)

وبناء على هذا فإن الدولة الإسلامية في المنظور القرآني لها غايتان ، غاية سلبية وهي منع تعدي الناس على بعضهم البعض بالقوة ، وغاية إيجابية تتمثل في نظام العدالة الاجتماعية الصالح الذي جاء به كتاب الله تعالى . (٥)

المبدأ التاسع : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : يعد هذا المبدأ الأخير من مبادئ الدولة الإسلامية ، صمام أمان من الانحراف ، وضمان الاستقرار

-
- (١) - صحيح البخاري : كتاب الأحكام ، ج ٨ ، باب ٧ ، ص : ٨٠ .
 (٢) - سورة الحديد : آية ، ٢٤ .
 (٣) - المودودي : نظرية الإسلام السياسية ، ص : ٤٠ .
 (٤) - سورة الحج : آية ، ٣٩ .
 (٥) - المودودي : الحكومة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص : ٣٨٨ .

استقامة نظام الحكم ، وحضور دائم للرأي العام الإسلامي المستنير في المجتمع الذي يمنع الاستبداد ، ويحافظ على قانون التعاون على البر والتقوى ، وإشاعة فضيلة الصدق بين الناس ، ورعاية حدود الله وانفاذها عند الحاجة . كما يدفع هذا المبدأ عن المجتمع تأثير النفاق وقوى الشرك التي تحاول دوماً تحطيم شبكة العلاقات الاجتماعية السليمة ومن ثم اشاعة الفتن والريغ والذلال في المؤمنين ^{هنا} .

وأناط المشرع الحنيف القيام بأمر الواجب في المحل الأول بدولة الإسلام كما كلف الأفراد والجماعات المؤمنة في المجتمع الإسلامي بالضرب على يد أهل المروق والباطل ، وحماية الخير فيه ، فكراً وسلوكاً وواقعياً بوسائل مشروعة ومتنوعة .^(١) ويأمر المولى عز وجل المؤمنين في مواضع كثيرة من كتابه العزيز^{بواجب} القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . يقول تعالى : ((وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ))^(٢) ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا))^(٣) ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ))^(٤) ((الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ...))^(٥) ((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيؤْتُونَ الزَّكَاةَ ...))^(٦)

وللرسول صلى الله عليه وسلم أقوال كثيرة في هذا الباب :

((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان))^(٧)

(١) - نفس المصدر ، ص : ٣٩١ ، ٣٩٢ .

(٢) - سورة المائدة : آية ، ٣ .

(٣) - سورة الأحزاب : آية ، ٧٠ .

(٤) - سورة النساء : آية : ١٣٤ .

(٥) - سورة التوبة : آية : ٦٧ .

(٦) - سورة التوبة : آية : ٧٣ .

(٧) - صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، ج ١ ، باب ٢٠

((إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أو شك أن يعصمهم الله بعقاب منه)). (١)

((إنه سيكون بعدي أمراء من صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه)). (٢)

من هذه القواعد التسعة استطاع الامام المودودي أن يجعلها بمثابة قواعد دستورية لنظام حكم إسلامي يستحق صفة الإسلام ما التزم بها نظريا وعمليا في الحاضر والمستقبل كما في الماضي مع دولة المدينة المنورة بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم ، ودولة الخلافة الراشدة، التي حازت وسام الرشيد لقيامها على القواعد السابقة لا غير .

(١) - أبوداود : كتاب الملاحم ، باب ١٧ ، ج ٢٣٠ ، حديث رقم ٤٣٣٨ ، ص ١٢٢ .
 (٢) - النسائي : كتاب البيعة ، ج ٧ ، باب ٣٥ ، ص ١٦ .

المفصل الرابع

تقديم الفكر العقدي لأبي الأعلى المودودي :

أولاً : أصول المنظومة الفكرية عند المودودي :

من الثابت في تاريخ الفكر الإسلامي الحديث أن جل المجددين في هذا العصر وإلى أيامنا هذه ، قد تناولوا الإسلام بنظرة شمولية ، وطرح متكامل ، فيما عالجوا من مسائل العلم وقضايا الفكر ، والحياة الواقعية المتصلة بحاضر الإسلام والمسلمين .

وقد واجهوا بذلك شمولية الأزمة الفكرية والحضارية للأمة ، من جهة ، ونموذج الحضارة الغربية الذي ما يزال يطمح إلى أن يكون البديل الفكري العقدي والحضاري الشامل للإسلام وحضارته وإلى أبد الأبد من جهة أخرى (١) وقد كان النموذج الفكري والعملي للبعث الإسلامي الذي صاغه المودودي وقدمه يعد أحد النماذج الرائدة للتجديد في حقل العمل الإسلامي المعاصر ، بالنظر إلى قيامه على أساسين عظيمين (٢) هما :

الأول : استناده إلى خلفية نظرية وفكرية محددة .

والثاني : تنزيل الرومية النظرية والفكرية إلى الواقع وتحريك الحياة بها وتغييرها نحو الأحسن .
وقد بنى الأساس الأول الذي يمثل منظومته الفكرية والمفاهيمية على قواعد حصرها فيما يلي :

١ - الإسلام : اجتهد المودودي في جميع كتبه التي تطرق فيها إلى مصطلح الإسلام بالبيان والتحديد ، أن يعبر عن حقيقة المفهوم كما جاء به الوحي في الكتاب والسنة ، حتى وصل من خلال الاستنتاج والاستقراء إلى أن الإسلام

(١) - د . محسن عبد الحميد : تجديد الفكر الإسلامي ، ص : ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) - د . أحمد خو رشيد : نموذج المودودي للبعث الإسلامي ، مجلة

المسلم المعاصر ، عدد : ٣١ ، ص : ٩ .

بحسب سنن الله الكونية ، والتشريعية هو دين الكون بأكمله بما فيه ومن فيه من المخلوقات . غير أن للإنسان في حياته جهتين :

فهو من جهة مسلم بفطرته خاضع لسنن الله في الخلق والحياة والموت ، لا يملك أن ينفك عن قوانين الله في هذا المستوى ، فهو شأنه شأن القمر أو الماء أو الهواء ، أو التراب ، لا يتحرك حركة إلا ضمن النظام الذي وضعه المولى عز وجل لوجوده العادي وقدره تقديرا .

وهو من جهة ثانية أوتي العقل وقوة الفهم والتأمل والرأي ومن ثم القدرة على التمييز وحرية الاختيار بين أمر وآخر .
 ((هاتان الجهتان المختلفتان توجدان في حياة الإنسان كل على حده)) . (١)

فهو من الجهة الأولى مسلم لاختيار له في ذلك .
 وأما من الجهة الثانية ، فهو مخير في أن يكون مسلما أو غير مسلم . وعلى هذا الأساس الإرادي الحر في حياة الإنسان يكون مؤمنا أو كافرا .

كما نبه إلى خطورة الفهم القاصرة والضيقة للإسلام التي ورثها المسلمون عن عصور الجمود والانحطاط ، واستقرت في أنهاهم منذ أمد بعيد ، وصارت تطبع حياتهم وواقعهم بمحدوديتها وقصورها في كل جانب . فكانت الصورة لديه بعد ذلك أن الإسلام نظام يقوم على مجموعة من العقائد محددة تنبسط علاقات الإنسان مع الله ، ومع أخيه الإنسان ، ومع سائر الكائنات الأخرى - في كنف خضوع الجميع لإرادة الله وأمره - في حياته الجبرية ، كما في حياته الاختيارية . وأن علاقة الإنسان المؤمن بكتاب الإسلام القرآن ، علاقة مخصصة حددها المولى عز وجل في قوله : ((آلِمَ . ذَلِكَ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) . (٢) فهي إذن علاقة هداية لا تتحقق للإنسان بمجرد قراءته للقرآن ، أو التبحر في علومه ، وإنما هي - قبل ذلك وبعده - إيمان وتطبيق لرسالة الإسلام تطبيقا عمليا لأن القرآن ليس كتابا يضم أفكارا مجردة لاصلة لها

(١) - المودودي : مبادئ الإسلام ، ص : ٧ .

(٢) - سورة البقرة : الآيات ، من ١ الى ٤ .

بالحياة، إنما هو كتاب منزل لدعوة الناس أن يبدأوا حركة إيمانية، ويقود من يتبعونه إلى إنجاز رسالته في واقع الحياة. (١)

والإسلام هو الدين الذي يقبله المولى عز وجل من الإنسان لعبادته ونيل رضوانه في هذه الحياة، دون سواه، قال تعالى: ((إِنَّا الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)) (٢)

وعلى ضوء هذه الآية الكريمة ف ((القرآن لا يقول أن الإسلام منهاج الحياة والتفكير فحسب بل الذي يقول به ويدعيه أن الإسلام هو المنهج الوحيد الحقيقي الصحيح للحياة البشرية والبراز المخصوص للتفكير والعمل في هذه الحياة الدنيا)) (٣)

إن هذا المفهوم المميز للإسلام والشامل الذي يقدمه المودودي باعتباره إيماناً، ومنهاجاً للحياة، وحركة فاعلة في الواقع والتاريخ، يعد حجرة الأساس في فكره ونموذجه للبعث الإسلامي. (٤)

٢ - الجاهلية : ويعتبر مفهوم الجاهلية من المفاهيم المكونة للمنظومة الفكرية عند المودودي بعد مفهوم الإسلام، ولا يعني هذا المفهوم عدم المعرفة، أو الجهل بأمور الحياة البسيطة، إنما هو نظرة عامة للوجود عن الله، والكون، والإنسان، والحياة، نظرة مخصصة إذا استقرت في وعي الإنسان وقلبه أثمرت نموذجا معيناً للحياة وأخلاقاً مادية، تصطبغ بها المعارف والأفكار والفنون والآداب، وسائر جوانب الحياة برمتها .
فالكون في منظور الجاهلية وما يحتويه من نظام مبدع لا غاية ولا مصلحة من وراء وجوده، بل ظهر إلى الوجود فجأة ومصادفة وهو كائناً في حركته بلا قصد أو هدف، وسينتهي إلى العدم والفناء من غير نتيجة . وهو بلا خالق ولا موجد له وإن وجد له خالق، فلا صلة له به من قريب أو من بعيد. (٥)

(١) - المودودي : تفسير تفهيم القرآن ، ج ١ ، ص : ٢٨ .

(٢) - سورة آل عمران : آية ، ١٩ .

(٣) - المودودي : الدين القيم ، ص : ٦ ، ٥ .

(٤) - ٥٠ أحمد خورشيد : المسلم المعاصر ، عدد : ٢١ ، ص : ١٠ .

(٥) - المودودي : الإسلام والجاهلية ، ص : ١١ .

وكذلك الإنسان في هذا الوجود فهو مجرد نوع من أنواع الحيوان خرج إلى الحياة صدفة كغيره من الكائنات الأخرى ، له رغبات نفسية ، وغرائز جديدة ، يتطلب الأمر إلى إشباعها كلما دعت الضرورة إلى ذلك . وتمسده الأرض من حوله بالوسائل وبكل ما يحتاجه من نعم وخيرات كثيرة . وتنحصر غايته في الحياة الدنيا في مجرد تسخير الوسائل والإمكانات لتحقيق مطالبه الحيوانية الغريزية وإشباع نزواته النفسية إلى السيطرة والمتاع . (١)

وأما عن أسلوب تحقيق مطالبه تلك وما يحكمها من ضوابط وقوانين فمرجعها إلى الإنسان ينبع أصولها من تلقاء نفسه تبعاً لأهوائه واجتهاداته العقلية المستقلة عن كل هداية سماوية . ((فالإنسان قائم بأمره مستقل بشؤون حياته لا يسأل عن شيء ولا يحاسب أمام أحد)) . (٢) وإن كان مسوؤلاً وأمام أحد فلا يعدو ذلك أن يكون مسوؤلاً بين يدي نفسه ، أو أمام سلطة من بني جنسه تتحكم في أموره تبعاً للنظام الذي يعيثر في كنفه . (٣)

وأما الحياة في مفهوم التصور الجاهلي للوجود ، إن هي إلا حياتنا الدنيا ، وليس من حياة أخرى بعدها . وكل النتائج المترتبة على أعمال الإنسان في الدنيا لا تتعداها . ((ومن ثم يجب أن يكون الحكم بصحة أمر من الأمور أو خطئه ، وبنفعه أو مضرته وبكونه جديراً بالترك مبنياً على ما يظهر له من النتائج في هذه الدنيا فحسب)) . (٤)

إن مجموع عناصر التصور الجاهلي للوجود إذا اجتمعت وتشربتها عقول الناس وأنها مهم ، أجرها حياتهم الفردية والجماعية على ضوئها ، وأقاموا سائر علاقاتهم المختلفة على أسسها ، وأفرزت في الواقع نموذجاً اجتماعياً

-
- (١) - المودودي : موجز تاريخ تحديد الدين وأحيائه ، ص : ١٤ .
 - (٢) - المودودي : الإسلام والجاهلية ، ص : ١٢ .
 - (٣) - المصدر السابق ، ص : ١٢ .
 - (٤) - المودودي : موجز تاريخ تجديد الدين وأحيائه ، ص : ١٥ .

من سماته البارزة ما يلي :

أ - تفرز إنسانا مستقلا في جميع شؤونه لا يشعر بتبعية عن أعماله كيفما كان نوعها ، ولا يرتدع إلا أمام ضغوط دنيوية بحتة من نفسه ، أو من المجتمع المحيط به .

ب - يقوم ببيان السياسة فيها على قواعد (الحاكمية البشرية) سواء كانت حاكمية فرد أو أسرة أو طبقة أو حاكمية الجمهور .

ج - يقوم نظام العمران والحياة الاجتماعية فيها بأكمله على الأناية وحب الذات وعبادة الشهوات .

د - تصطبغ فلسفة التربية والتعليم وسائر المعارف والآداب والفنون بصبغة هذه العقلية المادية الجاحدة .

هذه الصورة من الجاهلية هي التي يطلق عليها المودودي في اصطلاحه اسم الجاهلية المحضة ، أو الجاهلية الخالصة ، ويرى أنها تتجدد اليوم في المدنية الغربية المعاصرة فكرا وتطبيقا وواقعا حتى أصبحت نموذجا عالميا يفرض نفسه بشتى وسائل الإقناع والإكراه بطرق مباشرة وغير مباشرة .

وإلى جانب هذا الصنف جاهليات مختلطة ، أهمها : جاهلية الشرك ، وجاهلية الرهينة . والقاسم المشترك بينهما في الاعتقاد ، هو أن الإنسان لا يحيا حياته بكاملها في ظلها تحت ملك الله وسلطانه وحده فقط . (١)

٣ - مهمة الأنبياء والرسل : لقد كانت المهمة المشتركة بين جميع أنبياء الله ورسله واحدة على مدار التاريخ من لدن آدم إلى خاتم الأنبياء والرسل محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . هذه المهمة هي : ((دعوة الناس إلى الإسلام ، إلى توحيد الله عز وجل وإلى عبادته وحده)) . (٢)

وقد تبتمن ردود أفعال أقوامهم الذين دعوا إلى توحيد الله تعالى وعبادته وحده ، أن جوهر النزاع بين الأنبياء والمعارضين لهم لم يتعلق أبدا

(١) - د . أحمد خورشيد : المسلم المعاصر ، عدد : ٣١ ، ص : ١٠ .

(٢) - المودودي : نظرية الاسلام السياسية ، ص : ١٢ .

بقضية وجود الله أو عدم وجوده ، إذ نراهم يقررون بأن هناك خالقا للسموات والأرض بما في ذلكهم أنفسهم . قال تعالى : ((وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)) . (١)

ولذلك جاءت دعوة الرسل لتبين لهم أن الذي خلقهم وخلق السموات والأرض هو الله الذي يجب عليهم أن يخصوه بالطاعة والعبادة الخالصة . قال تعالى : ((إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)) . (٢)

وقد كان عنوان رسالة الأنبياء * والرسل ملخسا في قوله تعالى :

((يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)) . (٣)

قال بهذا نوح وهود وصالح وشعيب وعيسى عليهم الصلاة والسلام وبذلك نادى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم : ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ)) . (٤) وعلى هذا النحو كانت العبادة في الإسلام تضم إلى جانب الشعائر والصلوات ، طاعة شرع الله واتباع أوامره والانتها * عن نواهيه في الشؤون كلها ، صغيرها وكبيرها من المعيا إلى المعاة .

وبعبارة أخرى فإن مهمة الأنبياء * والرسل تمثلت في إقامة حكم الله بدل حكم الناس ، وستبقى كذلك إلى أن يعم حكم الله وقانونه الناس كافة . ولذلك ينبغي ((أن تنزع سلطات الأمر والتشريع من أيدي البشر منفردين ومجتمعين ولا يؤذن لأحد منهم أن ينفذ أمره في بشر مثله فيطيعوه ، أو ليسن قانونا لهم فينقادوا له ويتبعوه فإن ذلك أمر مختص بالله وحده لا يشاركه فيه أحد غيره)) . (٥) كما قال تعالى في كتابه : ((إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ)) . (٦)

-
- (١) - سورة الزخرف : آية ، ٨٦ .
 (٢) - سورة الأعراف : آية ، ٥٣ .
 (٣) - سورة الأعراف : آية ، ٦٤ .
 (٤) - سورة آل عمران : آية ، ٦٤ .
 (٥) - المودودي : المصدر السابق ، ص : ٣١ .
 (٦) - سورة يوسف : آية ، ٤٠ .

٤ - المسلم : اهتم الامام المودودي بتجلية حقيقة مفهوم المسلم وبيان صلته الصحيحة بدين الله ، كما نبه إلى ضرورة التفرقة بين الإسلام والمسلمين ، واتخاذ الإسلام معيارا لنقد حياة المسلمين وغير المسلمين على السواء .

فالإسلام إما أن يكون حجة للناس بالإيمان والعمل الصالح ، أو حجة عليهم بالزيغ والانحراف عن دين الله والفساد في الأرض .
ولما كان الإسلام هداية ربانية إلى جملة عقائد إيمانية ومبادئ وقيم خالدة تبني عليها الإنسانية الرائدة سيرة الإنسان الفردية ونظمه الاجتماعية للحياة ، فان المسلم وجماعة المسلمين هم المعنيون في كل زمان ومكان بالتحقق بتلك المبادئ والتيم في واقعهم المعيشي ، والاحتكام إليها عن طواعية وطيب خاطر . قال تعالى : ((فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)) . (١)
والمسلم الحقيقي بصورة واضحة هو من يسبح عبدا لله فقط ، وليس عبدا لهوى نفسه ونزواتها ، أو عبدا لأبائه وأجداده ، أو لعشيرته ، أو عبدا لشيخ أو صاحب طريقة ، أو عبدا لصاحب مال أو جاه أو سلطان أو فكرة . . بل ليس عبدا لأحد غير الله عز وجل ، يقول تعالى : ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)) .
وقد نبهنا المولى عز وجل في كتابه الكريم إلى أن مداخل الكفر والضلال إلى الإنسان ثلاثة أساسية (٢) :

أ - عبودية النفس : إن أخطر سبيل يضل فيه الإنسان هو اتباعه هوى النفس في أمورها كلها ، فإذا اعتاد على تلبية مطالب نفسه لا يعصي لها أمرا مار عبدا لها بلا مواربة ، ويتعذر عليه من ثم أن يكون عبدا لله وحده .

(١) - سورة النساء : آية ، ٦٤ .

(٢) - سورة آل عمران : آية ، ٦٤ .

(٣) - المودودي : المصدر السابق ، ص : ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ .

فيتها لك على ملذات الحياة بلا قيد أو شرط ، ويلتمس إليها الوسائل المختلفة
بغض النظر عن أوامر الله ونواهيه . قال تعالى : ((أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ
هَوَاهُ ، أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا أَمْ حَسِبَ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ
إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا)) . (١)

وبهذا يصير عبد النفس أسوأ حالاً من الحيوان ، لأن الحيوان ينقاد
لمطالب الغريزة على سجيته ، بينما الإنسان يتنكر لفطرته ويعتدي على
حقوقها وينصاع لرغباته بمخالفة منهج الله في حياته .

ب- عبودية تقاليد الآباء والأجداد : هذا هو السبيل الثاني للغي والضلال
وفيه يتخذ الإنسان من تقاليد آبائه وأجداده في التصورات والأفكار والممارسات
السلوكية نهجا لحياته ، ويرتفع بها فوق أوامر الله ، بل وينهب أبعد مسن
ذلك أنه إذا تعارضت أحكام الشرع مع ما درج عليه آباؤه وأجداده من تقاليد
وعادات وأوضاع فضلها على حكم الله ورسوله . فيصير لا محالة هذا الصنف من
الناس عابداً لإله يعرف بالآبائية . قال تعالى : ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا
أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاءٌ وَمُهم
لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ)) . (٢)

ويؤكد القرآن الكريم على أن اتباع الآباء على ضلالهم وانحرافهم
العقدي والفكري والسلوكي لا يجتمع مع الإيمان الكامل الصحيح ولا يعطي صورة
إسلامية حقيقية لأصحابه ، فإما هذا المنهج أو ذاك . قال تعالى : ((وَإِذَا قِيلَ
لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ
السَّبْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ، وَمَنْ سَلِمَ مِنْ ذُنُوبِهِ وَإِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ، وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ
إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا)) . (٣)

- (١) - سورة الفرقان : الآيتان : ٤٣ ، ٤٤ .
(٢) - سورة البقرة : آية ، ١٦٩ .
(٣) - سورة لقمان : الآيتان : ٢١ ، ٢٢ .

ج - عبودية أهل الدنيا : أو طاعة غير الله ، ويكون ذلك مع عصيان الإنسان لأمر الله والإذعان لأمر الآخرين اعتقاداً منه أن ما يقوله زيد من الناس هو الحق وإن خالف ما جاء في شرع الله ، وأن فلانا يملك أن يرزقه من دون الله أو يفقره ، ولذلك تجب طاعته في كل الأحوال والظروف أو أن طاعة الشيخ هي طريق الفلاح والنجاة يوم الحساب ، ولو كان ضالاً مثلاً مبتدعاً في دين الله . وطاعة السلطان الجائر الحاكم في الناس بغير ما أنزل الله لا خير فيه . كما أن اتباع منهج أمة كافرة متطورة مادياً لا شبهة فيه إذا كان هو المخرج من التخلف . إن هذه المواقف وغيرها كثير وهي عين التيه والضلال ، وما أكثر ما يقع من أبناء أمة الإسلام في شرك هذه الطرق المعوجة اليوم . والحقيقة التي لا جدال فيها أن الإنسان المؤمن لا يستطيع أن يكون مسلماً حقيقياً إلا إذا مضى في طريقه في الحياة الدنيا على نهج الله ورسوله ولا يحيد عنه قيد أنملة ، فيكون عابداً لله وحده . أما حين يتخذ له أرباباً متفرقة يطيعها من دون الله فأنى له أن ينجو من حبات التيه والشroud في دروب الحماقة والجهالة النكدة .

وبصير المسلم مسلماً بحق عندما يحطم هذه الطواغيت الثلاثة في نفسه وفكره وعمله ، ويتطهر من أرجاسها إلى الأبد ، ويتمحض قلبه وعقله وجسده كله لسلطان الله وحاكميته ، لا يشرك به شيئاً ، وأما إذا لم يفعل ذلك وبقي له مع إيمانه بالله حظ لتلك الآلهة المزيفة تتحكم في قليل أو كثير من أمور حياته ، فيصعب عليه أن يتحقق بصيغة الله ، ((ولو صلى في اليوم خمسين مرة ، وصام صوماً مستمراً ، وأخذ شكل وهياة المسلمين ، فإنه قد يخدع الناس وقد يخدع نفسه معتقداً أنه مسلم حقيقي إلا أنه لا يمكن أن يخدع الله)) . (١)

٥ - خلافة الإنسان : ركز الامام المودودي كذلك في منظومته الفكرية

(١) - المودودي : المصدر السابق ص : ٢٥٠ ونحن والحضارة الغربية ،

على موضوع الانسان وحقيقته الفلرية ومنزلته في الكون ووظيفته في الحياة منطلقا في ذلك من التسور الذي طرحه الإسلام عن هذا الكائن المتميز ، وعن دوره الخاص في عمارة الأرض ، وعن مصيره في الدنيا والآخرة ، حتى يكون مؤمنا بخالقه متبعا لمنهجه ، وحين يكون كافرا به مخالفا لصراطه السوي .
ويعتقد المودودي أن الإنسان حر مختار بحكم فطرته التي فطره الله عليها ، من جهة تميزه بالعقل والوعي والإرادة والقدرة على فعل الخير أو الشر .

ويترب عن ذلك كله أنه مسؤول عن أعماله وسعيه في الحياة إن خيرا أو شرا أو شرا فشر . (١) قال تعالى : ((فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)) . (٢)

وبناء عليه فإن دور الإنسان في التاريخ يتميز بالفاعلية والإيجابية المؤثرة في الأحداث بشكل حاسم ومؤكد وفقا للوجهة العقدية التي يختزنها في وعيه وضميره ، ويتحرك بوعي منها حركة فاعلة في التاريخ .

وقد وضع المودودي تصوراته المتعلقة بنظام الحياة في الإسلام فيما يخص : النظام الخلقي ، والنظام السياسي ، والنظام الاجتماعي ، والنظام الاقتصادي والنظام الروحاني ، على أساس مفهوم الانسان الذي استقى حقيقته من الوعي أساسا . لأن هذه النظم في حقيقتها خادمة للإنسان ، ومساعدة له على القيام بمسؤولياته في الحياة ، ولن تكون كذلك ، ما لم تكن عند إنشائها تعبر عن حقيقة الإنسان في بعده المادي والمعنوي معا .

ومن ثمة فحضور الإنسان بجانبيه الأصليين ماديا وروحيا في العقيدة والفكر وأنظمة الحياة المختلفة ، مطلب فطري إسلامي يعبر عن وسطية الإسلام وشموله وواقعيته في بناء حضارة متوازنة تحقق إنسانية الإنسان . (٣)

٦ - الحاكمية : لقد تم عرض مفهوم الحاكمية في مبحث النظرية السياسية الإسلامية في فكر المودودي وتمت الإشارة إلى الأبعاد العقدية والقانونية

(١) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، ص : ٣٣ . ومبادئ الإسلام ، ص : ٢ .

(٢) - سورة الزلزلة : الآيتان ، ٨ ، ٩ .

(٣) - أنظر في ذلك كتاب المودودي ، نظام الحياة في الإسلام ، الذي كتبه كفرع عن تصوره لأركان الإيمان وحقيقة الإنسان في الإسلام .

والسياسية لهذا المفهوم الذي انفرد بوضعه الإمام المودودي في الفكر الإسلامي المعاصر . وكل الذين جاءوا من بعده استخدموا المصطلح فسي الأغلب الأعم بنفس المنامين التي أرساها المودودي في فكره العقائدي والسياسي على الخصوص . وأما التلويح إلى موضوع الحاكمية - مرة أخرى - ضمن هذه المفاهيم باعتبار أن المصطلح مفتاح فكر المودودي ، ومركز الدائرة من مشروع الفكري والعملية حين تصدى لمشروع البعث الإسلامي في هذا العصر .

ولذلك يرى الدكتور محمد عمارة : ((أن الحاكمية هي مفتاح فهم أغلب ما كتب الرجل أبي المودودي - في أغلب الميادين التي ناضل فيها بالكلمة وبالععمل لتجسيد هذه الكلمة في واقع الحياة)) . (١)

وقد كان مفهوم الحاكمية ولا يزال يتخلل المفاهيم السابقة التي شكلت منظومته الفكرية إلى حد بعيد . فتصوراته التي عرضناها سابقاً عن الإسلام ، والجاهلية ، ومهمة الأنبياء ، والرسول ، وخلافة الإنسان ، كلها تتداخل مع معاني الحاكمية ولا تنفصل عنها ، كما لا يمكن فهمها حق الفهم وسير أغوارها ما لم يكن مصطلح الحاكمية ماثلاً في كل حين في حساب القارئ لفكر المودودي والمتتبع له في ميادين العلمية والفكرية والحركية على حد سواء . وبإضافة عنصر الحاكمية إلى المفاهيم السابقة تكتمل صورة المنظومة الفكرية التي قدمها المودودي للفكر الإسلامي المعاصر كنموذج تجديدي بروم التجديد الكامل لأمر الدين في حياة المسلمين على مستوى التنظيم وصياغة البديل الإسلامي في الفكر والعلوم ونظم الحياة ، إلى تنزيل الدين في واقع الناس تنزيلاً صحيحاً فاعلاً يصبغ الحياة كلها بصفتها الشاملة ، ويهيمن على عناصر الحضارة برمتها في أبعادها المادية

(١) - د . محمد عمارة : أبو الأعلى المودودي والصحة الإسلامية : ١٨٧ .

والمعنوية ويقودها إلى شاطئ النجاة وبر الأمان . ويؤكد تلك المعاني بقوله : ((... فنحن لا نريد أن نحیی حضارة المسلمين وثقافتهم القومية وإنما نريد أن نحیی الإسلام ونقیم نظامه . ولا نخالف العلوم الحديثة وما أتت به من مخترعات ومستحدثات في مختلف شعب الحياة والكون . وإنما نحارب النظام الثقافي المدني الذي ولدته الفلسفة الغربية للحياة والأخلاق . . . ولا نكتفي بأن نصبح بصيغة الإسلام ناحية أو بعض نواح من الحياة ، بل نصر إصراراً شديداً على أن نجعل الإسلام هو المهيمن على الحياة الإنسانية بخلافها ، مهيمناً على الطباع الفردية ، والعشيرة البيتية ، ومسيطرًا على العلوم والفنون والآداب ومعاهد التعليم والتربية ومستولياً على محاكم القانون ، وميادين السياسة ودواوين الحكومة وإداراتها وإنتاج الثروة وتوزيعها .)). (١)

واضح من هذا النص أن المشروع التجديدي عند المودودي يختزن في روحه معاني الحاكمية على المستوى العقدي ، والقانوني ، والسياسي ، ولا يرضى عنه بديلاً حتى يتم إنجازه على كل صعيد .

(١) - المودودي : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ، ص : ١٨٠ ، ١٨١ .

ثانيا : الأثر العملي للإيمان في الحياة :

قال تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّىٰ يُقَدِّمَ مَا يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ)) (١) .
تعتبر عملية التغيير من الأهداف الكبرى لرسالة الإسلام ، وبناء الحياة في مجالاتها المختلفة على أسس التوحيد والعدل والحق وما إليها فهي مطالب عقديّة ، تطال تصورات الناس الاعتقادية ابتداءً ، وتخلص إلى صبغ أوجه الحياة بصبغة الإسلام انتهاءً ، تلك هي مقدمات بناء الحضارة الإسلامية تاريخاً ، وحاضراً ، ومستقبلاً في كنف المنهج الإيماني .
وقد حاول المودودي فيما كتبه عن العقيدة الإسلامية أن يعرض أركانها مفصلة ومجملّة ، يحدوه في ذلك كشف معالم طريق تأثير الإيمان في القلب والفكر والعمل ، قصد إعادة البناء الحضاري للأمة الإسلامية في هذا العصر ، على ذات الأسس ، ومن نفس المنطلقات . وقد اعتمد منهجه على الأسلوب النقلي في بيان حقيقة أركان الإيمان وصلتها ببعضها وتأثيرها الفاعل وعضدها أحياناً أخرى بالأسلوب العقلي لما يتسع المجال لذلك فسي اثبات حقائق العقيدة أو رد شبهات المفرضين عنها بالعقل وغالباً ما ينطلق في ذلك من مقدمات علمية وأدلة كونية من سنن الخلق في الآفاق والأنفس .

والغاية من ذلك كله هي إثبات حقا نية ما يدعو إليه الإسلام من عقائد ، وأن اليقين بها جملة وتفصيلاً أمر لا بد منه ، ويجب أن يؤسس على الاقتناع العقلي ، والالتمثان القلبي ، لينتقل الأثر الطيب بعد ذلك إلى فكر الإنسان ، وسلوكه ، فتنتبج من ثم سيرته الفردية ، وسائر علاقاته بطابع تلك الحقائق العقدية وصفاتها الخلقية وأحكامها التشريعية .

وحيثما يتشكل مجتمع يضم عددا لا بأس به من هذا الصنف ^{من} الناس تسراه يقيم مواءمات المجتمع على قواعد متينة ويديرها بكفاءة عالية ويفرز إلى الوجود حياة مدنية مضمومة ، ونموذجاً حضارياً يتسم بسمات نوعية ويحمّل

(١) - سورة الرعد : الآية ، ١١ .

رون أصولها وأسسها التي تتربها الفرد الذي استبنت سيرته بحقائقها أول الأمر . ومن ثمة تنشأ الفروق بين الحضارات ، وتتمايز باختلاف أسسها ومعاييرها ، وقيمها العليا المكونة للروحية العامة للوجود . ومما تجدر الإشارة - للتنبيه عليه وتأكيدُه هو أن التصور الإسلامي للوجود الذي أقيمت على أساسه الحضارة الإسلامية في الماضي هو عينه الآن في مرحلة إرهابات البعث الحضاري الجديد يحمل نفس القيم والمفاهيم والأحكام الكلية والجزئية فيما هي حقيقة عالمي الغيب والشهادة . وقد كان حجر الأساس الذي قامت عليه الحضارة الإسلامية في التاريخ ، هو التصور الخاص للإنسان الذي جاء به الإسلام عن حقائق الإنسان الفلرية ، ومنزلته في الدنيا والغاية القصوى من وجوده ، وكدحه في حياته ، كل ذلك تلخص في قاعدتين أساسيتين :

الأولى : أن الإنسان وحده من بين المخلوقات الأخرى على ظهر الأرض يستحق الخلافة . قال تعالى : ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)) . (١)

والثانية : بمقتضى منزلة الإنسان في الأرض جعلت الغاية القصوى من حياته هي نيل مرضاته تعالى . قال تعالى : ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)) . (٢) وقال أيضا : ((قُلْ إِن صَلَّاتِي وَنُكْحِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)) . (٣)

وتحقيق مرضاة الله تعالى كغاية قصوى من حركة الإنسان في الحياة على كل صعيد مطلب عظيم يستغرق كل أعماله وجهوده الخيرة من المحييا إلى الممات . ويستلزم ذلك اتباع منهج الله تعالى الذي أرسل به أنبيائه والأخذ بأحكامه كلها عقيدة وأخلاقا وتشريعا . ولذلك نرى أن رسالة الإسلام الخاتمة تشترط لتحقيق تلك الغاية الهامة شروطا بعينها ، لا تتحقق إلا إذا تم استيفاؤها من قبل الإنسان

(١) - سورة البقرة : آية ، ٢٩ .

(٢) - سورة الداريات : آية ، ٥٦ .

(٣) - سورة الأنعام : الآيتان ، ١٦٤ ، ١٦٥ .

المؤمن من أولاً بأول ، وهي :

- ١ - أن ينال معرفة صحيحة بالله تبارك وتعالى .
 - ٢ - وأن لا يرى في أحد غير الله آمراً ولا ناهياً ولا حاكماً ولا مطاعاً على الإللاق ويجعل حريته الذاتية تابعة لأحكامه تعالى .
 - ٣ - وأن يتعرف على الطرق والوسائل التي ينال بها مرضاة الله تعالى ، ثم لا يقضي كل حياته إلا تبعاً لها شكلاً ومضموناً .
 - ٤ - وأن يتعرف على ثمرات مرضاة الله وعواقب عدم مرضاته تعالى حتى لا يغتر بالنتائج الناقصة الظاهرة لأعماله وأقواله في الحياة الدنيا .
- إن هذه هي الحاجات الأربعة التي تقتضيها أركان الإيمان الخمسة (١) لتكون محققة للغاية المطلوبة من الإنسان في حياته . ومن ثمة استخلص الإمام المودودي من أن عرض أركان الإيمان الخمسة في القرآن الكريم تستهدف تحقيق غايتين أساسيتين وهما :

- المعرفة .
- والعمل .

للوصول بعدهما إلى تحقيق الغاية الثالثة ، وهي مرضاة الله تعالى على النحو الآتي (٢) :

أ - إن كل الحقائق التي يقدمها القرآن عن ذات الله تعالى وصفاته تمنح الإنسان ابتداءً معرفة صحيحة بالله عز وجل الذي جعله خليفة في الأرض . وتكمنه انتهاءً من منهج العمل المالح لتحصيل رضوان الله في الدنيا والآخرة .

ب - وأن كل ما جاء في القرآن الكريم من حقائق عن وجود الملائكة ووظائفهم المتنوعة ، وعلاقاتهم المختلفة ذات الصلة بالخالق والكون والإنسان ، ما هي إلا أدلة تعرف الإنسان بهذه المخلوقات النورية وبحقيقتها العاربية من كل حجة تمنحها شيئاً من صفات الألوهية أو الربوبية

(١) - المودودي : الحضارة الإسلامية ، ص : ٢٨٤ .

(٢) - نفس المصدر : ص : ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

أو الحاكمة أو مشاركته في أي منها كلياً أو جزئياً بأي صورة من الصور .
 وبناءً على ذلك فإن الإيمان بتوحيد الله وربوبيته وحاكميته لنظام
 الكون فيما هي في جانبه التكويني كما في جانبه التشريعي سواءً بسواءً ،
 تجعل الملائكة في صف المخلوقات للباري عز وجل ومن عباده المكرمين
 الذين لا يعصون له أمراً . وينتج عن هذه المعرفة بالملائكة لدى المؤمن
 تنزيه لله عز وجل عن الشريك في كل شيء ، وتكسبه عظمة الله في قلبه
 فيفرض أمره إليه طواعية ورغبة خالصة . كما ينجم في أفكاره وأقواله
 وأعماله مع مراد الله ونهجه في حياته كلها .

ج - وأما الإيمان برسول الله وكتبه ، فيصل الإنسان من خلال المعرفة
 الصحيحة بهما إلى السقوف على المنهج الشامل لحياته الذي أراده المولى
 عز وجل هداية له في كدأمره المتعلقة بعالمي الغيب والشهادة . ومن ثم
 يستعد الإنسان ليلتزم عن يقين تام بشرع الله وحدوده التي دعاها إليها
 بواسطة رسوله وكتبه .

د - وأما المعاد ، أو الإيمان بالحياة بعد الموت ، فيقدمها القرآن
 على أسس واضحة تؤكد جملة الحقائق المتعلقة بطبيعة الحياة الآخرة
 ومعاييرها .

إن عقاب الله وثوابه للإنسان لا ينتهيان بانتهاء الحياة الدنيا
 وأن ليس النفع والضرر في الدنيا هو المقياس لمرضاة الله أو سخطه ، وإنما
 حقيقة ذلك تتجسد في الجزاء الأوفى لعباده يوم القيامة حين يجزيهم على
 أعمالهم جزاءً وفاقاً إن خيراً فخير أو شراً فشر .

ويسعى القرآن بأساليب مختلفة إلى أن يلقي في روع الإنسان حقيقة
 ارتباط فلاحه ونجاحه في الدنيا والآخرة، باتباعه لشرع الله والتزام
 حدوده في حياته قبل مماته .

ثالثا : مناقشة قضايا في فكره العقدي :

كثيرة هي الاعتراضات التي جوبه بها ما أنتجه فكر المودودي وطره قلمه ، بحق تارة ، وبتحامل سافر تارة أخرى .
ومن الاعتراضات ما هو وجيه وجدير بالقبول من الحيطة والحذر والدقة في تقدير حجم ذلك الاعتراض ، وقيمتها بموازين العلم والموضوعية المأدقة .
ولن نتعرض في بحثنا هذا إلا إلى القضايا التي تتعلق بمباحث العقيدة الإسلامية في فكر المودودي ، والتي حازت قسطا كبيرا من المناقشة والتدويم - لدى كثير من الدارسين - منها ما تعلق بالألوهية والربوبية وأكثرها انصب على مصطلح الحاكمية الوثيق الصلة بتصور الألوهية والربوبية في الفكر العقدي عند المودودي .

الأول : تبدل معاني كلمتي الإله والرب : يعتقد المودودي أن مفاتيح فهم القرآن أربعة : الإله ، والسرب والعبادة ، والدين ، فمن أراد أن يفهمهما فهما صحيحا شاملا وجب عليه أن يلم به من طريق الإحاطة بمعاني الألوهية ، والربوبية ، والعبادة ، والدين ، إحاطة كاملة ، ومن تعذر عليه إدراك حقيقة هذه المصطلحات تعذر عليه أن يعرف كنه التوحيد وما هية الشرك مما يجعله لا يخلص عبادته بالله وحده ، ولا يخلص دينه له (١)

ويرى المودودي أن أهل الجاهلية من العرب الذين نزل فيهم القرآن كانوا على علم تام بجميع المعاني التي تنطلق عليها المصطلحات الأربعة ولذلك فإذا قيل لأحد منهم : لا إله إلا الله ولا رب سواه ولا شريك له في الألوهية وربوبيته ، أدرك تماما ما دعي إليه من غير غموض ولا لبس ، فمن كفر بعد ذلك بالألوهية الله وربوبيته فقد كفر عن بينة ، ومن آمن بالله وربوبيته فقد آمن عن بينة وبصيرة من أمره ، وما سيؤول إليه وضعه العقدي والفكري والسلوكي من أحوال غير التي كان عليها من نبي قبل مع الشرك

(١) - المودودي : المصطلحات الأربعة في القرآن ، ص : ٧ .

وأوضاعه . وكذلك الشأن فيما يخص معاني العبادة والدين فكانت واضحة لديهم^{أحياناً} ما يكون الوضوح لاستعمالها في لغتهم بمعانيها المختلفة ، وعندما نلب منهم القرآن أن يعبدوا الله ويجتنبوا الطاغوت ، ويدخلون في السلم كافة منقطعين عن كل دين ، منضوين تحت لواء التوحيد ورسالته عرفوا طبيعة التغيير الشمولية لعقائدهم وأفكارهم ومناهج حياتهم التي جاء بها الإسلام ليقلبها رأساً على عقب . ومن نعمة كان رد فعلهم المضاد في غاية القسوة والعنادة للدعوة الإسلامية في مراحلها المختلفة ومناجزتهم لها كلما تمكنوا ولاحتلهم بارقة انتصار . وكان موقف المنضوين تحسب لواء دعوة التوحيد في غاية الصلابة والإصرار على الحق والأطمئنان التام لقضاء الله وقدره .

ويعني الزمن حدث تغيير في معاني هذه الكلمات وأنحر مدلولها في مفاهيم شيقة محدودة عما كانت تتسع له من قبل في عهد النزول^(١) ويرجع ذلك الانحار في رأي المودودي إلى سببين اثنين^(٢):

أ - قلة الذوق العربي السليم ونضوب معين العربية الخالصة في العصور المتأخرة .

ب - وأن الأجيال الأخيرة من أبناء المسلمين لم يبق لها من معاني كلمات، الإله ، والرب ، والعبادة ، والدين ، ما كان شائعاً في المجتمع الجاهلي وقت نزول القرآن .

وقد تأثر اللغويون والمفسرون للقرآن الكريم في العصور المتأخرة بالمعاني القاصرة المحدودة لتلك المصطلحات بدلاً من معانيها اللغوية الأصيلة الكاملة . ويضرب على ذلك أمثلة^(٣):

- فكلمة إله صارت عندهم مرادفة لكلمة صنم أو وثن .
- وكلمة رب أصبحت مترادفة للقائم بأمر تربية الخلق وتنشئتهم .
- وكلمة عبادة اقتضرت على معاني التأله والنسك والخضوع والملافة لله .
- وكلمة دين صارت منحصرة في مدلول التخلّة - بكر وتثديد النون - فحسبه

(١) - المصدر السابق : ص : ٩ .

(٢) - نفس المصدر : ص : ١٠ .

(٣) - نفس المصدر والصفحة .

وقد ترتب في رأيه نتيجة لذلك كله أن غابت معظم تعاليم القرآن عن فهم المسلمين ، مما جعل عقائدهم يتطرق إليها العنف وأعمالهم يغشها الوهن والارتباك ، رغم قبولهم دين الإسلام واعتبار أنفسهم في عداد المسلمين. (١)

ولهذه الأسباب مجتمعة كتب المودودي كتابه المصطلحات الأربعة في القرآن ليحقق بذلك الهدف الأساس من مؤلفه وهو الوقوف على المعانسي الحقيقية الشاملة والواسعة لتلك المصطلحات ، كي يتبين غرض القرآن الحقيقي وتعاليمه الأساسية (٢).

وقد انقسم الدارسون لفكر المودودي العقدي بشأن تقاريره تلك التي ضمنها مقدمة كتابه - الأنف الذكر - إلى فريقين : فريق معارض وفريق مؤيد . والفريق المعارض بدوره توزع إلى فئتين :

- فئة منتقدة متحاملة إلى الحد الذي وصلت فيه إلى التضييل والتكفير .
- والثانية : نبهت على الشطط في إطلاق الأحكام وتعميمها بدون قيداً وشرطاً .

١ - رأي الفئة الأولى المعارض : ويمثل هذا الرأي محمد يوسف البنوري من شيوخ الحديث بباكستان وقد ذهب في نقده ومواقفاته للإمام المودودي بعيداً حين استعرض رأيه في تقارير المودودي بشأن المصطلحات الأربعة في القرآن .

إن يرى أن دعوى المودودي العريضة الخاصة بجهل اللغويين والمفسرين بمعاني الألوهية ، والربوبية ، والعبادة ، والدين ، طيلة القرون الفارطة بعد نزول القرآن ، ينقضها هو بنفسه ، حين ينذر في شرحها بالرجوع ((إلى أئمة اللغة من القرون المتوسطة كابن الأثير الجزري ، وابن منظور الأفرقي ، والفيروز آبادي من النهاية ، واللسان ، والقاموس ، دون أن يبلغ شأوه إلى قدماء أهل اللغة كأبي عبيدة ، وأبي عبيد ، وأبي حنيفة الديثوري ،

(١) - المصدر السابق : ص : ١١ .

(٢) - نفس المصدر : ص : ١٢ .

وابن قتيبة ، وغيرهم ممن بعدهم من الأزهرى ، والجوهري ، فكيف استقام للمودودي أن يأخذ شرحها وبيانها ومعانيها الحقيقية والمجازية من هؤلاء الذين لم يعرفوا معانيها المرادة عند العرب حيث ولدوا مسلمين في بيت المسلمين ((١)).

ويرى الشيخ البنوري أن القول بمثل هذا الجهل لدى اللغويين والمفسرين يفتح الباب على مصراعيه لكل زيغ وضلال يرفع الثقة عن أرباب اللغوة والمفسرين طوال هذه القرون . ويفتح المجال واسعا أمام العقل للتأويل في القرآن كما يفهمه العقل والادراك كيفما شاء دون أن يستعين بأئمة اللغة وأرباب التفسير أمثال محمد بن جرير اللبيري ، والجرجاني ، والزمخشري وابن تيمية وابن القيم الجوزية وغيرهم . (٢)

وكيف يعقل أن نعتبر عبدة اللات والعزى قد عرفوا معاني الإله ، والرب ، والعبادة ، والدين ، وأمة الاسلام بعدهم التي تلت علوم النبوة جيلا بعد جيل تجهل معانيها على الرغم من أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما بعث إلا ليعلم الأمة الكتاب والحكمة ، وهو خاتم الأنبياء والرسل .

بعد هذه المؤاخذات العامة على تقارير المودودي فيما هي علاقة أفهام المسلمين بمصطلحات الإله ، والرب ، والعبادة ، والدين ، يرتب محمد يوسف البنوري عليها نتائج مجحفة ما كان له أن يصل إليها بالبحث العلمي النزيه الذي يطلب الحق بدليله . إذ نراه قد أصاب في إبطال دعوى المودودي بجهل أئمة اللغة والتفسير بتلك المصطلحات عبر العصور وهو نفسه يعتمد في شرحه وبيانه لمعانيها على معاجم اللغة وآيات القرآن الكريم الذي حفظ كل معاني العقيدة والشريعة والأخلاق وما نزل به الوحي الخاتم بلسان عربي مبين .

وتلك النتيجة الخطيرة التي قررها محمد يوسف البنوري في قراءته

(١) - محمد يوسف البنوري : الأستاذ المودودي وشيئ من حياته وأفكاره من ١٨-١٩

(٢) - نفس المرجع : ص : ١٩ .

المبتورة لكتاب المودودي الذي انتقد فيه مذهبته ، وفقرة من خاتمته فحسب دون أن يستعرض تفاصيله ، لأنه لو ذكر ما جاء به المودودي في المباحث كلها ما حكم بذلك الحكم القاسي الذي ورد في المقدمة بقوله : ((... وقد دعت الحال إلى أن أنادي على رؤوس الأَشهاد أن الرجل زائغ ، زال مضل في كتبه ورسائله طامات ، منها : ما يوجب الفسق ، ومنها : ما يوجب الابتداع في الدين ، ومنها : ما يوجب الإلحاد ، ومنها : ما يوجب أن أسكت عنه وفي بعضها دلالة على جهلهم بالدين وغباوتهم على اليقين ، وتضارب وتهافت في بياناته وكتابات ، وتجهيل للسلف الصالحين من أقدم العصور إلى يومنا هذا ...)). (١)

الحقيقة هذا تحامل وغلو غاية في الظلم والخطأ ، بعيد كل البعد عن روح العلماء ، وأخلاقيتهم ، في الحلم والأناة ، ومخالف للمنهج العلمي في التحقيق وتحري الصواب ، خصوصا وأن الناقد من شيوخ الحديث عالم بالسنة وبقواعد الجرح والتعديل ، والذي هو محل النقد والتجريح من علماء الإسلام ومن دعائه وقادة الصحوة الإسلامية المعاصرة . بالإضافة إلى تراثه الفكري والعلمي الذي يملأ المكتبات في مشارق الأرض ومغاربها بكل اللغات الإسلامية وغير الإسلامية .

وجملة القول أن أية دراسة منصفة مهما أحصت من أخطاء للرجل وهفوات فكرية ، فإنها لن تصل إلى حد الحكم عليه بهذه الأحكام الجائرة ، من زيغ وضلال وابتداع في الدين وإلحاد ، وما إليها من الأوصاف التي تخرج المسلم من الدين أصلا .

٢ - رأي الفئة الثانية المعارض : هذه الفئة اعترضت على رأي المودودي القائل بجهل المسلمين بمعاني المصطلحات الأربعة لانحسار مفاهيمها تدريجيا بعد عصر نزول الوحي .

(١) - المرجع السابق ، ص : ١٦ .

غير أنها وفتت عند حدود المناقشة العلمية، ولم تتجاوز في اعتراضها آداب الإسلام، من إنساف وعدل وتسامح عند الاختلاف في الرأي، ولم ترق بالحكم على المودودي إلى درجة التفسير أو التكفير لمجرد أنه بالغ في تقريراته تلك التي دفعته إلى بذل الوسع في بيان معاني كلمات الإله، والرب، والعبادة، والدين، كأحسن ما يكون لبيان الشرح في هذا العصر.

رأي حسن الهضيبي: ^{الأستاذ} ومن هو لأحسن الهضيبي في كتابه دعاة لا قضاة، والشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي في رسالته التفسير السياسي للإسلام. يرى الأستاذ حسن الهضيبي رحمه الله أن ما قرره الأستاذ المودودي بأن معاني الألوهية والربوبية والعبادة والدين كانت شائعة معروفة بين العرب قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انحسرت معانيها فصارت محدودة بعد ذلك، تقرير لا يقره الواقع. ((ذلك أنه أياً كانت المعاني التي كانت شائعة في الجاهلية لتلك الكلمات فإن القرآن الكريم قد جاء محددًا ما يقصده من كل منها. معرفًا المفهوم المعني من كل لفظة من ألفاظها مبينًا ذلك غاية البيان... قد أغنى عن الرجوع إلى أصل تلك الكلمات في اللغة وما كان لها من معان قبل نزوله، ولا يستريب مسلم أن بيان القرآن الكريم هو الأحكام والأوضح والأشمل والأجل، بل هو الذي يتعيّن الأخذ به والتسليم. بمقتضاه سواء وافق ذلك ما كان قبل نزوله أم لا. (١)

وقد زخر القرآن بالآيات البينات لمعاني الألوهية والربوبية، والعبادة والدين، فعندما نفتح المصحف على أول سورة فيه نجد: بسم الله الرحمن الرحيم. وهي بلا ريب تعريف بلفظ الجلالة، ثم نقرأ سورة الفاتحة فنقف فيها على بعض معاني الألوهية والربوبية، والعبادة، والدين، مجتمعة ويستمر القرآن في التعريف بها إلى آخر سورة فيه. (٢)

(١) - حسن اسماعيل الهضيبي: دعاة لا قضاة، ص: ١٩، ٢٠.

(٢) - نفس المرجع: ص: ٢٠.

ثم يؤكّد الهنوبي ويجزم أن أي مفسر لا يحتاج أن يستنجد باللغة أو بما كان عليه مفهوم الألوهية والربوبية في الجاهلية بعد الذي يجسده من بيان كاف لمعانيها الناملة بيندفتي المسحف الشريف. (١)

وخلاصة القول أن القرآن الكريم قد استعمل في الكثير من الآيات كلمتي الإله والرب بمعنى واحد كترادفين ، وما قول فرعون (٢) : ((مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)) . (٣) إلا كمثل قوله : ((أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى)) . (٤)

أما دعوى المودوبي أن القرآن الكريم لما نزل في العرب وعرض عليهم كان كل امرئ منهم يعرف ما معنى الإله وما المراد بالرب فأمر يحتاج إلى مناقضة ، إذ لا يكفي التدليل على سحفة هذا : ((الادعاء بشيوع معانسي كلمتي الإله والرب بين العرب الناطقين بالضاد)) . (٥) وذلك راجع إلى :

أ - صعوبة التأكد من علم كد فرد على وجه التحديد والتعيين بمعانسي الكلمتين ، ولو سلمنا بشيوع معانيهما في قلاع كبير من الناس لا نجزم أن يندعم بينهم من أخطأ الفهم أو لم يبله العلم .

ب - إن الذين كانوا ينجّدو الحجاز زمن البعثة النبوية لم يكونوا من العرب فحسب بل كان فيهم أعاجم لا نجزم بمعرفتهم لغة الضاد معرفة أهلها وهؤلاء أمثال الفرس والرومان والأحباش ، وقد حفظ لنا التاريخ أسماء منهم سلمان الفارسي ، وصهيب الرومي ، وبلال الحبشي ، وغيرهم .

ولقد كانت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم للناس كافة على سواء وهناك من الحوادث التاريخية ما يؤكّد جهل الكثيرين من العرب لِمَا دُعُوا إليه من أمر الألوهية والربوبية وقد حدث ذلك بحضور النبي صلى الله عليه وسلم والناس مؤمنون بالعقيدة الجديدة ، واعتبرهم النبي مع ذلك مسلمين

(١) - المرجع السابق : ص : ٢٤ ، ٢٦ .

(٢) - نفس المرجع : ص ، ٢٦ .

(٣) - سورة القصص : ص ، ٢٨ .

(٤) - سورة النازعات : ص ، ٢٤ .

(٥) - الهضيبي : المرجع السابق ، ص : ٣٠ .

ببعض معاني التوحيد ومفهوم الشهادة . (١)

يقول الهضيبي : ((أورد الشاطبي في كتابه الاعتصام : أنه ورد في الصحيح عن أبي واقد الليثي رضي الله تعالى عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خيبر ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون حولها وَيَتَوَلَّوْنَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يقال لها ذات أنواط . فقلنا يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال صلى الله عليه وسلم : الله أكبر كما قالت بنو إسرائيل . اجعل لنا إليها كما لهم آلهة . لتركبن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا في جحر نبل لا تبعتموهم . قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : نعم)) (٢)

فكيف بنا نقول عن هؤلاء الذين طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم آلهة مع الله يعكفون عليها ، أنهم بمجرد أن دعوا إلى الله وآمنوا به قد أدركوا تماما حقيقة الألوهية والربوبية والعبادة بالمعاني كلها من غير ما ليس ولا إلهام ؟

كما يرجع سبب مناقشة الأستاذ الهضيبي أيضا لمقدمة كتاب المودودي ((المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم)) إلى انعكاساته الفكرية على مواقف فئة من شباب الدعوة في سجون مصر في عهد جمال عبد الناصر . إذ رتبنا على تلك المقدمات نتائج زعموا أنها حكم الله تعالى وأسفلوها على واقعهم ، فصار الناس في زعمهم لا يعرفون حقيقة معاني الإله ، والرب ، والعبادة ، والدين ، ومن ثم فهم حين يلفظون بألسنتهم شهادة ((لا إله إلا الله محمد رسول الله)) ، إنما يريدون كلاما لا يفقهون حقيقته ، ولذلك فلا يعتد بإسلام من نطق بالشهادة اليوم مادام لا يدري حقيقة مفهومها ومعانيها الأساسية .

((وواقع الحال شاهد على ذلك ، إذ أن كثيرا ممن ينطقون بالشهادتين يأتون في نفس الوقت أعمالا هي الشرك بعينه . كما أن واقع

(١) - نفس المرجع : ص : ٢٠ ، ٢١ .

(٢) - نقلا عن المرجع السابق : ص : ٢٠ ، ٢١ . من الاعتصام للشاطبي :

حياة الناس يشهد بخروجهم على أحكام الدين فيما يتعلق بأنظمتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وسائر شؤون حياتهم ، مع إصرارهم على النطق بالشهادتين ، والزعم بأنهم مسلمون ، وخلصوا من ذلك إلى : أنه لا يعتبر مسلماً تجاوز معاملته على هذا الأساس والصلاة وراة إلا من تأكدنا من فهمه لحقيقة معاني الشهادتين ومفهومهما ((١).

ثم يصل الأستاذ الهنيزي بعد مناقشة مطولة لآراء الأستاذ المودودي وآراء من رتب عليها من النتائج الخطيرة في الحكم على الناس إلى مذهب جمهور المسلمين القائل ببطلان الحكم بعدم إسلام من نطق بالشهادتين إذا جهل مفهومهما ، اعتماداً على رأي المودودي المرجوح والقاضي بانحار مفهومهما ، ومحدوديته في عصرنا هذا بالمقارنة مع زمن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وعهد الصحابة رضوان الله عليهم . والحقيقة أن الذي ثبت بدليل الكتاب والسنة والتاريخ ((من أن معناهما لم يزل شائعاً بين الناس بل أكثر شيوعاً وأكثر وضوحاً مما كان قبل نزول القرآن الكريم)) (٢) قال تعالى : ((إِنَّا نَحْسَنُ نَزْلَٰتِنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَٰفِظُونَ)) (٣)

وفوق ذلك فإننا لم نجد نفاً من الوحي يربط بين شيوع معنى الألوهية والربوبية في جماعة من الناس وبين قبول شهادة من شهد منهم أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . تم الحكم بإسلامه بعد ذلك . ((واشترط هذا الشرط شريعة زائدة لا تقبل إلا أن يقيم القائل بها البرهان عليها من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم)) (٤)

ويحدثنا التاريخ أن الفاتحين من الصحابة والتابعين الذين فتحو بلاد الشام وفارس ومصر وشمال أفريقيا والأندلس وثركيا وغيرها كانت بلاد كلهم تجهل لغة العرب ، ((وكان إجماع الصحابة والتابعين - المنقول إلينا الكافة عن الكافة - على قبول أهل تلك البلاد في الإسلام بشهادة

-
- (١) - الهنيزي : المرجع السابق ، ص : ١٨ ، ١٩ .
 (٢) - المرجع السابق : ص : ٣١ .
 (٣) - سورة الحجر : آية ، ٩ .
 (٤) - الهنيزي : المرجع السابق ، ص : ٣١ .

((أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)) . وعصمت بها دماؤهم وأموالهم وأجريت عليهم شرائع الإسلام ، ثم علموا شيئاً فشيئاً ما كانوا يجهلون من أحكام وشرائع . ((١٠٠)). (١)

ومن غير المعقول أن نقول اليوم عن هؤلاء أن معاني الألوهية والربوبية كانت شائعة بينهم مع جهلهم للغة العربية أكثر من شيوعها بيننا اليوم .

رأي أبي الحسن علي الحسيني الندوي : بعد إشادة مستفيضة بمآثر الامام المودودي الفكرية في مواجهة المفاهيم الغربية ، ومقاومته ونقده اللاذع لحركة التقدمية ، والتجدد ، والقومية مما أثر تأثيراً طيباً على الطبقة المثقفة بين المسلمين في الهند في الثلاثينات من القرن الميلادي الحالي تمنى أبو الحسن الندوي أن لو اقتضت جهود المودودي على هذا الميدان ميدان نقد الأفكار الغربية ، ونظام الحياة الغربي ، ووقف عليه حياته العلمية الخصبية . غير أنه لطف بغير وجهته شلر عمل آخر اعتبره أساساً لبناء الجماعة الإسلامية ، وقاعدة فكرية لجمع كلمة المسلمين وتشبيد نهضتهم . وهذا العمل أسماه أبو الحسن الندوي ((السياغة الجديدة للفكر الإسلامي)) ، ويعني بصفة خاصة كتاب المودودي الذي ألفه في بدايته الأربعينات تحت عنوان ((المصالحات الأربعة في القرآن)) فسر فيه تلك الكلمات الأربعة التي يدور عليها الإسلام ، وتقوم عليها تعاليمه ودعوته وينبثق عنها نظام الحكم الإسلامي ، وهي كلمات : الله ، والرب ، والعبادة ، والدين .

هذا التفسير تميز بالطابع السياسي المتجلي في معاني حاكمية الإله وسلطان الرب التي أقام عليها المودودي مفهوماً خاصاً لعلاقة الفرد بربه تمثل في أن الغرض من نزول القرآن والدعوة إلى الله هي تأسيس الحكيم الإسلامي ، وإقامة الحكومة الإلهية فقط . (٢)

(١) - نفس المرجع ، ص : ٣٣ .

(٢) - أبو الحسن علي الندوي : التفسير السياسي للإسلام ، ص : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .

ويرى أبو الحسن الندوي أن كتابات المودودي تمثل مدرسة فكرية في فهم الدين تعكس الفهم السياسي التنظيمي له فحسب ، وهو حتماً فهم يختلف عن فهم ((المنهج الإسلامي الأول في الروح والدوافع ، والنفيسة والعقلية ، والأهداف والغايات ، والمثل والقيم ، ويضعف ما جاهدله الرسول وأصحابه ، من إخلاص الدين لله ، والعمل للأخرة ، وروح الإيمان والاحتساب المسيطرة على الحياة كلها ، السارية في الأعمال والتصرفات بأسرها ويتحول هذا الكفاح إلى مجرد عملية تنظيم جماعي ، أو محاولة الحصول على الحكم والسلطان للمسلمين ، وقد يكون تحولا لا رجعة بيده إلى الأصل والمصدر ، كما جرب ذلك مرارا في تاريخ الأديان والفسوق والدعوات والحركات)). (١)

ثم تناول مقدمة كتاب المسالحات الأربعة بالنقد وتصحيح ما يراه في حاجة إلى ذلك ، مبرزاً القضايا محل الاختلاف عرضاً ، ومناقشة ، في طرح سؤالاً يلخص به فقرات للمودودي جاءت في كتاب المصطلحات الآتي :

هل بقيت المصطلحات الأربعة القرآنية مجهولة منغمورة عبر قرون متطاولة وغابت عن الناس روح الإسلام الحقيقية؟ (٢)

إن الإجابة بنعم على هذا السؤال هي للمودودي بطبيعة الحال كما أسلفنا .

غير أن الأستاذ الندوي يتوقع من هذه الإجابة جملة من المعاذير قد تعرض للقارئ الذي لم يتعمق في العلم ولم يرسخ إيمانه بحفظ الله للقرآن العنليم . وأن الأمة لم تنج من الضلال العام والجهالة المطبقة منذ أمد بعيد ، فلم تتبين حقيقة الكلمات التي يدور حولها القرآن وتقوم عليها تعاليمه ودعوته إلا في هذا العصر حين قبض الله لها الأستاذ المودودي يرفع عنها اللثام وغبار القرون . (٣)

-
- (١) - نفس المرجع : ص : ١٩ ، ٢٠ .
 (٢) - المرجع السابق : ص : ٢٩ .
 (٣) - نفس المرجع : ص : ٣٣ .

إن هذا الفهم لم يشكل خطورة معتبرة لأول وهلة ، إلا أن عواقبه على التفكير الإسلامي جد خطيرة ، ((لأنه يشكك في صلاحية هذه الأمة ومركزها القيادي والدعوي ، وفي فهم هذه الأمة لهذا الكتاب والعمل به في تاريخها الطويل ، ويقلد من مآثر المجددين والمصلحين والمجاهدين العلمية والعملية ، فإن الكتاب الذي لم ينهم حق الفهم في أطول مدة وأخصبها عملاً وعلماً وكفاً ، يشك في إبانته ووضوحه وإفادته ، ويشك في كل ما يقال عنه ويفسر به في هذا العصر وبعده ، وذلك بفتح الباب للتوسع في تأويله على مسراعيه - كما فعلت الباطنية في مختلف أشكالها - وينجع المحاولات التي ترمي إلى تحويل الحقائق الدينية إلى لغز مستعص على الفهم والإدراك)) . (١)

أ - صلة الكلمات بالمعاني في الإسلام : يرى أبو الحسن الندوي أن صلة الكلمات بالمعاني في ديننا لها ميزة خاصة ، ولها ظوابطها وشواهدنا النظرية والعملية ، ذلك أن أصول الديانة الإسلامية وعقائدها وتشريعاتها إنما عرضت في أطر ألفاظ وكلمات تدل عليها وتعبّر عنها ، وهذا شأن كل رسالة جديدة . حيث يقول المولى عز وجل : ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يَلْسَانٍ قَوْمِهِ لِيبَيِّنَ لَهُمْ)) . (٢) فكل من كلمات : ((النبوة ، و الرسالة ، والملائكة ، والمعاد ، والجنة ، والنار ، والشريعة ، و الفرض ، والواجب ، والحلال والحرام ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، الخ)) . (٣) قد تعينت معانيها وتواترت عملياً ولفظياً في الأمة وتديننت بها طيلة القرون الماضية إلى اليوم . وميزة المصالحات الإسلامية الشرعية الأساسية تؤذي معنى خاصاً ومفهوماً لا يشك فيه مسلم ، ولا يختلف فيه إثنان مهما تغير الزمان وتبدل

(١) - نفس المرجع : ص : ٣٤ .

(٢) - سورة إبراهيم : آية ، ٥ .

(٣) - أبو الحسن الندوي : المرجع السابق ، ص : ٣٥ .

المكان ، فمصطلح نبوة أو معاد مثلاً ، تعين مفهومها الإسلامي منذ فجر الرسالة الخاتمة ولا يزال المسلمون يدينون بمعانيها ومفاهيمها التي تحدت منذ ذلك الحين وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . ولهذه الصلة بين الكلمات والمعاني الواضحة الثابتة لأصول الدين تدين الوحدة الدينية والفكرية التي يمتاز بها المسلمون في كل عصر ومصر عن غيرهم من أهل الملل والأديان الأخرى ، التي تفتقر بنيتها الفكرية ، ونظامها العام إلى مثل هذه الصلة بين الكلمات ومعانيها . (١)

ب- بيان القرآن ووضوحه : إن الله سبحانه وتعالى قد وصف كتابه بالإبانة والوضوح في مواضع كثيرة من آي الذكر الحكيم ، وعليه فإن القول بتبدل معاني المصطلحات الأربعة وغموضها هكذا بإطلاق يخالف الحقيقة العلمية . قال تعالى : ((الر ، تلك آيات الكتاب المبين ، إنا أنزلناه قرآنًا عربيًا لعلكم تعقلون)) . (٢) وقال آينا : ((الر ، تلك آيات الكتاب وقرآن مبين)) . (٣) ((حم ، والكتاب المبين)) . (٤) أيعقل بعد هذا التأكيد من المولى عز وجل على بيان القرآن الكريم ووضوح معانيه ثم يعجز عن تفهيم مصطلحاته الأربعة وما يتصل بها من عقيدة وعمل ودعوة . ورغم وضوح هذه القضية لدى الامام المودودي في تفسيره للقرآن بخلاف ما جاء في مقدمة كتاب المصطلحات الأربعة ، فإنه يقول عن كلمة ((المبين)) في تفسيره لسورة الحجر : ((أنها تعني أن هذه آيات القرآن الذي يفصح عن مفاهيمه ومدلولاته في صراحة ووضوح)) . (٥)

كما نص القرآن في آيات أخرى على أن آياته أفضل عن بيانها ووضوحها آيات محكمة ومنفصلة .

-
- (١) - نفس المرجع : ص : ٢٦ .
 - (٢) - سورة يوسف : آية ، ١ ، ٢ .
 - (٣) - سورة الحجر : آية ، ١ .
 - (٤) - سورة الزخرف : آية ، ١ .
 - (٥) - نقلا عن التفسير السياسي للإسلام لأبي الحسن الندوي ، ص : ٢٨ .

قال تعالى : ((الر ، كتاب أحكمت آياته ثم فسلت من لدن حكيم خبير)) . (١)
يقول العلامة الألوسي في تفسيره ((روح الساني)) في حديثه عن كلمة
((محكمات)) في سورة آل عمران : ((صفة آيات : أي واضحة المعنى ظاهرة
الدلالة ، محكمة العبارة ، محفوظة من الاحتمال والاشتباه)) . (٢)

بعد هذه المناقشة والبيان الواضح لحقيقة كتاب الله عز وجل ((لا
ساع للقول بأن الكلمات القرآنية الجذرية ، التي لا يمكن الوصول إلى
مفاهيم القرآن ومعانيها الحقيقية ، وأحكامه ومطالبه المرادة ، بدونها ،
بقيت قرونا طويلا غير مفهومة ، منطوية على معانيها)) . (٣) ثم ختم
تعليقه بتنفيذ القول بجهالة الأمة المسلمة عبر التاريخ بمعاني المصطلحات
القرآنية الأساسية ومدلولاتها الحقيقية ، استنادا إلى الكتاب والسنة
وشهادة العقل السليم . قال تعالى : ((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)) . (٤) ((فلو قالت الأمة
في الدين بما هو ضلال لكانت لم تأمر بالمعروف في ذلك ، ولم تنه عن
المنكر فيه)) . (٥) وقال تعالى : ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)) . (٦)

والحديث النبوي الذي رواه البيهقي : ((يحمز هذا العلم من كل خلف
عدو له ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهليين)) . (٧)

كما لا يصدق عاقل أن هذه الأمة التي أنجبت بعد عصر الرسالة علماء
أعلام في شتى الفنون والعلوم لا زالت أعمالهم وماثرهم تذكرهم في كل عصر

-
- (١) - سورة هود : آية ، ١ .
 - (٢) - تفسير روح المعاني : ج ٣ ، ص : ٧٥ .
 - (٣) - أبو الحسن الندوي : المرجع السابق ، ص : ٤١ .
 - (٤) - سورة التوبة : آية ، ٧٢ .
 - (٥) - الندوي : المرجع السابق ، ص : ٤٥ .
 - (٦) - سورة البقرة : آية ، ١٤٢ .
 - (٧) - مشكاة المصابيح : كتاب العلم ، الفصل الثاني : ١٧٠ ، ١٦١ .

ومصر على رأس أزهى مراحل الحضارة الإسلامية . ثم بعد ذلك نقول أن الأمة عاشت في جهل مطبق بتلك الحقائق الأساسية التي هي مفتاح فهم كتاب الله والدعوة إليه . (١)

٣- رأي المدافعين : انبرى بعض الكتاب يدافع عن أفكار الأستاذ المودودي التي وردت في مقدمة كتابه ((المصطلحات الأربعة في القرآن)) ولذلك اتسمت مناقشتهم وردودهم بمسحة من التعميم والتبرير ، وخلصت من التحليل والمناقشة الرصينة . فعثلا أليف الدين الترابي يرى أن كتاب المصطلحات الأربعة من أهم مؤلفات المودودي التي بين فيها مفاهيم الإله ، والرب ، والعبادة ، والدين . وأحس معانيها على ضوء القرآن والسنة واللغة بنفس السعة والشمول التي كانت عليها عند نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم . وقد دعت الحاجة إلى ذلك لما أصاب هذه المصطلحات من قصور وإبهام بمرور الزمن حتى نسي المسلمون مفاهيمها وضاقت معانيها ، فكانت النتيجة أن اختفى المفهوم الصحيح للإسلام . ومن ثمة كانت مهمة الأستاذ المودودي الأولى في مشروع الدعوي هي إحياء المفهوم الكامل والصحيح لهذه المصطلحات باعتبارها مفاتيح القرآن كله ، وأساس الدعوة إلى الله والبيان الكافي لحقيقة الإسلام .

وقد خلاص في نهاية الأمر إلى أن العلماء والمشايع الذين انتقدوا تفسير المودودي لهذه المصطلحات لا قيمة لها ، ذلك أن أدلتهم التي جاؤا بها لا تساوي ، ولا تنال من الأدلة التي جاؤا بها المودودي وهي متفوقة على أدلتهم وحججهم إلى اليوم . (٢)

بينما يتوسع في المناقشة والرد كاتب آخر ، وهو سيد أحمد القادري من الجماعة الإسلامية التي كان يرأسها الأستاذ المودودي . وقد ناقش سيد أحمد القادري الانتقادات التي وجهها أبو الحسن علي الندوي لكتاب

(١) - الندوي : المرجع السابق ، ص : ٤٥ .

(٢) - أليف الدين الترابي : مرجع سابق ، ص : ٢٣٣ - ٢٢٤ .

المصطلحات الأربعة في القرآن ، في رسالة متوسطة الحجم بعنوان ((التفسير الحقيقي للإسلام)) والرد على كتاب التفسير السياسي للإسلام للندوي .

أ - منهج المودودي في كتاب المصطلحات : يستعرض سيد أحمد القادي المنهج الذي سلكه الأستاذ المودودي في بيان معاني المصطلحات الأربعة في القرآن :

يبدأ المؤلف بالتحقيق اللغوي للكلمة وما لها من المعاني المختلفة في معاجم اللغة . ثم يصنف تلك المعاني في نقاط متتالية ثم يستشهد على تلك الاستعمالات اللغوية في تصور الجاهلية بآيات قرآنية ويأتي بالآيات التي يستدل بها القرآن على ما يدعو إليه في باب الألوهية كما في باب الربوبية ، وكذلك العبادة والدين ، (١) يقول : ((هكذا ذكر الأستاذ المودودي آيات من القرآن تبين تصورات أهل الجاهلية في غير هذا الباب ، وفسر مصطلحات الرب ، والعبادة ، والدين ، كتفسيره لمصطلح الإله وسلك في تفسيرها مسلكه الأول ونسج على ذلك المنوال ، فترى كيف استند إلى القرآن لايضاح حقيقة هذه الكلمات الأربع : الإله ، والرب ، والعبادة ، والدين ، وماذا كانت من تصورات أهل الجاهلية عنها . وقد نقل الأستاذ المودودي أكثر من مائتي آية)) (٢) .

ب - منهج الندوي في نقد كتاب المصطلحات : يعتقد سيد أحمد القادي أن الأستاذ الندوي لم يتعرض للأدلة التي ساقها المودودي على دعواه في كتاب المصطلحات ، ((فإنه إن قرأ أحد استعراض الندوي لكتاب المودودي ولم يتيسر له مطالعة كتاب المودودي مباشرة علم أن المودودي إنما ادعى ولم يأت عليها ببينة)) (٣) .

الحقيقة أن الأستاذ القادي يخلط في ملاحظته السابقة بين أمرين منفصلين وهما مقدمة كتاب المصطلحات التي ضمنها الأستاذ المودودي

(١) - سيد أحمد القادي : التفسير الحقيقي للإسلام ، ص : ٢٢ .

(٢) - نفس المرجع : ص : ٣٣ .

(٣) - نفس المرجع : ص : ٢٤ .

تقارير عامة ، وبين مباحث الكتاب التي تناول فيها معاني المصطلحات الأربعة ومفاهيمها بالدليل اللغوي والقرآني بما لا يحتاج إلى مزيد من التفصيل . وقد ناقشه أبو الحسن الندوي فيما نهب إليه من تفسيرات محددة وإن كانت تستند إلى اللغة وآي القرآن . كما هو الشأن في اقتصار المودودي في بيانه على حاكمية الإله والرب فحسب ، واعتبار الحاكمية هي الفكرة المركزية للمصطلحات الأربعة . (١)

الثاني: نقد الحاكمية الإلهية : لقد استرعت فكرة الحاكمية اهتمام كثير من الباحثين والمحللين للفكر الإسلامي المعاصر عامة ، والدارسين لفكر المودودي خاصة لأن هذا الأخير هو الذي وضع المصطلح وحدد معانيه وجعله قضية محورية في فهمه للعقيدة والدين ، وأساس مشروع الحركي التغيير في صيغ فكر المسلمين وحياتهم بالسبغة الإسلامية الخالصة . وقد كان لمصطلح الحاكمية تأثير فكري معتبر على أهم رواد الفكر الإسلامي المعاصر أمثال سيد قلب الذي وظف الكلمة في تفسيره القيم في ظلال القرآن توثيقاً واسعاً ، كما جعله محور كتابه معالم في الطريق (٢)

وكان لنسج كتابات المودودي وسيد قلب وانتشارها بين شباب الصوة الإسلامية المعاصرة أثر بالغ في انتشار مصطلحات : كالألوهية والربوبية ، والحاكمية ، والجاهلية وغيرها ، بمنايين ومعاني تعيد للدين مكانته في العقول والنفوس تمهيداً لعودته إلى مضامير الحياة التي انحسر عنها بفعل الانحطاط الداخلي لأمة الإسلام وزاده التخريب إبعادا وعزلة حتى أصبح الدين في واقع المسلمين نسي أحسن الأحوال يمثل علاقة الفرد بربه في مجال العبادة والنسك فحسب .

غير أن البعض من هؤلاء الشباب ساء فهمهم لتلك المصطلحات وخرجوا عن الصواب فظلموا أنفسهم ، كما ظلموا هذه المصطلحات وقائلها . (٣)

(١) - أبو الحسن الندوي : التفسير السياسي للإسلام ، مرجع سابق ص : ٦٤
 (٢) - صلاح عبد الفتاح الخالدي : في ظلال القرآن في الميزان ، ص : ١٥٥
 (٣) - نفس المرجع : ص : ١٤٢ .

ولتلك الأسباب مبنية وما نتج عنها من آثار فكرية وعملية ايجابية وسلبية ، نوقشت فكرة الحاكمية من قبل بعض الدارسين من منظورين اثنين:

- ١- المنظور العقدي .
- ٢- والمنظور السياسي .

١- المنظور العقدي : يعتبر أصحاب المنظور العقدي في نقد الحاكمية أنها مجرد تعبير عن معاني وأحكام تضمنتها بعض آيات القرآن الكريم وأحاديث للنبي صلى الله عليه وسلم . ولم ترد اللفظة مطلقاً في الوحي كتاباً أو سنة ، بل هي مصطلح من وضع بشر غير معصوم ، ثم نسبها إلى المولى عز وجل . فقل ((حاكمية الله)) .(١)

ومن أكثر الدارسين تتبعاً لمصطلح الحاكمية في فكر المودودي الاستاذ الندوي الذي تأمل ملياً في كتاب المصطلحات الأربعة في القرآن وغيره من كتابات المودودي . حيث أستنتج من قراءته المتمعنة نتيجة مؤداها :

((أن الصلة بين الله والإنسان ، والعبد ، والرب ، هي في الواقع صلة لحاكم والمحكوم ، وصلة الرعية والملك ، وأن صفة السلطة (السلطة العليا) (الحاكمية المطلقة) هي الأمد من بين أسماء الله الحسنى وصفاته السامية الكثيرة . وكأن الدعوة إلى الإيمان بحاكمية الإله والانعسان لسلطته العليا وصوغ الحياة في قالب متطلباتها ، كان هدف النبوة الأساسي ، ومقصد بعثة الأنبياء ، وأساس دعوتهم ، وغاية نزول الكتب والمحف السماوية كلها)) .(٢)

ولا يمانع الندوي أن يكون كل ذلك من مقتضيات الإيمان بالله والدخول في الإسلام . غير أنه يرى أن ذلك جزء صغير بالنسبة إلى صفات الله وذاته . وحقيقة صلة عباده به .

والواقع أن صلة الخالق والمخلوق والعبد والمعبود هي أشمل وأوسع

(١) - حسن الهضيبي : المرجع السابق ، ص : ٦٣ .

(٢) - أبو الحسن الندوي : المرجع السابق ، ص : ٧٧ ، ٧٨ .

وأعمق وأدق ، بكثير وكثير من صلة الحاكم والمحكوم ، والأمر والمأمور والسلطان والرعية ، وقد أفاض القرآن الكريم بذكر أسماء الله وصفاته بأساليب عديدة لا يفهم منها أن ما يطلب من الإنسان العبد أن يؤمن بمجرد حاكمية الله المطلقة والخضوع لسلطته العليا وعدم الإشتراك به في تلك السلطة . (١) وإليك بيان ذلك في قوله تعالى من أواخر سورة الحشر . ((هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْمُنِزَّلُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ، هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) . (٢)

إن مقتضى صفات الله عز وجل وأسمائه وأفعاله حسب القرآن الكريم تتطلب في وضوح تام وحسم أن يحب العبد ربه ويتفانى ابتغاء مرضاته ويسبح بحمده ويقده وينزهه عن الشريك كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه . وأن يذكره قيا ما وقعودا وفي كل أحواله ، وأن يستحضر مخافة الله في شؤء ونه كلها ، ويخاف عذابه ، ويلتجئ إليه في أموره المختلفة متضرعا بالسوء ال طامعا في فضله وخيره الذي لا ينفد في الدنيا والآخرة متطلعا إلى جماله الذي هو مصدر الحسن والإحسان ، يبذل كل ما يملك في سبيله من غال و رخيص ونفس ونفيس من طواعية وطيب خاطر . (٣)

وعليه فالذين حصروا صفات الله وحقوقه ، في حق السلطة والحاكمة وجعلوه أصل الحقوق الإلهية كلها وأول المطالب الربانية ، نخشى عليهم ((... أن يكون قد صدق عليهم قول الرب تبارك وتعالى : " وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)) . (٤)

-
- (١) - المرجع السابق ، ص : ٢٨ .
 (٢) - سورة الحشر : الآيات : ٢٢ ، ٣٣ ، ٢٤ .
 (٣) - الندوي : المرجع السابق ، ص : ٢٩ .
 (٤) - نفس المرجع ، والصفحة . والابتداء ٩٢ من سورة الأ أنعام .

وتجدر الإشارة الى أن أسلوب القرآن الكريم في تعامله مع صفات الله تعالى كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب النبوءات: ((هو النفسي المجمل والإثبات المفصل)) (١).

ففي مجال النبي وقد القرآن عند قوله تعالى القاطع في اجمال تام :
((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) (٢).

وأما في الإثبات فيسلك ذلك الأسلوب التفصيلي الرائق الذي يأخذ بالألباب ويملاً عليها أقطارها ، بجلال الله وعظمته وقدرته حتى تحييط بصفاته إحاطة كاملة غير منقوصة ، وتتجلى أنوار تلك الصفات وحفاثتها في حياة أنبياء الله وسيرهم وأعمالهم ، وكذلك الشأن في أتباعهم الصادقين المخلصين من صحابة وتابعين وعلماء ربانيين .

وهذا خاتم الأنبياء والمرسل محمد صلى الله عليه وسلم يعكس صفات الله عز وجل وتعاليمه ((في تربيته ، وفي كيفية صلاته وقيامه ، وفي دعائه والتجائه ، وابتهاله وتضرعه ، وانايته وإخباته ، وحبه وحنينه وتشوقه لذات الله ، وإمعانه في الذكر والعبادة ، والاستراحة إليهما والتذوق والتحلي بهما)) (٣).

اتضح إذن أن التحلي بتلك الصفات والتحقق بأحوالها لم يكن نتيجة الإيمان بمجرد حاكمية الله تعالى وسلطانه الأعلى ، إنما الشعور تحوه تعالى بالتقديس والجلال والعظمة لكمال صفاته ، والتقرب إليه بالعبادة الخالصة والحب الحقيقي كما يليق بقدره جلا وعلا .

وبجانب اعتبار أن جوهر الألوهية والربوبية هي الحاكمية ، والسلطة قد تحددت على ضوء ذلك مهمة الأنبياء - عليهم السلام - في الدنيا ، وهي إقامة الحكومة الإلهية وتنفيذ نظام الحياة بحذافيره الذي جاؤوا به من عند الله . (٤)

(١) - نفس المرجع ، ص : ٨٠ .

(٢) - سورة الشورى : آية : ٩ .

(٣) - الندوي : المرجع السابق ، ص : ١٠١ ، ١٠٢ .

(٤) - المودودي : موجز تاريخ تجديد الدين ، مصدر سابق ، ص : ٣٤ .

وقد توجس الأستاذ الندوي خيفة من هذا الطرح المستمر للإسلام على أساس أن الهدف الجذري من بعثة الأنبياء هو إحداث التغيير في هذه الحياة المحدودة ، واستخلاص إمامة المدنية والحنارة من أيدي الجاهلية بجميع أصنافها وصورها في هذه الدنيا . وبصير الحب الإلهي ، والرضا الرباني والفلاح الأخروي يتضاءل كثيرا مع مهام الإنسان التي حصرت في تلك الأهداف الدنيوية من طلب العز والغلبة والوصول إلى الحكم ، ومن ثم إلى المادية المجردة . (١)

ومما يزيد في قلقه أن المودودي يعتبر أن أركان الإسلام الأربعة مجرد وسائل لتحقيق غاية ، هي الحاكمية . فالصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج ، وسائل وذرائع : ((إلى غاية أخرى ، هي الطاعة وتأسيس الحكومة الإلهية ، وإعادة التنظيم إلى الحياة ، على حين ينص القرآن الكريم على أن الجهاد والحكومة وسيلة ، وإقامة الصلاة هي الغاية)) . (٢) ينقل عن المودودي العبارة التالية التي تجعل من الحاكمية غاية ومن الشعائر التعبدية وسائل ويرد عليها بآيات من سورة الحج تقلب الغاية إلى وسيلة والوسيلة إلى غاية :

جاء في كتاب نظرة فاحصة على العبادات الإسلامية للمودودي بقوله : ((هذه هي الغاية التي من أجلها فرض الإسلام عبادات الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج ، والتعبير عنها بالعبادة لا يعني أنها هي العبادة لا غير ، بل معنى ذلك أنها تعد الانسائلك العبادة ، فكأنها مقررات تدرجية لازمة لها)) . (٣) يقول تعالى : ((أَدِّنْ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ بغيرِ حَقِّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْ لَدَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهَدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلِيُنصِرَنَّ اللَّهُ مَن

(١) - الندوي : المرجع السابق ص : ١٠١ ، ١٠٢ .

(٢) - الندوي : نفس المرجع ، ص : ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٣) - نقلا عن أبي الحسن الندوي : المرجع السابق ، ص :

يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا
الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)) . (١)

وهكذا فالعبادات المعينة (من صلاة وصوم وحج) كما تدل عليها هذه
الآيات وغيرها وكذلك السنة النبوية الشريفة هي حجر الزاوية في نظام الدين
كله يحاسب عليها الإنسان يوم القيامة ، بينما إقامة الحكومة الالهية
وتأسيس المدينة الإسلامية على أسس الخير والفلاح فهي وسائل وفي مرتبة
ثانية من الدين . (٢)

ويحذر أبو الحسن الندوي من أن هذا المنهج من التفكير إذا اقتصر
عليه الفرد في تكوين معلوماته عن الدين الإسلامي معتمدا على كتابات السيد
أبو الأعلى المودودي خاصة ، فلا يبرؤ من عليه أن تصير علاقته مع الله ضيقة ،
محدودة جافة ، جامدة ، رسمية . (٣)

في حين يرى سيد أحمد القادي في رده على انتقاد الأستاذ أبي
الحسن الندوي أن هذا الأخير سار سيرته الأولى في نقد مقدمة كتاب المصطلحات
الأربعة في القرآن فيما يخص مباحث الكتاب الأساسية . ذلك أنه لم يذكر
شيئا مما ذكره المودودي من الأدلة القرآنية التي استشهد بها على إثبات
دعواه فيما ذهب إليه من آراء وأحكام .

والأمر الثاني الذي بنى عليه افتراضاته التي ناقش المودودي على
أساسها أنه يزيد في العبارة كلمة من عنده ثم يترسل في الرد على ذلك
الأمر المفترض . ((فترئى أنه يزيد كلمة " اقتصار " وتارة كلمة " إنما "
وأخرى كلمة " فحسب " وكفى)) . (٤)

- (١) - سورة الحج : الآيات : ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ .
- (٢) - الندوي : المرجع السابق ، ص : ١٠٢ .
- (٣) - المرجع السابق : ص : ١٠١ .
- (٤) - سيد أحمد القادي : مرجع سابق ، ص : ٣٧ .

لقد افترض الندوي فرضه الأول ادعى فيه أن المودودي اقتصر من بين صفات الله وأسمائه على صفة (حاكمية الاله والرب) .

ثم يستعرض القادي منهج المودودي في بيان معاني الإله والرب في كتاب المصطلحات الأربعة اعتمادا على اللغة والآيات القرآنية التي استخرج منها المعاني التي تتضمنها أسماء الله تعالى وصفاته والتي أهملها في نظره أبو الحسن الندوي وغفل الكاتب حقه في ذكرها : ((ليعلم القارئ أنه لم يكن هنا من اقتصار على صفات الله ولا اختصاص بها دون صفات أخرى بل يدل هذا التحقيق على أنه لن يكون الإله الحقيقي إلا من كان قاضيا للحاجات مهدئا للأعصاب ومتعاطفا ومتعاليا عن المخلوقات وقاهرا عليها وفوقها ومجبرا في النوازل والمصائب ، ومتواريا عن الأنظار يكاد يكون سرا من الأسرار لا تدركه الأبصار وأن يفرغ إليه الناس ويلعوا به)) . (١)

وهذا بالفعل ما ذكره المودودي من صفات الله عز وجل في كتابه المصطلحات الأربعة في القرآن وفصله بما فيه الكفاية ، غير أن الملاحظ أن الاهتمام بحاكمية الله عنده في هذا الكتاب وفي غيره يطفى بشكل ملفت للانتباه على تصويره لحقيقة الألوهية والربوبية .

والافتراض الثاني الذي استنتجه الندوي وبناء على أساس الافتراض الأول وهو أن الصلة بين الله والإنسان هي صلة الحاكم والمحكوم وصلبة الملك والرعية . أي مجرد علاقة رسمية خالية من كل بعد عاطفي روحي آخر وقد استدل الندوي على فرضيته تلك في تفسير المودودي للآية القرآنية التالية : ((إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)) . (٢) ملخصا كلام المودودي وقاصرا له على العلاقة المحدودة التي تسند ما سبق أن افترضه ، وهو أن الله هو السلطة العليا والإنسان رعيته وما النبي إلا

(١) - نفس المرجع : ص : ٤٤٠ .

(٢) - سورة آل عمران : آية : ٥٠ .

مجرد ممثل لتلك السلطة العليا .^(١) وقد توقد الندوي عند هذا الحد وما كان له أن يتوقف ، فالمودودي يظيف على ذلك في تفسيره للآية : ((ان من يأمره مالک الملك بالذهاب إلى رعيته لدعوتهم لا يمكن أن يكون الغرض من مجيئه شيئاً آخر سوى منعهم من العصيان والتحرر والاستقلال المطلقة وكفهم عن البشرک - يعني أن بشرکوا آخرين مع مالک الملك في السلطة العليا بأي شكل من الأشكال - ودعوتهم إلى الانعان التام والعبودية الخالصة والطاعة والعبادة للمالک الاصلی)) .^(٢)

فدلت الجملة الأخيرة على أن المودودي لا يقصر علاقة الإنسان بالله مجرد علاقة الراعي بالرعية بل هي علاقة خالق بمخلوق وعبد بمعبود بأوسع معانيها التي حددها الدين كما جاء من عند الله عز وجل .

٢ - المنظور السياسي : يعود أصل مصطلح الحاكمية في رأي هذا الفريق من حيث ظهوره في التاريخ إلى أحداث سياسية مبكرة من التاريخ الإسلامي ترجع إلى الصدر الأول وبالتحديد إلى زمن الفتنة الكبرى بين علي بن أبي طالب ومناوية بن أبي سفيان .^(٣) ظهر شعار الحاكمية عندما رفضت فرقة خرجت على سيدنا علي اتفاق التحكيم في النزاع السياسي الذي نشب بين المسلمين بعد مقتل عثمان بن عفان . وسميت تلك الفرقة بالخوارج وقالوا قولتهم الشهيرة حينذاك ((لا حكم إلا لله)) مقررین أنه لا يجوز العدول عن حكم الله وذلك لقوله تعالى : ((وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَتْ حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ)) .^(٤)

ولما أكثر الخوارج على الامام علي بقولهم : ((لا حكم إلا لله)) فأجابهم : كلمة حق أريد بها باطل . نعم لا حكم إلا لله . ولكن هو لا

-
- (١) - سيد أحمد القادري : مرجع سابق ، ص : ٥٠ .
 (٢) - المودودي : تفهيم القرآن ، ج ١ ، مصدر سابق ، ص : ٢١٧ .
 (٣) - فهمي هويدي : الحاكمية بين أهل الدعوة وأهل القانون ، ص : ١٢٨ .
 (٤) - سورة الحجرات : آية : ٩ .

يقولون : لا إله إلا الله . وأنه لا بد للناس من أمير . (١)
 وبمعنى الوقت تخطى الخوارج عن هذا التأويل وقالوا بأن الإمامة
 مرجعها إلى (الرأي) وليس من الكتاب والسنة ، في حين قال الشيعة
 - خصوم الخوارج - بالإمامة (الإلهية) المعصومة . ((وأختفى شعار
 الحاكمية من فكرنا وتاريخنا أربعة عشرة قرناً)) . (٢)
 ويرى مؤرخوا الفكر الإسلامى المعاصر وعلى رأسهم الدكتور محمد
 عمارة أن المودونى هو باعث شعار الحاكمية ومحبي دعوة الخوارج التي
 كانت في صدر الإسلام وإن لم يكن منهم وليس شيئاً في فكره من مذهبهم
 من حيث المنمونه .

أ - الحاكمية والدولة الدينية : اختبه الأمر على كثير من معارضي
 نظرية الحاكمية عند المودونى ومؤيديها على السواء إذ شاع بين المؤيدين
 المغالين أن الحاكمية تعني عداً الإسلام لأية سلطة للأمة في سياسة
 الدولة وتنظيم المجتمع لأن السلطة - كل السلطة - هي لله تعالى وحده
 تشريعاً وتنفيذاً ، كما هو الشأن فيما يتعلق بما هو وضع إلهي ووحىي
 سماوي من أركان الدين وأصوله ومثل العبادات . (٣) وغدا الحال بالنسبة
 لمعارضي الحاكمية مبرراً للدعوة إلى العلمانية - اللادينية - فسي
 المجتمعات الإسلامية لايقاف مشروع الصحوة الإسلامية المعاصرة الحامل
 لهذا المصطلح والذي يقضي الوصل بين الدين والحياة وصلاً كاملاً ، مما
 جعلهم يتوهمون بأن الدولة الإسلامية ما هي الا صورة حديثة للدولة
 الدينية التي أقامتها الكنيسة في أوروبا العصر الوسيط . (٤)

والحقيقة الجديرة بالذكر هي أن مصطلح الحاكمية كما هو في معانيه
 المحددة في كتابات المودونى لا يؤدى أبداً إلى الغاء تام لسلطة الأمة
 والمجتمع في شؤون القانون والسياسة كما يعتقد المناصرون المغالون

(١) - فهمي هويدي : المرجع السابق : ص : ١٢٨ .

(٢) - د . محمد عمارة : العلمانية ونهضتنا الحديثة ، ص : ٨١ .

(٣) - نفس المرجع : ص : ٧٩ .

(٤) - المرجع السابق : ص : ٧٩ .

الذين اعتمدوا نسوبا وأهملوا أخرى ، فمن النصوص العامة التي بنوا عليها تصوراتهم تلك ما قرره المودودي من أن الخصائص الأولية للدولة الإسلامية ثلاث :

((١ - ليس لفرد أو أسرة أو طبقة أو حزب أو لسائر القاطنين في الدولة نصيب من الحاكمية ، فإن الحاكم الحقيقي هو الله ، والسلطة الحقيقية مختصة بذاته تعالى وحده . والذين من دونه في هذه المعمورة إنما هم رعايا في سلطانه العنليم .

٢ - ليس لأحد من دون الله شيء من أمر التشريع ، والمسلمون جميعا ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، لا يستطيعون أن يشرعوا قانونا ، ولا يقدر أن يغيروا شيئا مما شرع لهم .

٣ - أن الدولة الإسلامية لا يولد من بنائها إلا على ذلك القانون المشرع الذي جاء به النبي من عند ربه ، مهما تغيرت الظروف والأحوال ، والحكومات التي بيدها زمام هذه الدولة لا تستحق طاعة الناس إلا من حيث أنها تحكم بما أنزل الله وتنفذ أمره تعالى في خلقه ...)) (١)

إن من يقتصر على هذا النص العام في تحديد حقيقة الحاكمية عند المودودي حتما سيصل إلى أن لا مكانة لأية سلطة للأمة في الإسلام على الإطلاق في حين لو اطلع على نصوص أخرى تفصيلية تخص النص السابق لتأكد أن المودودي لا يبلغ ما أعلاه الله للأمة من دور في الحياة .

إن المودودي لم يدع أن الشريعة الإسلامية تجرد الإنسان من كل حق في التشريع والتقنين كما يتوهم من يقرأ النص السابق بعيدا عن النصوص التي تبين أن مع الحاكمية الإلهية المطلقة في التشريع هناك حاكمية شعبية مقيدة : ((ان مجال الشورى أو البرلمانات يباح لها أن تسن نظاما أو تصدر حكما فيما ورد فيه نص صريح واضح في شريعة الله . أما ما لم يرد فيه نص شرعي - وهو المجال الأوسع - فلاهل الحل والعقد أن يجتهدوا في سن الأنظمة التي تحقق مصلحة الأمة بالمشورة المتبادلة . على أن تكون منسجمة مع الاطار العام لأسر الشريعة ...)) (٢)

(١) - المودودي : نظرية الاسلام السياسية ، ص : ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) - المودودي / الاسلام والمدنية الحديثة ، ص : ٤٣ .

إذن الأمر واضح وهو إقرار المودودي بما للأمة من دور في سن القوانين والأنظمة فيما لا نص فيه ، وهو المجال الرحب والأوسع الذي تركته الشريعة للإنسان حتى يستوعب مستجدات الحياة وقضاياها في كل زمان ومكان ضمن القواعد العامة والثابتة للشرع الحنيف .

وعلى هذا الأساس أقر الإسلام مبدأ الاستخلاف للأمة لكي تمارس حقها في الحكم المقيد في ظل سيادة الله وحاكميته . (١)

وأما الذين اعتقدوا أن نظرية الحاكمية هي الثيوقراطية أو نظام الدولة الدينية الكنسية التي ظهرت في الغرب في العصور الوسطى فإن أمرهم شبيه بالفريق السابق إذ اعتمدوا على نصوص عامة للمودودي دون أخرى تقيدها وتخص عامها .

فالمودودي يتكلم عن الديمقراطية الغربية ويبين خصائصها ، ويتعرض للدولة الإسلامية ويوضح أسسها ويفرق بين النموذجين تفرقة حاسمة لا تدع مجالاً للشبهة ، إلا أن استعمال المودودي لبعض مصطلحات عرفها تاريخ التجربة السياسية في الغرب كالتيوقراطية أو الدولة الدينية ، أعطى للخصوم دليلاً على رفضهم لنموذج الدولة الإسلامية ، ومبرراً للدعوة إلى العلمانية في بيئة ثقافية واجتماعية تخضع للإسلام .

يرى المودودي أن الديمقراطية عبارة عن منهاج للحكم ، تكون السلطة فيه للشعب جميعاً - حاكمية مطلقة للشعب - تتغير في ظل القوانين وتنحسب عقول الجمهور . ((فلا يتغير فيه من القوانين إلا ما ارتضته أنفسهم وكل ما لم تسوغه عقولهم يضرب به عرض الحائط ويخرج من الدستور .

هذه خصائص الديمقراطية وأنت ترى أنها ليست من الإسلام في شيء)) . (٢)

وفي مجال مقابلة مصالح دولة إسلامية بغيره يعتقد المودودي أن أصيدق تعبير وأقربه كلمة الحكومة الإلهية أو الثيوقراطية من كلمة ديمقراطية . ((ولكن الثيوقراطية الأوروبية تختلف عنها الحكومة الإلهية (الثيوقراطية الإسلامية) اختلافاً كلياً فإن أوروبا لم تعرف منها إلا التي تقوم فيها

(١) - المودودي : نظرية الإسلام السياسية ، ص : ٣٠ .

(٢) - المودودي : المصدر السابق ، ص : ٣٤ .

طبقة من السدنة مخصوصة يترعون للناس قانونا من عند أنفسهم حسب ما شاءت أهواؤهم وأغراضهم ، ويسلطون ألوهيتهم على عامة أهل البلاد مستترين وراء القانون الإلهي ، فما أجدر مثل هذه الحكومة أن تسمى بالحكومة الشيطانية منها بالحكومة الإلهية ((١).

وأما الشيوقراطية التي جاء بها الإسلام كما يراها المودودي فهي في أيدي المسلمين عامة وليست في يد طبقة علماء الدين أو المنايخ والكل يخضع في القيلم بشؤونها لكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ((ولئن سمحتم لي بابتداع مصطلح جديد لآثرت كلمة (الشيوقراطية الديمقراطية) أو (الحكومة الإلهية الديمقراطية) لهذا الطراز من نظم الحكم لأنه قد خول فيها للمسلمين حاكمية شعبية مقيّدة ((٢).

هذه الحاكمية الشعبية المتيدة تكون تحتسلطة حاكمية الله المطلقة أما السلطة التنفيذية التي يقيمها المسلمون في ظل الدولة الإسلامية أو ما يعرف بالحكومة فان تأليفها لا يكون إلا بمشورة المسلمين ويكون من حقهم عزلها من منصبها ، كما هو الشأن في كل الأمور التي لا يوجد في الشريعة عنها حكم صريح لا يقطع فيها بشيء إلا باجماع المسلمين ((٣).

ومن ثمة تتجدد سمات الدولة الإسلامية التي ليست هي من حيث المضمون ثيوقراطية ولا ديمقراطية في الآن نفسه ، وإنما هي أقرب إليهما من حيث الشكل الظاهري فحسب . وتحقق في الواقع ضمن مفهوم خلافة الإنسان ونيابته عن الله في الأرض .

يقول المودودي : ((... فالأمة نائبة عن الله ، وهي تنتخب حاكمها ونوابها ، وأهل الحل والعقد فيها ، بطريقة ديمقراطية ، الأمر الذي يجعل

(١) - نفس المصدر والصفحة .

(٢) - نفس المصدر ، ص : ٢٥ .

(٣) - المصدر السابق ، ص : ٢٥ .

الخلافة الإسلامية الديمقراطية ، على العكس من القيسرية أو البابوية
أو الثيوقراطية (الدولة الدينية) على حسب ما يعرفها الغرب ورجالها .
ثم يحدد المودودي أوجه الشبه بين الديمقراطية الغربية والإسلامية
في مجال الوسائل فحسب . ((إن ديمقراطيتنا الإسلامية - هي كديمقراطية
الغرب - لا تتألف الحكومة فيها ولا تتغير إلا بالرأي العام . ولكن الفرق
بيننا وبينهم : أنهم يحسبون ديمقراطيتهم حرة ملققة العنان . ونحن
نعتقد الخلافة الديمقراطية متقيدة بقانون الله عز وجل)) . (١)

فالحاكمة المطلقة في الديمقراطية الغربية للشعب ، بينما في
الإسلام الحاكمة المطلقة هي لله تعالى وحده ، وللشعب حاكمية مقيدة
وعلى هذا الأساس يتميز الخيط الأبيض من الخيط الأسود في الفرق بين
الدولة الإسلامية والدولة الثيوقراطية الغربية ، والدولة الديمقراطية
العلمانية .

فهل بعد هذا الإيضاح من شبهة لقيام دولة دينية على
أساس نظرية الحاكمية عند المودودي ؟

(١) - المصدر السابق ، ص : ٢٥ .

خاتمة

معالم صياغة المودودي للعقيدة الإسلامية وآفاقها .

من نافلة القول أن أذكر بادئ ذي بدء أنني طوال بحثي هذا حاولت أن أكون أميناً - قدر المستطاع - وفيما لفكر أبي الأعلى المودودي في أثناء عرضي له في صورته الحقيقية . كما أسجل شعوري بالتقصير نحو ذلك الرجل ونحو جهوده العلمية وإسهاماته العملية في تجديد الفكر الإسلامي وبعث الحياة الإسلامية التي ندر لها حياتها كلها وكابد من أجلها شتى صنوف المعاناة وصروف الدمر . وفي المقابل وبكل تواضع لم أذكر جهداً في تقديم الصورة صافية عن جهود المودودي في صياغته للعقيدة الإسلامية ، مع ما يشوب هذا العمل من قصور ويعتريه من أخطاء بلا ريب .

وتقوم صياغة المودودي للعقيدة الإسلامية على الخصائص العامة

التالية :

- أ - اعتمادها على القرآن الكريم منطلقاً ومنتهاً .
 - ب - تجاوزها لخلافات المدارس الكلامية القديمة منهاجاً وموضوعاً .
 - ج - اعتمادها على عنصر الواقعية منهاجاً وموضوعاً .
 - د - الوصل بين العقيدة والشريعة من خلال مفهوم الحاكمية مثلاً .
- وتندمج هذه الخصائص في نسيج محكم لعنصرين تقوم على أسسها طبيعة صياغة العقيدة الإسلامية في فكر أبي الأعلى المودودي وهما :

العنصر الأول : المنهج .

العنصر الثاني : الموضوع .

١ - المنهج : لقد كان المودودي على وعي تام لاختياره للمنهج الذي عرض به أمور الإيمان في جميع كتاباته ، ويبرز ذلك جلياً من خلال المعطيات التي ارتكز عليها في الاستدلال على قضايا العقيدة بحقائق العلم الحديث التي هي ثمرة خالصة للمنهج الاستقرائي العلمي . وقد استعمل المودودي هذا المنهج كثيراً لا سيما في الاستدلال على وجود الله تعالى و وحدانيته

مستخدما الحقائق العلية تارة والآيات القرآنية تارة أخرى بالأسلوب نفسه . ومن ميزات هذا المنهج بساطته وانجابه واقعا مع بنىة العقلية الانسانية في هذا العصر التي اعتادت على استعمال المعطيات الواقعية الملموسة في تفكيرها ومعرفتها لحقائق الأشياء . في كل مجال تقريبا . بالانافه إلى أن هذا المنهج يلتقي مع المنهج القرآني الفطري من الزاوية العقلية في عرض العقيدة والبرهنة عليها إذ ينطلق القرآن الكريم من مظاهر الكون وسنن الطبيعة والحياة الانسانية في إثبات وجود الباري عز وجل وإثبات صفاته وأفعاله . الخ قال تعالى : ((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَذَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)) . (١)

وقال أيضا : ((قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَايْتُوا فِي الْأَرْضِ فَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ)) . (٢)

ومن ثمة فأسلوب القرآن الكريم في إثبات عقائده أسلوب كوني طبيعي ، فهو يستدل على الوقائع غير المحسوسة بالوقائع المحسوسة مثلما هو الشأن بالنسبة لأسلوب المنهج الاستقرائي في إثبات وقائعه اليوم . بخلاف علم الكلام القديم الذي أسس على المنهج الصوري القياسي المعتمد على المملعات المفروضة . وقد بين وحيد الدين خان منزلة المنهجين في ميزان القرآن بخصوص علم العقيدة بقوله : ((إِنَّ عَالَمَ الطَّبِيعَةِ وَعِلْمُ الطَّبِيعَةِ كَانَا شَيْئَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ . فَعَالَمُ الطَّبِيعَةِ كَانَ يَقُومُ عَلَى الْحَقَائِقِ بَيْنَمَا كَانَ أَسَاسَ عِلْمِ الطَّبِيعَةِ هُوَ الْقِيَاسُ . وَالآنَ اجْتَمَعَ عَالَمُ الطَّبِيعَةِ وَعِلْمُ الطَّبِيعَةِ عَلَى صَعِيدٍ وَاحِدٍ . وَهَكَذَا كَانَ الْقُرْآنُ وَعِلْمُهُ

(١) - سورة آل عمران : الآيتان ، ١٩٠ ، ١٩١ .

(٢) - سورة آل عمران : الآية ، ١٣٢ .

الكلام شيئا من متنايران . فبينما كان القرآن يحتوي على الآيات المحكمات
كان علم الكلام مبنيًا على قياسات الفلاسفة .

إن تطور العلم قد مكنا اليوم من وضع علم كلام متناسق
مع القرآن ((١)).

وباعتماد المودودي - من حيث المنهج - في صياغة العقيدة على
القرآن الكريم وعلى نتائج العلم وحقائقه ، وما يستنتجها عقليا من
قوانين عامة . يكون بهذا الإجراء قد أصل منظومته العقيدية من جهة
وجدت^{فيها} من جهة أخرى ، وبالتالي يدرك عمله منهجيا الصياغة المتكاملة
والمحققة لأغراض الإيمان في خطاب الانسان بحقائق العقل والقلب معا كما
أرادها القرآن الكريم .

٢ - الموضوع : وأما من حيث الموضوع فإن أبا الأعلى المودودي لم
ينس خاصية الواقعية في صياغته لموضوع العقيدة . وبهذا تكتمل
لديه صورة عملية التجديد بربط واقعية المنهج بواقعية الموضوع فسي
إطار معادلة تكاملية تهدف إلى ترقية التدين بين الناس عقديا
وذلك بالاستجابة لبنية عقلية المخاطبين من حيث أسلوب الخطاب
العقدي أولا ، وطرح القضايا التي تمثل جوهر المشكلات وطبيعية
التحديات التي تناوئ عقيدتهم وتكرر صفوها ثانيا .

وقد برزت واقعية الموضوع عنده في الإطار الواسع الذي أحاط
به أركان الإيمان ، الذي أطلقنا عليه عنوان الباب الثاني من البحث
((التصور الاسلامي للوجود)) ، فيما استخلصناه من كتاباته التي تقدم
نظرة شمولية عن الخالق جل جلاله والكون والانسان والحياة وما بينها
من علاقات .

وما يلاحظ على هذه الاضافة الجديدة في صياغة المودودي لموضوع

العقيدة الإسلامية ايجابيتها من عدة زوايا :

الأولى : تجاوزت المقدمات الفلسفية المعقدة والطبيعية المعهودة في
صياغات علم الكلام ، كالخلاء والمكان والجوهر والعرض وما إليها ، بالعودة

(١) - وحيد الدين خان : الإسلام والعصر الحديث ، ص : ٨٦ ، ٨٧ .

إلى تأصيل التصور العام للوجود القائم على المعرفة اليقينية فيما هي حقيقة الأوهية والربوبية وحقيقة الكون والانسان والحياة وغاياتها الوجودية من مصادر الوحي الإلهي وحقائق العلم الثابتة .

والثانية : تمكين العقيدة الإسلامية من مواجهة المذاهب الفلسفية والابديولوجية الغربية المعاصرة من موقع الندية لها من حيث مستوى الصياغة في المنهج والموضوع ، فضلا عن تفوقها المطلق عليها في مضمون رؤيتها الوجودية ذات الأصل القرآني .

والثالثة : وكما تميزت صياغة المودودي لموضوع العقيدة الإسلامية بسمعة المقارنة الواقعية ، نجده في بحثه للعقيدة - أصولا وفروعا - يحاول دائما تقديم المفهوم القرآني ويبين تفوقه على ما تدعيه المذاهب الفلسفية والفكرية ، والأديان المحرفة والوثنية من تصورات مغايرة للحقيقة القرآنية بنأن القضية الواحدة كما فعل في بيان الفرق الجوهرية بين الأوهية في القرآن وفكرة الأديان المحرفة عنها ، فاثبات وجود الله أمر ميسور حتى للعقل البشري المجرد أما معرفة الذات الالهية ذاتا وصفاتا وأفعالا بلا زيادة أو نقصان على حقيقتها ذلك علم لا يوجد في غير رسالة محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - وقر على ذلك سائر أركان الايمان الأخرى .

والرابعة : كما أستطاعت هذه الصياغة أن تبرز البعد الوظيفي للعقيدة الإسلامية وأثرها في سيرة الفرد والمجتمع فكرا وسلوكا على أساس أن اختلاف الثقافات والحضارات الانسانية في التاريخ يرجع دائما إلى الأصول العقدية .

والخامسة : آخر ما أمكنني تصوره من ايجابيات المودودي في صياغة موضوع العقيدة الإسلامية ، قنية الوصل بين العقيدة والشريعة ، هذه الحقيقة القرآنية التي غابت عن لتدوين المدرسي للعلوم الإسلامية بعد عصر الائمة المجتهدين . فهي مسألة ملحة في أيامنا هذه وبحاجة إلى عناية الباحثين والمجددين في هذا العصر لما يحييط بالشريعة من شكوك وعزل لها عن الحياة بتأثير من دعوة المذاهب الفكرية الغربية اللا دينية أو العلمانية ، هذه النحلة التي

تلتصق بكل الاتجاهات الفكرية الغربية من أقصى اليمين الى أقصى اليسار .
ومن ثم فانه من الضرورة الشرعية والحنازية أن تدعم أحكام الشريعة
في خضم الصراع الفكري المعاصر بالانافة إلى صياغة العقيدة الإسلامية-
بسند عقدي يكفل لها اليقين الراسخ لدى المسلمين كما فعل المودودي حين
تناول بالبحث العميق المسألة السياسية في القرآن والسنة وفي التاريخ
الإسلامي . مبرزاً بعدها العقدي ومبادئها الأساسية من أجل قيام حياة
سياسية رشيدة ، تعيد للإسلام إشرافه وعدالته في الواقع الانساني
ويمكن للمسلمين في كنف العبودية الكاملة لله عز وجل من تحقيق كرامة
الانسان وحرية في ظل عقيدة التوحيد الخالصة . وقد وضعنا ذلك السوول
بشيء من التفصيل في الفصل الرابع من الباب الأخير من هذا البحث .

٣- آفاق صياغة العقيدة الإسلامية : إن عملية تنفيذ صياغة
العقيدة الإسلامية في عصرنا قد سبقت فكرة التنظير لها بحكم إلحاح
الواقع يتحدياته الداخلية والخارجية . وقد حصل تراكم كبير في الانتاج
الفكري في هذا المجال على مدى ما يقرب من مائتي سنة ، أي من محمد بن
عبد الوهاب إلى اليوم . وسبق أن تفرقنا لبعض أئمة التجديد في هذا
العلم في مقدمة البحث بغرض التحسيس بأهمية تراثهم من أجل دراسته
والوصول إلى قواعد صياغته لثرائه من ناحية المنهج والموضوع ، لأن علم
العقيدة ينمو ويتطور من هذه الزاوية فقط وله صلة مباشرة بجميع جوانب
حياة الأمة الفكرية والسلوكية والعلمية والعمرانية بالمعنى الخلدوني
لكلمة عمران ، لما في طبيعة البشر من نزوع الى التعاون على المعاش
والمسلمون اليوم في أشد الحاجة إلى تأسيس صياغة جديدة لهذا
العلم وفق قواعد رصينة تستجيب للتحديات المحيطة بهم فكرياً وعقدياً
وحضارياً . وتحقق لهم تديناً كاملاً ينتصر به التوحيد مرة أخرى في عالم
الشهادة ببعث خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر
وتؤمن بالله .

وخلاصة القول أن ما تم عرضه كنموذج لصياغة العقيدة في فكر

المودودي - من مقدمة البحث إلى خاتمته - ما هي إلا مقاربة بسيطة يجب أن تتلوها بحوث أخرى في نفس المنمار حتى لا نبخر الرجل حقه ، ويسهم الجميع في بلورة صياغة صحيحة وفعالة لعقيدة التوحيد كي تتحول المعرفة بأصول الإسلام وفروعه في المجتمع إلى حركة تنبض بها عروق الحياة وتزهر بها حدائقها لتقدم للناس ثمرا دانيا وشفاء لما في الصدور .

ونعتقد من صميم قلوبنا أن هذه المحاولة لا تدعي الكمال في شيء ولا العصمة من الخطأ بأي حال من الأحوال ، وإنما هي مجرد خطوة على الطريق الطويل ، طريق البحث العلمي الدؤوب الذي يسعى إلى إنقاذ سفينة الإيمان في بحر لحي من الجحود والجهالة المطبقة التي أرخى الغرب في عصرنا سدولها على البشرية ، وأغرقها في حمأة عبادة اللذات وتأليه الإنسان لأهوائه واستكفائه بعقله عن هداية الأنبياء والمرسلين التي تجسدت في الرسالة الخاتمة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

* الكتب :

أسد (محمد)

- ١ - الإسلام على مفترق الطرق . ترجمة الدكتور عمر فروخ . ط ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨١ م .
الأشقر (عمر سليمان)
- ٢ - العقيدة في الله . ط ، مكتبة الفلاح ، الكويت ١٩٧٩ م .
أغروس (روبرت . م)
- ٣ - العلم في منظوره الجديد . ترجمة الدكتور كمال خلايلي . ط ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ١٩٨٩ م .
البخاري (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة ابن برديزبه الجعفي ، ت ٢٥٦)
- ٤ - صحيح البخاري . ط ، دار احيا التراث العربي ، بيروت . د . ت .
البنوري (محمد يوسف)
- ٥ - الاستاذ المودودي وشيخه من حياته وأفكاره . ط ، مكتبة الحقيقة ، استانبول تركيا ١٩٨٦ م .
البوطي (الدكتور محمد سعيد رمضان)
- ٦ - منهج الحضارة الانسانية في القرآن . ط ، دار الفكر ، دمشق ١٩٨٥ م .
- ٧ - كبرى اليقينيات الكونية . ط ، دار الفكر ، دمشق ١٩٧٩ م .
الترابي (أليف الدين)
- ٨ - أبو الأعلى المودودي حياته ودعوته . ط ، دار القلم ، الكويت ١٩٨٧ م .
الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، ت ٢٧٩ هـ)
- ٩ - سنن الترمذي . ط ، دار الفكر بيروت ، بدون تاريخ .
ابن تيمية (أحمد بن عبد الحلیم ، ت ٧٢٨ هـ)
- ١٠ - الفرقان بين الحق والباطل . ط ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر . د . ت .

جارودي (رجاء)

- ١١ - الإسلام وأزمة الغرب . ترجمة الدكتور رفيق المصري ، ط ، عالم

- المعرفة جدة العربية السعودية ، ١٩٨٣ .
- ١٢ - ميثاق إشبيلية . ط ، دار نشر طوقي ، باريس فرنسا ، ١٩٨٥ .
- ١٣ - عقيدة المؤمن . ط ، دار الراية للنشر تونس ، ١٩٨١ .
- الجمال (حمد بن صادق)
- ١٤ - أبو الأعلى المودودي حياته وفكره العقدي . ط ، دار المدني ، جدة العربية السعودية ، ١٩٨٦ .
- الجليند (محمد السيد)
- ١٥ - منهج القرآن في تأسيس اليقين . ط ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ١٩٩٥ .
- جيلاني (أسعد)
- ١٦ - أبو الأعلى المودودي فكره ودعوته . ترجمة الدكتور سمير عبد الحميد ابراهيم ، ط ، شركة الفيصل بلاهور باكستان ، ١٩٧٨ م .
- الحلمدي (خليل أحمد)
- ١٧ - الامام أبو الأعلى المودودي : حياته - دعوته - جهاده - ط ، دار الراية للنشر تونس . د . ت .
- الحنفي (علي بن علي بن محمد بن أبي العز ، ت ٧٩٢ هـ)
- ١٨ - شرح العقيدة الطحاوية . حققها وراجعها مجموعة من العلماء . ط ، المكتب الاسلامي بيروت ، ١٩٨٤ .
- الخالدي (صلاح عبد الفتاح)
- ١٩ - في ظلال القرآن في الميزان . ط ، شركة الشهاب ، الجزائر ، ١٩٨٦ .
- خان (وحيد الدين)
- ٢٠ - الاسلام والعصر الحديث : ترجمة ظفر الاسلام خان ، ط ، دار النفائس بيروت ، ١٩٨٣ .
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ، ت ٨٠٨ هـ)
- ٢١ - مقدمة ابن خلدون . ط ، دار الجيل ، بيروت ، د . ت .
- خليل (عماد الدين)
- ٢٢ - إعادة تشكيل العقل المسلم . كتاب الأمة رقم ٤ ، رئاسة المحاكم الشرعية ، قطر ، ١٩٨٣ .
- أبو داود (سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ، ت ٢٧٥ هـ)
- ٢٣ - سنن أبي داود . مراجعة وتعليق محمد عبد الحميد . ط ، دار الفكر

- بيروت . د . ت .
 الدسوقي (محمد)
 ٢٤ - منهج البحث في العلوم الاسلامية . ط ، دار الأوزاعي ، بيروت ١٩٨٤
 دسوقي (فاروق أحمد)
 ٢٥ - محاضرات في العقيدة الاسلامية . ط ، دار الدعوة ، الاسكندرية ،
 مصر ١٩٨٣ .
 الرازي (محمد بن أبي بكر)
 ٢٦ - مختار الصحاح . ضبط وتخريج الدكتور مصطفى أذيب البغا . ط ، دار
 اليمامة دمشق ١٩٨٥ .
 راجح (محمد كريم)
 ٢٧ - مختصر تفسير القرطبي . ط ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٦ .
 رضا (الدكتور صالح أحمد)
 ٢٨ - مختصر تفسير الطبري . ط ، مكتبة رحاب ، الجزائر ١٩٨٧ .
 الزنداني (عبد المجيد)
 ٢٩ - كتاب توحيد الخالق . ط ، دار السلام ، القاهرة ١٩٨٥ .
 شاكر (محمود)
 ٣٠ - باكستان . ط ، دار النفاثر ، بيروت ١٩٨٥ .
 شفيق (منير)
 ٣١ - الاسلام في معركة الحضارة . ط ، دار الكلمة ، بيروت ١٩٨١ .
 الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ، ت ٥٤٨ هـ)
 ٣٢ - الملل والنحل . تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل . ط ، الحلبي ،
 القاهرة ١٩٦٨ .
 شمس الدين (محمد جعفر)
 ٣٣ - دراسات في العقيدة الاسلامية . ط ، دار الكتاب اللبناني ،
 بيروت ١٩٧٧ .
 الشوكاني (محمد بن علي ، ت ١٢٥٠ هـ)
 ٣٤ - زبدة التفسير من فتح القدير . اختصره محمد سليمان عبد الله
 الأشقر . ط ، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، الكويت ١٩٨٥ .

- الصابوني (محمد علي)
- ٣٥ - صفوة التفاسير . ط ، دار القرآن الكريم ، بيروت ١٩٨١ .
- ٣٦ - مختصر تفسير ابن كثير . ط ، مكتبة رحاب ، الجزائر ١٩٩١ .
- الطنطاوي (علي)
- ٣٧ - تعريف عام بدين الاسلام . ط ، دار الفكر ، دمشق ١٩٨٢ .
- ابن عاشور (محمد الطاهر)
- ٣٨ - أصول النظام الاجتماعي في الاسلام . ط ، الشركة التونسية للتوزيع
تونس ١٩٨٥ .
- عبد الحميد (محسن)
- ٣٩ - من أئمة التجديد الاسلامي . ط ، مكتبة أسامة بن زيد ، الرباط
المغرب ١٩٨٦ .
- ٤٠ - المنهية الاسلامية والتغيير الحضاري . كتاب الأمة ٦ . ط ، رئاسة
المحاكم الشرعية ، قطر ١٩٨٤ .
- ٤١ - تجديد الفكر الاسلامي . ط ، دار الصحوة للنشر ، القاهرة ١٩٨٥ .
- العجمي (أبو اليزيد أبو زيد)
- ٤٢ - الفقهاء وبحوث العقيدة الاسلامية : الموقف والمنهاج . ط ، دار
الهداية القاهرة ١٩٨٥ .
- العلواني (طه جابر)
- ٤٣ - الأزمة الفكرية المعاصرة . ط ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ،
واشنطن أمريكا ١٩٨٩ .
- عمارة (محمد)
- ٤٤ - العلمانية ونهنتنا الحديثة . ط ، دار الشروق القاهرة ١٩٨٦ .
- ٤٥ - أبو الأعلى المودودي والصحوة الاسلامية . ط ، دار الشروق
القاهرة ١٩٨٧ .
- العجمي (أكرم ضياء)
- ٤٦ - التراث والمعاصرة . كتاب الأمة ١٠ ، ط ، رئاسة المحاكم الشرعية
قطر ١٩٨٥ .
- فضل الله (محمد حسين)
- ٤٧ - الحوار في القرآن . ط ، دار المنصوري للنشر قسنطينة الجزائر د.م

القادي (سيد أحمد)

٤٨ - التفسير الحقيقي للإسلام • تعريب عبد الحبيب الاصلاحى ، ط ، مكتبة المنهل جدة ١٩٨٢ •

قطب (سيد)

٤٩ - خصائص التصور الاسلامي ومقوماته • ط ، دار الشروق القاهرة ١٩٨٠ •
٥٠ - في ظلال القرآن • ط ، دار الشروق بيروت ١٩٨٦ •

قطب (محمد)

٥١ - مذاهب فكرية معاصرة • ط ، دار الشروق ، بيروت ١٩٨٥ •

الكاندهلي (محمد ادريس)

٥٢ - التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح • ط ، المكتبة الفخرية ديوبند الهند • د • ت •

مالك (أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك الأصبحي ، ت ١٧٩ هـ)

٥٣ - مولد الامام مالك - برواية يحيى بن يحيى الليثي ، ط ، دار النفائس بيروت ١٩٨٧ •

المبارك (محمد)

٥٤ - ذاتية الاسلام أمام المذاهب والعقائد • ط ، دار الفكر بيروت د • ت •

٥٥ - بين الثقافتين الغربية والاسلامية • ط ، دار الفكر بيروت ، د • ت •

مسلم (أبو الحسن بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، ت ٢٦١ هـ)

٥٦ - مختصر صحيح مسلم للإمام المنذري ، ط • دار الكتاب العربي بيروت ، د • ت •
مصطفى (محمد صالح علي)

٥٧ - أصول التوحيد في القرآن الكريم • ط ، دار القلم دمشق ١٩٨٦ •

المودودي (أبو الأعلى)

٥٨ - الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة • ط ، الدار السعودية للنشر والتوزيع جدة • د • ت •

٥٩ - الاسلام والجاهلية • ط ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧٥ •

٦٠ - الاسلام والمدنية الحديثة • ترجمة خليل أحمد حامدي ، ط ، دار

لقمان تونس ١٩٧٨ •

٦١ - الأسر الأخلاقية للحركة الاسلامية • ترجمة مسعود الندوي ، ط ،

مؤسسة الرسالة بيروت ، د • ت •

- ٦٢ - بر الأمان . ترجمة خليل أحمد الحامدي . ط ، الدار السعودية للنشر
جدة ١٩٨٤ .
- ٦٣ - تدوين الدستور الاسلامي . ط ، مؤسسة الرسالة بيروت ، د . ت .
- ٦٤ - تفسير سورة النور . ترجمة محمد عاصم الحداد ، ط ، مؤسسة الرسالة
بيروت ١٩٨١ .
- ٦٥ - تفسير سورة الأحزاب . ترجمة أحمد ادريس . ط ، دار بوسلامتة
تونس ١٩٨٣ .
- ٦٦ - تفهيم القرآن . ج ١ ، ترجمة أحمد ادريس ، ط ، مكتبة الجديد
تونس د . ت .
- ٦٧ - الحضارة الاسلامية أسسها ومبادئها . ترجمة محمد عاصم الحداد
ط ، دار الخلافة القاهرة . د . ت .
- ٦٨ - الحكومة الاسلامية . ترجمة أحمد ادريس ، ط ، ديوان العنايسوعات
الجامعية الجزائر . د . ت .
- ٦٩ - الخلافة والملك . ترجمة أحمد ادريس ، ط ، دار القلم الكويت ١٩٧٨
- ٧٠ - الدين القيم . ط ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧٧ .
- ٧١ - مبادئ الاسلام . ط ، المكتبة الاسلامية بيروت ذ . ت .
- ٧٢ - المسلمون والصراع السياسي الراهن . ترجمة الدكتور سمير عبدالحميد
ابراهيم ، ط ، دار الأنصار القاهرة . ١٩٨١ .
- ٧٣ - المصطلحات الأربعة في القرآن . ترجمة محمد عاصم الحداد ، ط ، دار
القلم الكويت . د . ت .
- ٧٤ - مفاهيم حول الدين والدولة . ترجمة خليل أحمد الحامدي ، ط ، دار
القلم الكويت ١٩٧٧ .
- ٧٥ - منهاج الانقلاب الاسلامي ضمن نظرية الاسلام وهدية . ترجمة
محمد عاصم الحداد ، ط ، دار الفكر بيروت ١٩٦٩ .
- ٧٦ - نحن والحضارة الغربية . ط ، دار الفكر بيروت . د . ت .
- ٧٧ - نظام الحياة في الاسلام . ط ، مؤسسة الرسالة بيروت . د . ت .
- ٧٨ - نظرية الاسلام السياسية ضمن نظرية الاسلام وهدية . ط ، دار
الفكر بيروت ١٩٦٩ .
- ٧٩ - ما هي القاديانية ؟ . ط ، دار الفكر بيروت ١٩٦٩ .

- ٨٠ - واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم . ترجمة محمد لغاصم للحداد . ط ،
مؤسسة الرسالة ١٩٧٥ .
مونسا (جون كلوفر)
- ٨١ - الله يتجلى في عصر العلم . ترجمة الدكتور الرمرداشر عبد المجيد
سرحان ، ط ، مؤسسة الحلبي ، القاهرة ١٩٦٨ .
الميناني (عبد الرحمن حسن حبنكة)
- ٨٢ - الوجيزة في العقيدة الاسلامية . ط ، دار القلم دمشق ١٩٨٣ .
- ٨٣ - العقيدة الاسلامية وأسسها . ط ، دار القلم دمشق ١٩٨٨ .
النجار (الدكتور عبد المجيد)
- ٨٤ - فقه التدين فهما وتنزيلا . ج ٢ ، كتاب الأمة ٣٣ ، ط ، رئاسة المحاكم
الشرعية قطر ١٩٩٠ .
- ٨٥ - العقل والسلوك في البنية الاسلامية ، ط ، مطبعة الجنوب تونس ١٩٧٩
الندوي (أبو الحسن علي الحسني)
- ٨٦ - التفسير السياسي للاسلام . ط ، دار آفاق الغد القاهرة ، ١٩٨٨ .
- ٨٧ - الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية . ط ، مطبعة
التقدم القاهرة ١٩٩٧ .
- ٨٨ - القادياني والقاديانية . ط ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧٨ .
النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد شعيب بن علي الخراساني ، ت ٣٠٣ هـ)
- ٨٩ - سنن النسائي . ط ، دار المعرفة بيروت ١٩٩١ .
النورسي (بديع الزمان سعيد)
- ٩٠ - حقيقة التوحيد . ترجمة إحسان قاسم الصالحى . ط ، مطابع الوفا
المنصورة القاهرة . د . ت .
النيفر (محمد الطاهر)
- ٩١ - أهم الفرق الاسلامية . ط ، الشركة التونسية للتوزيع تونس ١٩٧٤ .
الهضبي (حسن)
- ٩٢ - دعاة لا قضاة . ط ، دار الطباعة والنشر الاسلامية القاهرة ١٩٧٧ .
الهندي (علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين ، ت ٩٧٥ هـ)
- ٩٣ - كنز العمال . ط ، مؤسسة الرسالة بيروت . د . ت .

الألوسي البغدادي (شهاب الدين السيد محمود ، ت ، ١٣٢٠ هـ)

٩٤ - تفسير روح المعاني . ط ، دار الذكر بيروت ، ١٩٨٣ .

* المقالات والبحوث *

خورشيد (أحمد)

٩٥ - نموذج المودوني للبعث الاسلامي . مجلة المسلم المعاصر عدد ٣١

ط ، دار البحوث العلمية الكويت ١٩٨٢ .

المبارك (محمد)

٩٦ - نظام الاسلام العقائدي في العصر الحديث . مجلة المسلم المعاصر

السنة ٤ العددان : ١٤ ، ١٥ ، ط ، دار البحوث العلمية الكويت ١٩٧٨

هويدي (فهمي)

٩٧ - الحاكمية بين أهل الدعوة وأهل القانون . بحث ضمن أعمال ندوة

التيارات الاسلامية في الوطن العربي . ط ، منشورات رسالة الجهاد

المركز الاسلامي مالطا ١٩٨٦ .

* قائمة الآيات القرآنية المستعملة في البحث *

الصفحة	رقم الآية	السورة ورقمها في المصحف
٢٣٣	من ١ الى ٤	(٢) سورة البقرة
٣٣٤	٢٩	// //
٨٠	من ٢٩ الى ٣٣	// //
١٥٠	من ٢٩ الى ٣٣	// //
١٥٧	من ٣٧ الى ٣٨	// //
١٦٩	من ٣٧ الى ٣٨	// //
٨٢	من ٣٨ الى ٣٩	// //
١١٧	من ٦١	// //
١٤٢	١٠٣	// //
١٠١	١١١	// //
١٤٤	١١٤	// //
١٥٩	١١٩	// //
٢٥٠	١٤٢	// //
١٤٤	١٤٨	// //
١٤٦	١٦٥	// //
٨٧	١٦٧	// //
٨٧	١٦٨	// //
٢٣٨	١٦٩	// //
١١٧	١٧٦	// //
٩١	٢٠٥	// //
٨٧	٢١٥	// //
١٢٧	من ٢٥٣ الى ٢٥٤	// //
١١٤	من ٢٥٥ الى ٢٥٦	// //
٦٨	٢٥٧	// //

٩٢	٢٦٣	//	//
١٦٦٠١٥٨٠٩٥	٢٨٤	//	//
٢٢٣	١٩	(٣) سورة آل عمران	
١٩٥	٢٥	//	//
١٤٣٠٨٦٠٦٤	٢٦	//	//
٨٩	٣٠	//	//
٢٥٩٠٥٧	٥٠	//	//
٦٥	٦٣	//	//
٢٢٧٠٢٢٧	٦٤	//	//
١١٠٠١٠٩	١١٠	//	//
٢٦٧	١٣٧	//	//
١٤٢٠١٣٤	١٤٥	//	//
١٣٤	١٥٦	//	//
٢١٧	١٥٩	//	//
١٤٣	١٧٣	//	//
١٤٣	١٧٥	//	//
١١٧	١٧٩	//	//
٢٦٧	١٩٠	//	//
٢٦٧	١٩١	//	//
٨٩	١٩٥	//	//
١٧٥	٤٦	(٤) سورة النساء	
٢١٥	٥٧	//	//
٢١٣٠١٦٥	٥٨	//	//
٢١٣	٥٩	//	//
٢٢٧٠٢٠٨	٦٤	//	//
١٦٥	٧٩	//	//
١٠٢٠٢٦	١١٥	//	//
١٤٠	١٣٣	//	//

١٤٠	١٢٤	//	//
٢٢٠	١٢٤	//	//
١٧١٦١١٨	١٢٥	//	//
١٦٠	١٥١٦١٥٠٦١٤٩	//	//
١١٧	١٦١	//	//
١٧٠	١٦٣	//	//
٢١٩	٣	(٥) سورة المائدة	
١٦٥	٤	//	//
٨٧	٦	//	//
٢١٤	٩٠	//	//
١٧٥	١٨٦ ١٧٦١٦	//	//
١٧٠	١٧	//	//
١٢٧	٢٠	//	//
٢٠٨	٤٤	//	//
٢٠٨	٤٩ ٦٤٧٦٤	//	//
٢١٣٦١٧٢	٥٠	//	//
٧١	٧٩ ٦٧٤	//	//
١١٧	٢١	(٦) سورة الأنعام	
٨٦	٥٨	//	//
٢٠٧	٧٣	//	//
٦٩	٨٠ من ١٧٧ الى	//	//
٢٥٤	٩٢	//	//
١٩٨٦١٩٥	١٣٣	//	//
٧٣	١٣٨	//	//
١٢٩	١٤٩	//	//
٢٣٤٦٩١٦٨٧	١٦٤	//	//
٢٣٤٦٩١	١٦٥	//	//

٨٦	١٦٦	//	//
٨٦	١٦٧	//	//
٧٥	٢	(٧) سورة الأعراف	
٨٧	٣٠	//	//
٢٢٦٠٧٥	٥٣	//	//
٦٦	٥٨	//	//
٦٦	٦٠	//	//
٦٦	٦١	//	//
٢٢٧٠٦٦٠٥٦	٦٤	//	//
١٥٨٠٦٧٠٥٦	٦٦	//	//
٧٠	٨٤	//	//
١٧٦	١٤٧	//	//
١٣٨	١٥٦	//	//
١٧٠٠٦٦٦	١٥٧	//	//
١٦٤	١٥٨	//	//
٨٨	١٧٩	//	//
١٣٤	من ١١٦٤ الى ١٩٧	//	//
٧١	٣٠	(٩) سورة التوبة	
١٥٨٠٧٢٠٦٠٠٥٧٠٥٠	٣١	//	//
١٦٥	٣٣	//	//
١٤٠	٥٦	//	//
٢١٩	٦٧	//	//
٢٤٩٠٢٢٠	٧٢	//	//
١٣٧٠٧٣٠٥٩	١٨	(١٥) سورة يونس	
٥٨	٦٦	//	//

٢٤٩ ١	(١١) سورة هود
١١٤ ٢٤	// //
٥٦ ٥٨	// //
٦٧ ٦١ و٦٠	// //
٢٠ ٨٧	// //
٥٨ ١٠١	// //
٢٤٩ ٢ و١	(١٢) سورة يوسف
٩٤ ١٧	// //
٦٤ ٣٣	// //
٢٢٦ و٢٠٦ ٤٠	// //
١٣٨ ٨٧	// //
١٧٠ و١٦٣ ٨	(١٣) سورة الرعد
٣٣٣ ١١	// //
٩٢ ٢٤	// //
٢٤٨ ٥	(١٤) سورة ابراهيم
١١٩ ١٣	// //
١٩٣ ٥٠	// //
٢٤٩ ١	(١٥) سورة الحجر
٢٤٥ و١٧٣ و١٦٦ و١٦٣ ٩	// //
٧٧ ٢٩ و٢٨	// //
١٥٥ ٣	(١٦) سورة النحل
١٠١ ١٩	// //
٥٨ من ١٩ الى ٢٤	// //
١٤٨ ٥٠ و٤٩	// //
١٣٦ ٩٦ و٥٣	// //

٧٣	١٣٥١٢	//	//
٢٥٩	٣٨٤٣٧	//	//
٢٥٨٤٢١٨	٣٩	//	//
٧٩	٦٤	//	//
٧٢	٩٥ الى ٨٥	سورة المؤمنون من ٩٥ الى ٨٥	
٦٥	٨٧	//	//
٩٣٤٨٩	١١٦	//	//
١٩٨	٢٤	سورة النور (٢٤)	
١١٥	٣٨	//	//
٢٠٤٤١٣٢٤٨٣	٥٣	//	//
١١١	٥٥	//	//
١٣٢	٦٠	//	//
٦١	٣٤٢	سورة الفرقان (٢٥)	
٦٠	٤٣	//	//
٢٢٨	٤٤٤٤٣	//	//
٦٥	٨٠ الى ٧٧	سورة الشعراء من ٨٠ الى ٧٧	
١٩٤	٨٩٤٨٨	//	//
١٩٥	٩١٤٩٠	//	//
٦٦	١٠٨٤١٠٧	//	//
٦٩	١٦٧ الى ١٦١	من ١٦٧ الى ١٦١	
١٥٠	١٩٤٤١٩٣	//	//
٦٢	٦٦ الى ٦٢	سورة النمل من ٦٦ الى ٦٢	
٨٩	٩٢	//	//
١٥٨	١٣	سورة القصص (٢٨)	
٢٤٣٤٨٠	٣٨	//	//

١٦١	٥٩	// //
٨٨	٧٧	// //
٢١٧	٨٣	// //
٦٩	٢٩	(٢٩) سورة العنكبوت
٨٧	٥٢	// //
١٣٨	٦٩	// //
١٨٨	٢٦	(٣٠) سورة الروم
٧٥	من ٢٧ الى ٢٩	// //
١٥٨	٢٨	// //
١١٦	٢٩	// //
١٠٨	٣٠	// //
٢٢٨	٢٢٦ ٢١٥٣٠	(٣١) سورة لقمان
٧٧	٨٤٧٤٦	(٣٢) سورة السجدة
٤٤	٢١	(٣٣) سورة الأحزاب
٢٩	٣٦	// //
١٦٦	٤٠	// //
١٧١	٤٦٦ ٤٥	// //
٢١٩	٧٠	// //
٨١	٧٢	// //
٦٥	٢٦	(٣٤) سورة سبأ
١٦٤	٢٨	// //
١٤٧	٤١٤٤٠	// //
١٠١	٧	(٣٥) سورة فاطر

١٦١	٢٤	// //
٥٨	٧٣	(٣٦) سورة يس
١٨٢	من ١٧٨ الى ٨١	// //
١٥١	٨٢	// //
٦٥	٥	(٣٧) سورة الصافات
١٩٥	٢٧	(٣٨) ص
٨١	٧٥ ، ٧٤	// //
٢٠٩	٢٤٢	(٣٩) سورة الزمر
٧٢٤٥٩	٣	// //
٥٧	١٣	// //
١٢٨	٥٢	// //
١٧٠	٧٠ ، ٦٨	// //
٦٧	١٢ ، ١٣	(٤١) سورة فصلت
٦٥	١٣	// //
١١٧	٢٩	// //
١٧٣	٤١ ، ٤٠	// //
٩٥	٥٢	// //
١٨٧	٥٣	// //
٢٥٦ ، ١٢٨	٩	(٤٢) سورة الشورى
٢٤٤	١٣	// //
٣٣٦٠	١٩	// //
٢١٦	٢٥	// //
١٥٥	٤٩٦ ، ٤٨	// //
٢٤٩	١	(٤٣) سورة الزخرف

٦١	٨٤	// //
٢٢٦	٨٦	// //
١٨١	٣٣	(٤٤) سورة الدخان
٩٥	من ٢ إلى ٥	(٤٥) سورة الجاثية
٢٠٨	١٧	// //
١٩٥	٢٠	// //
١٨١	٣٣	// //
١٩٢	٢٤٠٢٣	// //
١٩٨	٢٧	// //
١٩٣	٢	(٤٦) سورة الأحقاف
١٢٩	٤	// //
١٤١	٣٥	// //
٩٢	٢٩	(٤٧) سورة محمد صلى الله عليه وسلم
١٣٦	٩٢	// //
٢٦٠٠٦١٠٢	٩	(٤٩) سورة الحجرات
٢١٥٠٦١٠٩	١٠	// //
٢١٦٠١٣٧	١٣	// //
١٨٨	١٥	(٥٠) سورة ق
٣٣٤	٥٦	(٥١) سورة الذاريات
٨٩	٥٨ ٥٧ ٥٦	// //
١٥٨	٣٣	(٥٣) سورة النجم
١٤٦	٢٨٠٢٧	// //
٨٩	من ٣٨ إلى ٤١	// //

١٢٧	٣	(٥٧) سورة الحديد
٢١٨	٢٤	// //
٨٨	٢٦	// //
١٠٩	٢١	(٥٨) سورة المجادلة
٢٠٩	٢	(٥٩) سورة الحنث
٢٥٥١٣٠	٢٤٤٢٣٤٢٢	// //
١٢٣	٨	(٦٣) سورة المنافقون
١٤٨	٦	(٦٦) سورة التحريم
٦٦	٢٤	(٧١) سورة نوح
١٤٨	٣٠	(٧٤) سورة المدثر
١٥٢	من ١ إلى ٥	(٧٩) سورة النازعات
١٤٨	٥	// //
٢٤٣٤٨٠	٢٤	// //
١٩٣	من ١ إلى ١١	(٨١) سورة التكويم
١٥٠	٢٠	// //
٢٠٧	٣ ٤٢٤١	(٨٧) سورة الأعلى
١٥٦	من ٧ إلى ١٠	(٩١) سورة الشمس
١٣٦	٨ ٤٧ ٤٦	(٩٦) سورة العلق
١٩٤	من ٥ إلى ٨	(٩٩) سورة الزلزلة
٨٩	٨٤٧	// //
٢٣٥	٩٤٨	// //
١٩٨	من ٥ إلى ١٠	(١٠١) سورة القارعة

٥٥	من ١ إلى ٣	سورة العصر (١٩٣)
١٣٧	من ١ إلى ٤	سورة الإخلاص (١١٢)
٧٥	من ١ إلى ٤	سورة الناس (١١٤)

* قائمة الأحاديث النبوية المستعملة في البحث *

الصفحة	الحديث
٦٠	١ - ((...فقلت : أنهم لم يعبدوهم ، فقال بلى ، أنهم حرموا عليهم الحلال))... ٦٠
٩٤	٢ - ((...قال : فأخبرني عن إيمان ؟ ...))
١٤٧	٣ - ((خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارح من نار ...))
٢١٣	٤ - ((عليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه))
٢١٣	٥ - ((تركت فيكم أمرين ما تمسكنم بهما : كتاب الله وسنة نبيه))
	٦ - ((إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحد للوضع ويتركون الشريفة ...))
٢١٤	٧ - ((من شهد لإله إلا الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا ...))
٢١٥	٨ - ((ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ...))
٢١٥	٩ - ((ما من وال يلي رعيته من المسلمين فيموت وهو غاشر لهم إلا حرم الله ...))
٢١٧	١٠ - ((السمع والطاعة على المنبر* المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية ...))
٢١٨	١١ - ((إنا والله لا نولي هذا من سأله ولا من حرص عليه))
٢١٩	١٢ - ((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ...))
٢٢٠	١٣ - ((إن الظالم إذا لم يأخذوا على يديه ...))
٢٢٠	١٤ - ((إنه سيكون بعدي أمرا* من صدقهم بكذبهم ...))
٢٥٠	١٥ - ((يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ...))

* قائمة الأعلام *

المفحة

الاسم

(أ)

- أبو بكر الصديق : ٩٨ ، ٩٩ ، ٢١٧
 إبراهيم عليه السلام : ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٣ ،
 ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٧١
 أحمد (الميرزا غلام) : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٥٠
 إبراك (أبو أحمد) : ٣٤
 آدم عليه السلام : ١٤٩ ، ١٦٠ ، ١٦٩ ،
 ١٩٥ ، ٢٢٥ .

إدريس عليه السلام : ١٦٠

إسحق عليه السلام : ١٦٠

إسماعيل عليه السلام : ٧٣ ، ١٦٠

الأفغاني (جمال الدين) : ٠٦

إقبال (محمد) : ٣٢ ، ٤٢

ألبرت (اينشتاين) : ٢٥

إلياس عليه السلام : ١٦٠

ألن (فرانك) : ١٢١

الألوسي : ٢٥٠

أنباز قلوس : ١٨١

أيوب عليه السلام : ١٦٠

(ب)

ابن باديس (عبد الحميد) : ٠٦

بلال الحبشي رضي الله عنه : ٢٤٣

البننا (حسن) : ٠٦

- البنوري (محمد يوسف) : ٢٤٠
بيري (توماس) : ٢٤

(ت)

- الترابي (الدكتور حسن) : ٦
الترابي (أليف الدين) : ٢٠٦ ، ٢٥١
القرمي ————— : ٦٠
ابن تيمية ————— : ٩٧ ، ٩٩ ، ٢٤٠ ، ٢٥٧
تيسر ————— : ١٦

(ث)

- الثقفي (محمد بن القاسم) : ١٤

(ج)

- جارودي (رجاء) : ٢ ، ١٩ ، ٢٥
الجرجاني : ٢٤٠
ابن جريس ————— : ٦٠
الجزري (ابن الأثير) : ٢٤٠
الجشتي (قطب الدين مودود) : ٣٤
الجمال (محمد بن صادق) : ٠٩
جناح (محمد علي) : ٢٠٠
الجوزية (ابن القيم) : ٢٤٠
الجوهري : ٢٤٠

(ح)

- ابن حاتم (عدي) : ٦٠

- الحامدي (خليل أحمد) : ٤٦
 الحسن البصري : ٩٩ و ١٣٩
 حسن (السيد أحمد) : ٣٤
 الحسين بن علي رضي الله عنهما : ٩٨
 أبو حنيفة : ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥

(خ)

- خان (وحيد الدين) : ٦ و ٢٦٨
 خان (سيد أحمد) : ١٠ و ٣٠ و ٣١
 خان (شريف الله) : ٣٧

(د)

- داود عليه السلام : ١٥٨ و ١٦٠ و ١٧٢
 الدهلوي (كفاية الله) : ٣٧
 الدينوري (أبي حنيفة) : ٢٤٠

(ذ)

- ذو الكفل عليه السلام : ١٦٠

(ر)

- راسل (برتراند) : ٢٢

(ز)

- الزبير بن العوام : ٩٧
 زكريا عليه السلام : ١٦٠
 الزمخشري : ٢٤٠

- زيد بن علي : ٩٨
ابن زيد (أمامة) : ٢١٤

(س)

- سعيد (الشيخ أحمد) : ٢٧
سلمان الفارسي رضي الله عنه : ٢٤٣
سليمان عليه السلام : ١٦٠

(ش)

- الشاطبي (أبو إسحاق) : ٢٤٤
شعيب عليه السلام : ٧٠ ، ١٦٠ ، ٢٢٦
الشهرستاني : ٩٩
الشوكاني : ١٧٤

(ص)

- صالح عليه السلام : ٦٧ ، ١٦٠ ، ٢٢٦
صبري (مصطفى) : ٠٦
صهيب الرومي رضي الله عنه : ٢٤٣

(ط)

- الطبري : ٢٤٠
طلحة : ٩٧

(ع)

- ابن عاشور (الظاهر) : ١٠٩

- ابن قتيبة : ٢٤٠
 القرظي (الدكتور يوسف) : ٠٦
 القـرطبي : ١٦٣٦١٣٩٦١٣٥٦١٠٢
 قلب (سيد) : ٢٥٣٦١٩٣٦١٣٢٦٦

(ك)

- الكاندملوي (اشفاق الرحمن) : ٣٧
 ابن كثير : ١٣٩ و ١٧٢

(ل)

- لسوط عليه السلام : ١٦٠ و ٦١
 لوبون (غوتاف) : ٢٢
 الليثي (أبي واقد) : ٢٤٤
 اليسع عليه السلام : ١٦٠

(م)

- مالك (الامام) : ٢٦٣
 مارلو : ٢٥
 المبارك (محمد) : ٠٦
 معاوية بن أبي سفيان : ٢٦٠
 مرزا (الجنرال اسكندر) : ٥٠
 مريم عليها السلام : ١٧٢
 ابن منظر : ٢٣٩
 المودودي (أبوالأعلى) : ٦١٤٦١٢٥١١٥١٠٥٩٦٨٦٦
 ٦٤٧٦٤٦٦٤٢٦٤١٦٣٩٥٣٨٥٢٧٦٣٥٥٢٤٦٣٢٦٣٢٤٦٣٣
 ٦١٠٦٦١٠٥٦١٠٤٦١٠٣٦٩٧٦٧٥٦٧٤٦٦٤٦٥٧٦٥١٦٥٠٥٦٩٦٤٨
 ٢٠٠٦٩٩٦٩٥٦١٩٥٦١٩٤٦١٩٢٦١٩٠٦١٢٤٦١٢٣٦١٢٠٦١١٨٦١١٢
 ٢٣٠٦٢٩٦٢٢٧٦٢٢٥٦٢٢٣٦٢٢١٦٢١١٦٢٠٧٦٢٠٦٢٠٦٢٠٦٢٠٦

(ي)

- يحي عليه السلام : ١٦٠
 ابن يسار (معقل) : ٢١٧
 يوسف عليه السلام : ١٦٠٠٧١٠٧٠
 يعقوب عليه السلام : ١٦٠
 يونس عليه السلام : ١٦٠

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ٣٦ ٣ - نشاطه التأليسي في
- ٣٧ ٤ - مواصلته التحصيل العلمي
- ٣٨ رابعا : استعداده للعمل الاسلامي
- ٣٨ ١ - اعتزاله العمل الصحفي
- ٣٩ ٢ - المنعطف الكبير في فكره
- ٣٩ ٣ - خروجه من العزلة
- ٤٢ ٤ - صلته بمحمد اقبال
- ٤٢ خامسا : تأسيس الجماعة الاسلامية وقيام دولة باكستان
- ٤٢ ١ - تأسيس الجماعة الاسلامية
- ٤٣ أ - أهداف الجماعة الاسلامية
- ٤٣ ب - عقيدة الجماعة الاسلامية
- ٤٥ ج - الأصول الأساسية لدعوة الجماعة الاسلامية
- د - منهجية الدعوة في الجماعة الاسلامية
- ٤٧ ٢ - قيام دولة باكستان
- ٤٧ أ - دعوة النظام الى الحكم بالاسلام
- ٤٨ ب - الاعتقال الأول
- ٤٩ ج - معركة الدستور الاسلامي
- ٤٩ د - الاعتقال الثاني والحكم بالاعدام
- ٥٠ هـ - الاعتقال الثالث
- ٥١ و - الاعتقال الرابع
- ٥١ ز - اعتزاله إمارة الجماعة الاسلامية

الباب الثاني

التصور الاسلامي للوجود في فكر المودوني

(ص : ٥٢ - ص : ٩٢)

الفصل الأول : التصور الاسلامي للوجود (ص : ٥٢ - ص : ٧٣)

أولا : طبيعة التصور الاسلامي وحقيقته ٥٣

١ - طبيعته ومجالاته ٥٣

0٤	٢ - حقيقة.....ه
00	ثانيا : التوحيد.....د
00	١ - منزلت.....ه
0٦	٢ - حقيقت.....ه
0٧	٣ - توحيد الألوهية.....ة
0٨	٤ - تصور الاله عند أهل الجاهلية.....ة
٦٢	٦ - خصائص السلطة الالهية.....ة
٦٤	٧ - توحيد الربوبية.....ة
٦0	٨ - التصورات الضالة للربوبية.....ة
٦٦	أ - قوم نوح عليه السلام.....م
٦٦	ب - عاد قوم هود عليه السلام.....م
٦٧	ج - ثمود قوم صالح عليه السلام.....م
٦٨	د - قوم ابراهيم ونمرود.....م
٦٩	هـ - قوم لوط عليه السلام.....م
٧٠	و - قوم شعيب عليه السلام.....م
٧٠	ز - فرعون وآله.....ه
٧١	ح - اليهود والنصارى.....ى
٧٢	ط - المشركون العرب.....ب
٧٤	٩- توحيد الربوبية في القرآن.....آن

الفصل الثاني : التصور الاسلامي للانسان والحياة الدنيا (٧٧ - ص ٩٢)

٧٧	أولا : التصور الاسلامي للانسان.....ان
٧٧	١ - حقيقة الانسان الفطرية.....ة
٧٩	٢ - منزلة الانسان في الكون.....ون
٨٠	٣ - خلافة الانسان لله في الأرض.....رض
٨١	٤ - وظيفة الانسان في الأرض.....رض
٨٤	ثانيا : التصور الاسلامي للحياة الدنيا.....نيا
٨٤	١ - تصورات غير اسلامية للحياة.....ياة
٨٤	أ - الانسان كائن حقير.....قير

- ب- الرهبانية ٨٤
 ج- التصور الجبري للحياة ٨٥
 د- التصور الحر للحياة ٨٥
 ٢- التصور الاسلامي للحياة ٨٦

الباب الثالث

الايمان وأركانه في صياغة المودودي (ص : ٩٣ - ص : ٢٦٧)

الفصل الأول : حقيقة الإيمان وأهميته (ص : ٩٣ - ص : ١١٥)

- أولا : حقيقة الإيمان ٩٤
 ١- الإيمان قول وعمَل ٩٦
 ٢- الإيمان تصديق ٩٧
 ٣- الإيمان تصديق وقول ٩٨
 ٤- المنزلة بين المنزلتين ٩٩
 ٥- رأي الامام أبي حنيفة في الايمان ١٠٠
 ٦- رأي الامام المودودي في الايمان ١٠٣
 أ- معنى الاسلام ١٠٣
 ب- حقيقة الإيمان ١٠٤
 ج- صلة الإيمان بالعمل ١٠٤
 د- الوظيفة السلوكية للإيمان ١٠٦
 هـ- الوظيفة الاجتماعية للإيمان ١٠٨
 و- الوظيفة الحضارية للإيمان ١١٠
 ثانيا : أهمية الإيمان ١١٣

الفصل الثاني : أركان الإيمان في الاسلام (ص : ١١٦ - ص : ١٩٩)

- ١- أركان الايمان في القرآن ١١٦
 أولا : الايمان بالله ١١٩
 ١- وجود الله ١١٩
 أ- دليل العناية ١٢٠
 ب- دليل الحياة ١٢٠

- ٢ - مكانة الإيمان بالله في الإسلام ١٢٤
- ٣ - التعريف بالله ١٢٥
- ٤ - تصور الألوهية في القرآن ١٢٦
- أ - حقيقتها ١٢٦
- ب - خصائصها ١٢٨
- ج - نفي الألوهية عن كل المخلوقات ١٢٨
- ٥ - تأثير الإيمان بالله في حياة الإنسان ١٣١
- أ - النظرة الأفاقية ١٣٢
- ب - عزة النفس ١٣٣
- ج - التواضع ١٣٥
- د - إبطال الآمال الكاذبة ١٣٦
- هـ - الرجائية وطمأنينة القلب ١٣٨
- و - الصبر والتوكل ١٤٠
- ز - الشجاعة والجسارة ١٤١
- ح - القناعة والاستغناء ١٤٣
- ط - التقيد بشرع الله في الحياة الاجتماعية ١٤٤
- ثانيا : الإيمان بالملائكة ١٤٦
- ١ - الإيمان بالملائكة والتوحيد ١٤٦
- ٢ - منزلة الملائكة في الوجود ١٤٧
- ٣ - مكانة الملائكة بالنسبة للإنسان ١٤٩
- ٤ - وظائف الملائكة في الوجود ١٥٠
- أ - حملة الوحي الإلهي إلى البشر ١٥٠
- ب - تدبير شؤون المخلوقات ١٥١
- ثالثا : الإيمان بالرسول ١٥٠
- ١ - الوحي ١٥٠
- ٢ - تعريف النبوة والرسالة ١٥٦
- ٣ - الفرق بين الرسول والزعيم ١٥٧
- ٤ - العلاقة بين الإيمان بالله والإيمان بالرسول ١٥٩
- ٥ - الفرق بين رسالة محمد صلى الله عليه وسلم والرسول السابقين ١٦١

- ٦ - خصائص الرسالة الخاتمة ١٦٣
- أ - الدعوة العامة ١٦٤
- ب - كمال الدين ١٦٤
- ج - نسخ الأديان السابقة ١٦٥
- د - ختم النبوة ١٦٦
- رابعاً : الإيمان بالكتب ١٦٨
- ١ - تعريف الكتاب ١٦٨
- ٢ - العلاقة بين الرسول والكتاب ١٦٨
- ٣ - الإيمان بالكتب السماوية ١٧١
- ٤ - الإيمان بالقرآن واتباعه وحده ١٧٢
- خامساً : الإيمان باليوم الآخر ١٧٦
- ١ - أهمية الإيمان باليوم الآخر ١٧٦
- أولاً : عقيدة إنكار الآخرة ١٧٨
- ١ - أصحاب هذا الاتجاه قديماً وحديثاً ١٧٨
- ٢ - أثار اعتقاد إنكار الآخرة على أخلاق الناس وسلوكهم ١٨٠
- ثانياً : عقيدة تناسخ الأرواح ١٨٢
- ١ - حقيقتها وأصلها ١٨٢
- ٢ - عقيدة التناسخ في ميزان العقل ١٨٢
- ٣ - الآثار الأخلاقية والمدنية لعقيدة التناسخ ١٨٤
- ثالثاً : عقيدة الحياة الآخرة ١٨٥
- ١ - حقيقة عقيدة الإيمان باليوم الآخر ١٨٦
- ٢ - صدق عقيدة اليوم الآخر ١٨٧
- ٣ - حاجة الإنسان إلى الإيمان باليوم الآخر ١٩٥
- ٤ - الأثر التربوي للإيمان بالحياة بعد الموت ١٩٥
- أ - إثارة الحياة الآخرة ١٩٥
- ب - الحساب والجزاء على الأعمال ١٩٧
- لفصل الثالث : النظرية السياسية في فكر المودودي (ص ٢٠٠ - ص ٢٢٥)
- أولاً : مؤثرات في فكره السياسي ١٩٩
- ١ - المؤثرات التاريخية ١٩٩

- ١٦٧ ٢ - المؤثرات الفكرية
- ١٦٩ ٣ - المؤثرات السياسية
- ٢٠٢ ثانيا : الأسس العقدية للنظرية السياسية الإسلامية
- ٢٠٢ ١ - التوجيه
- ٢٠٣ ٢ - الرسالة
- ٢٠٣ ٣ - الخلافة
- ٢٠٧ ثالثا : الحاكمية الإلهية
- ٢٠٧ ١ - المفهوم العقدي للحاكمية
- ٢٠٧ ٢ - المفهوم القانوني للحاكمية
- ٢١٩ ٣ - المفهوم السياسي للحاكمية
- ٢١١ رابعا : مبادئ الحكم الإسلامي
- ٢١١ ١ - أسس تنظيم مبادئ الدولة الإسلامية
- ٢١٢ ٢ - مبادئ الدولة الإسلامية
- الفصل الرابع : تقويم الفكر العقدي لأبي الأعلى المودودي (ص ٢٢١ - ص ٢٦٥)
- ٢٢١ أولا : أصول المنظومة الفكرية عند المودودي
- ٢٢١ ١ - الأساس
- ٢٢٣ ٢ - الجاهلية
- ٢٢٥ ٣ - مهمة الأنبياء
- ٢٢٧ ٤ - الملوك
- ٢٢٩ ٥ - خلافة الإنسان
- ٢٣٥ ٦ - الحاكمية
- ٢٣٣ ثانيا : الأثر العملي للإيمان في الحياة
- ٢٣٧ ثالثا : مناقشة قضايا في فكره العقدي
- ٢٣٧ الأول : تبدل كلمتي الله والرب
- ٢٣٩ ١ - رأي الفئة الأولى المعارض
- ٢٤١ ٢ - رأي الفئة الثانية المعارض
- ٢٥١ ٣ - رأي المدافعين
- ٢٥٣ الثاني : نقد الحاكمية الإلهية
- ٢٥٤ ١ - المنظور العقدي

- ٢ - المنظور السياسي ٢٦١
 أ - الحاكمية والدولة الدينية ٢٦٢

خاتمة

- معالم صياغة المودودي للعقيدة الإسلامية (ص ٢٦٤-٢٧٢)
 فآخراً:
- ١ - المنهج ٢٦٦
 ٢ - الموع ٢٦٨
 ٣ - آفاق صياغة العقيدة الإسلامية ٢٧٠
 - قائمة المصادر والمراجع ٢٧٢
 - قائمة الآيات القرآنية ٢٨٠
 - قائمة الأحاديث النبوية الشريفة ٢٩١
 - قائمة الأعلام ٢٩٣
 - المحتوى ٣٠٠-٣٠٧